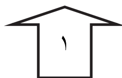
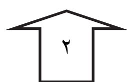
# ماذا يعني
# حب النبي صلي اللهّ عليه وسلم ؟



دكتور
رجب محمود إبراهيم بخيت

دار العلم و الإيمان للنشر والتوزيع





# المقدمة

**إن الحمـــد لله نحمـــده** ، ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

**استفتح بالذي هو خير :**

" ....رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ " ( الممتحنة : ٤ )

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"

( آل عمران : ١٠٢ )

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ...."

( النساء : ١ )

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " ( الأحزاب : ٧٠ – ٧١ )

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ "( لقمان : ٣٣ )

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ "

( الحج : ١ )

## أما بعد

**فلقد تتابعت سهام الكفر والشرك على** أمة الإسلام تترى، فتارةً تنال دماءَنا وتارةً تنال أموالَنا، وتارةً تنال نساءَنا وتارةً تنال أولادَنا، وتارةً تنال ديارَنا وتارةً تنال أوطانَنا غير أن ذلك كله هينٌ إذا ما طالت سهام الكفر والغدر أحبَّ خلق الله تعالى إلينا وأكرم خلقه سبحانه وتعالى عنده، ذاك شمس النبوة ومصباح الهداية وقائد الأمة وشفيعها بإذن الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا نالت سهام الحقد النتنة مقام النبوة وتعرضت لجناب الرسالة هان عنده كل مصاب، وبات كل مصاب بعده جلل، فلا الديار ولا الأموال ولا النفوس ولا الأهلون تفي **فداء رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ولكن إلى الله المشتكى من الخَوَر والخذلان، **وإلى الله المشتكى** ممن يرى ويسمع ولكن لا تُبصر له عين ولا تعي له أذن، بل كالحجارة الصماء والدواب البكماء، ولو استثيرت هذه الدواب في بعض ما فيه معاشها لهبَّت ونهضت واستنهضت، فلا نامت أعين الجبناء...

**ولمَّا لم يكن سبُّ الرسول صلى الله عليه وسلم** جريمةً مبتدعة اليوم بل كانت جريمةً قديمةً قِدم الرسالة والبعثة، فتارة رموه بالسحر وتارة بالجنون، وتارة نظموا في هجائه الشعر، وتارة حثُّوا القيان على التغني بسبِّه، فلا بد وأن يكون الوحي قد نطق بحكم هؤلاء قرآناً وسنةً، والأمر كذلك، فكان لا بد من المصير إلى حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في هؤلاء، إذ لا يخفى أن صدورنا لم تشفَ وغيظ قلوبنا لم يذهب بتلك البيانات الهزيلة والاستنكارات الخافتة، والدعوات الغريبة لإقامة مؤتمرات التقارب وغير ذلك من الترَّهات، لم يذهب شيءٌ من ذلك بما في قلوبنا من غيظٍ وكمدٍ تجاه أولئك المجرمين، ولن يذهب غيظ قلوبنا حتى نرى حكم الله تعالى فيهم نافذاً إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.

**<u>وانظر إلي وصف حكام المسلمين في حرصهم على عروشهم وكراسي الحكم :</u>**

" **والله لو علموا أن في** عبادة الصلبان تمشية أمورهم بادروا إليهم ، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرم المسلمين وأبناءهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام " (١)

## ويقول ابن حبان :

دهرنا غربل أهلية أشد غربلة ففسفس أخلاقهم وسفه أحلامهم وخبث ضمائرهم .

**فهذا أبو عبد الله الصغير محمد بن على بن نصر** أو محمد الحادي عشر أخر ملوك غرناطة الذي سلم غرناطة للملكين الكاتولكين فرناندوا وايزابيلا نظير حق الملكية له ولأحفاده على بعض الحصون والقلاع الصغيرة يحكمها باسمهما ويؤدي إليهما الضرائب ويحصل لهما الخراج والعثور .

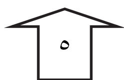
كان صغيراً في تهاونه وتخاذله حريصاً على دنيا تفلتت من بين يديه ، ويقف باكيا أمام قصر الحمراء فتقول له أمه : إبك بكاء النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

**ولم يرث أحفاده وأولاده غير الجوع والتشرد والحرمان** ، فقد رأي المقري المؤرخ في فاس أحفاد أبي عبد الله الصغير شيوخاً يتسولون ويعيشون من الصدقات ويشاء الله أن يظل شاهد قبر أبي عبد الله الصغير – حيث كتب عليه اسمه وتاريخ مولده ويوم وفاته وصفته – عتبه لباب منزل صغير بمدينة تلمسان يطأه الناس بأقدامهم عند دخولهم وخروجهم .

**وأذكر موقف صلاح الدين الأيوبي من الأمير أرناط** – زمن الحروب الصليبية – الذي تعرض لحجاج بيت الله الحرام وحاول التعرض بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتهد صلاح الدين الأيوبي في الوصول إلي أرناط فلما تمكن منه قتله شر قتله انتصاراً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رسائل ابن حزم ، ٣ / ١٧٦ .



**فأين هذا وذاك**، فالذي خذل الإسلام وباع أخرته بعرض ذائل ذهب إلي مزبله التاريخ وأما الذي نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قد رفع ذكره وخلده التاريخ.

" ...فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ " ( الحشر: ٢ ).

**وحبيبنا محمد صلى اللّه عليه وسلم،** اسم على مسمّى، علم على رمز ووصف على إمام، جمع المحامد، وحازا المكارم، واستولى على القيم، وتفرّد بالمثل، وتميّز بالريادة، محمود عند الله لأنه رسوله المعصوم، ونبيّه الخاتم، وعبده الصالح، وصفوته من خلقه، وخليله من أهل الأرض، ومحمود عند الناس لأنه قريب من القلوب، حبيب الى النفوس، رحمة مهداة، ونعمة مسداة، مبارك أينما كان، محفوف بالعناية أينما وجد محاط بالتقدير أينما حلّ وارتحل، حمدت طبائعه لأنها هذّبت بالوحي، وشرفت طباعه لأنها صقلت بالنبوة، **فاللّه محمود ورسوله محمد**:

وشقّ له من اسمه ليجلّه ...... فذو العرش محمود وهذا محمّد

**واسمه أحمد**، بشّر بذلك عيسى قومه، واسمه العاقب والحاشر والماحي وهو خاتم الرسل وخيرة الأنبياء، وخطيبهم إذا وفدوا، وإمامهم إذا وردوا.

**صاحب الحوض المورود**، واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغرّة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيّد بجبريل، حامل لواء العزّ في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في بني عبدمناف بن قصي، أشرف من ذُكر في الفؤاد، وصفوة الحواضر والبوادي، وأجلّ مصلح وهاد، جليل القدر، مشروح الصدر، مرفوع الذكر، رشيد الأمر القائم بالشكر، المحفوظ بالنصر، البريء من الوزر، المبارك في كل عصر، المعروف في كل مصر، في همة الدهر، وجود البحر، وسخاء القطر، صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه ما نجمٌ بدا، وطائر شدا، ونسيم غدا، ومسافر حدا.

**وأخيراً** فإني أتقدم بخجل شديد من سيدي وقائدي وحبيبي وشفيعي بإذن الله يوم القيامة وفرطي على الحوض الرسول الكريم بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه بهذا الدفاع المتواضع عن عرضه وجنابه، وأسأل الله تعالى أن يكون ما في القلب من حبه

صلى الله عليه وسلم جابراً لما في العمل في الدفاع عنه من تقصير وما أشده، سلواي في ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتمراً قبل أن يفتحها وابن رواحة يمشي بين يديه **وهو يقول**:

خلُّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يُزيل الهام عن مقيلة ويُذهل الخليل عن خليله

**فقال عمر**: يا ابن رواحة، في حَرَم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر! فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" خلِّ عنه يا عمر، فوالذي نفسي بيده لَكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل"[١]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه وكان يهجوا المشركين ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هجاه المشركون: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[٢].

**وقوله صلي اللّه عليه وسلم لكعب بن مالك** :

(إِنَّ المُجَاهِدَ مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّمَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ).(٣)

- من أجل أن يعلم المسلمون مكانة نبيهم صلى الله عليه وسلم ..........
- ومن أجل أن يعلم المسلمون كيف يكون الحب الحقيقي لهذا الرسول العظيم

**وأسأل اللّه تعالى** التسديد لما يرضيه من الأقوال والأفعال، اللهم ما وافق الحق مما كتبت فمنك وحدك وبفضلك وجودك وكرمك، وما خالف الحق فمني وأنا منه بريء والحمد لله رب العالمين.

**واللّه أسأل أن يتقبل منا صالح الأعمال** وأن يجعل هذا العمل في ميزاني يوم العرض عليه ، وأن يكون هذا العمل سببا في شفاعته صلى الله عليه وسلم .

" ...ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ..." (الأعراف:٤٣)

**الفقير إلي عفو ربه**

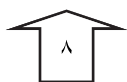
**رجب محمود إبراهيم بخيت**

---

١] صحيح ابن خزيمة - ١٩٩/٤.

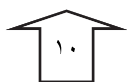
٢] صحيح البخاري - ٢٢٧٩/٥ .

٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٧٥ ، ترجمة كعب بن مالك .


٨

# الفصل الأول

## وجوب الإيمان بالنبي صلى اللّٰه عليه وسلم



"**الإيمان بالرسول: هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته**".[1]

وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن بيان هذه الأمور مطلوبة عند الإيمان به بالنبي صلى الله عليه وسلم.

الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم

## أ-الأدلة من القرآن:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين - الإنس والجن - الذين أدركتهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.

**كما أكد الله وجوب الإيمان بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:**

**قال تعالى:**

{ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ } الحديد (٧-٨)

**وقال تعالى:**

{فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}(التغابن:٨)

**وقال تعالى :**

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا }( النساء : ١٣٦ )

**وقال تعالى:**

{لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا }( الفتح :٩ )

---

١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٩٢).

وقال تعالى:

{قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(الأعراف:١٥٨)

وقال تعالى:

{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ }(الحجرات : ١٥ )

والإيمان به صلى الله عليه وسلم واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه صلى الله عليه وسلم مع حق الله تعالى في القرآن الكريم.

## أما الحق الثاني له:

**فهو طاعته قال تعالى:**

{وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (آل عمران : ١٣٢) .

## والحق الثالث هو:

**محبته قال تعالى:**

{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ }

(التوبة : ٢٤)

"كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه" [١].

وقال تعالى في حق من لم يؤمن:

{وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا } (الفتح : ١٣)

---

١) القاضي عياض ، الشفا ، (٢/ ٥٣٨) بتصرف.

وبما تقدم من آيات يعلم وجوب الإيمان بالرسول صلى اللّٰه عليه وسلم وأهميته وأنه لا يتم الإيمان باللّٰه بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى اللّٰه سبحانه وتعالى، ولذلك كان أول أركان الإسلام.

**"شهادة أن لا إله إلا اللّه وشهادة أن محمدا رسول اللّه".**

## ب- الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به صلى اللّه عليه وسلم:

وردت في السنة أحاديث كثيرة جدا تدل على وجوب الإيمان به صلى اللّٰه عليه وسلم على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته، سواء كانوا أهل كتاب، أم ليسوا بأهل كتاب، ويستوي في ذلك عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، فلا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد للّٰه بغير ما جاء به. لأن اللّٰه لا يقبل من أحد عملا يخالف شرع نبيه محمد صلى اللّٰه عليه وسلم.

**قال تعالى:**

{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ }

(آل عمران:٨٥)

## وسأورد ههنا بعضا من تلك الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

### أ- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال:

"أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّٰه ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّٰه" [١].

### ٢- وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّٰه، وأن محمدا رسول اللّٰه ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على اللّٰه" [٢].

---

١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٣٩).

٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} ، انظر: فتح الباري (١/ ٧٥) ح ٢٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، انظر (١/ ٣٩).

٣- عن أبي هريرة رضي اللهّ عنه عن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم أنه قال:

"والذي نفس محمد بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" [١].

٤- وعن ابن عباس رضي اللهّ عنهما في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى اللهّ عليه وسلم قال لهم:

"أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...." الحديث[٢].

٥- وعن ابن عباس أن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه و سلم بعث معاذا إلى اليمن فقال :

" إنك تأتي قوما من أهل الكتاب . فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فإن هم أطاعوا لذلك . فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم . فإن هم أطاعوا لذلك . فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " [٣]

## دلائل نبوته صلى اللهّ عليه وسلم

أيد الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدلائل، والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء[٤] ومنها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي، وكذلك هي متنوعة فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به ومنها ما كان وقت ولادته

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/ ٩٣).

٢) أخرجه البخارى في صحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري (١٢٩/١) ح ٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (٣٥/١ - ٣٦).

٣) متفق عليه .

٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٠).

كقصة الفيل والعجائب التي حدثت عام مولده الدالة على نبوته، ومنها ما كان عند مبعثه كالقرآن الكريم وانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغيرذلك.

**ومن تلك الدلائل** ما استمر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كالقرآن الكريم وما أخبر به من المغيبات كعلامات الساعة، وما يحدث بعده. ولقد ألف عدد من العلماء مؤلفات في هذا الشأن جمعوا فيها تلك الدلائل والمعجزات(١).

وإن من أعظم دعائم الإيمان معرفة المسلم لهذه الدلائل وأخذ العظة والعبرة منها وذلك بتدبر ما فيها من حكم وآيات دلت على صدق رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم. والمقام هنا لا يستوعب إيراد هذه الدلائل والمعجزات، ولكني سأشير إلى بعض هذه الدلائل إشارات سريعة على سبيل المثال:

## أ- القرآن الكريم:

هو أعظم الآيات والبراهين والدلائل والمعجزات التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس من آية أبدع ولا أروع منه.

فهو المعجزة الخالدة التي أعطاها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لتكون خالدة كخلود رسالته، ومشمهودة لكل من أتى بعد زمانه ليعم الانتفاع بها ولتقوم بها الحجة على أهل كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد تعهد الله بحفظه وبقائه **فقال تعالى**:

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ } (الحجر: ٩)

فكان في هذا الحفظ دوامه وبقاؤه إلى قيام الساعة.ولقد ميز الله نبيه بهذه المعجزة عن سائر إخوانه من الأنبياء **كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال**:

"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحي أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة" (٢).

---

١) من تلك المؤلفات: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة لقوام السنة الأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي والخصائص الكبرى للسيوطي.

٢) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت بجوامع الكلم" واللفظ له، انظر فتح الباري (٣/ ٢٤٧) ح ٧٢٧٤. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب

وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بالذكر هنا دون المعجزات الأخرى التي أعطيها- والتي تزيد على الألف- إشارة إلى عظم هذه المعجزة ومكانتها حتى أنه أصبح غيرها بالنسبة إليها كلا شيء لشيء.

ولقد تضمنت هذه المعجزة وجوها متعددة من الإعجاز، فالقرآن الكريم معجز بلغته وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار وقصص ومغيبات، وعلوم، فهو معجز من جميع الوجوه، ولقد تحدى الله قوم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم فهم يعرفون حروفه ومعانيه، إضافة إلى أنه نزل في أوان وزمان بلغت فيه قريش ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان، فلقد كان فيهم أولوا الأحلام والنهى والأفهام والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد.

فالتحدي كان لهم بأمر يعرفون طريقه ولهم بجنسه عهد بل إنهم نبغوا فيه وبلغوا فيه ذروته.

ولذلك فقد توهم كفار قريش في بداية أمرهم أن باستطاعتهم الإتيان بمثله وقدروا أن في وسعهم معارضته فقالوا:

{...لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ }( الأنفال :٣١)

**فجاءهم التحدي من الله على ثلاث مراحل هي:**

## المرحلة الأولى:

**التحدي بالإتيان بمثل القرآن وذلك كما جاء في قوله تعالى:**

{ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ } (الطور: ٣٣-٣٤ ).

---

الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته. انظر (١/ ٩٢، ٩٣).

## المرحلة الثانية:

**تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله حيث قال تبارك وتعالى:**

{أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ } (هود : ١٣).

## المرحلة الثالثة:

**حيث تحداهم تبارك وتعالى بالإتيان بسورة واحدة فقال تعالى:**

{وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ } (البقرة : ٢٣)

فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب فقد كانوا حريصين على تكذيبه وإبطاله بكل طريق ولكن مع هذا كله فقد عجزوا عن ذلك.

**ولقد أخبر الله بعجزهم عند تحديه إياهم بالإتيان بسورة من مثله فقال تعالى:**

{فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ } (البقرة : ٢٤ )

**ولما عجزوا عن الإتيان بما تحداهم به قطع الله طمعهم على أن يأتوا بمثله فقال تعالى:**

{قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا } (الإسراء : ٨٨).

وبعد مرحلة قطع الطمع أنزل الله فواتح السور كـ {الم، الر، المر} وغيرها تقريعا وتوبيخا للكفار، مخبرا لهم أن ما تحداهم به مكون من حروف هي حروف العربية التي يتحدثون بها والتي بلغوا ذروتها فهم أفصح العرب، والقرآن نزل بلغة العرب ولقد جرت سنة الله بأن يعطي كل رسول من المعجزات مايناسب ما اشتهر به قومه فلقد أعطى موسى العصا لاشتهار من أرسل إليهم بالسحر وما يتعلق به، وأعطى عيسى معجزة

إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى لاشتهار قومه بالطب وهكذا، فأعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن لما اشتهرت به قريش من الفصاحة والبيان.

فهذا ما كان من أمر التحدي الذى تحدى الله به أهل مكة وغيرهم من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وسأعرض لذكر بعض جوانب هذا الإعجاز القرآني الذى عجز الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن من جهتها **وهى ما يلي**:

## أولا:

تحداهم بفصاحة القرآن وعلو أسلوبه، وأحكامه، ودقة تعبيره، ولذا تكلف بعض سفهاء الأحلام منهم أن يأتوا بسور خيل لهم أنها على نمطه وشاكلته، فأضحكوا على أنفسهم العقلاء، وأما ذووا العقل والرأي منهم فأسلموا أنفسهم إلى العجز وأيقنوا من قرارة نفوسهم أنه الحق وأنه من عند الله لا من كلام البشر ولكن أكثرهم يجهلون فأبوا إلا الكفر أنفة واستكبارا.

## ثانيا:

تحداهم بتشريعه الكامل الموافق لمقتضى العقل والفطرة، الهادي جميع البشر إلى سواء السبيل من جوانب الحياة كلها عقيدة وعبادة واقتصادا وسياسة وأدبا وأخلاقا مع بقاءه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه في جميع جوانب الحياة إلى يوم القيامة.

## ثالثا:

تحداهم بما تضمنه القرآن من الأخبار الغيبية التفصيلية المسهبة، وبوقوف الرسول صلى الله عليه وسلم من إخوانه المرسلين السابقين موت المصدق لهم المبين لتحريف أقوامهم شرائعهم، المعلن لخزاياهم وفضائحهم في خروجهم على أنبيائهم بيان الواثق بنفسه المؤمن بما أوحي إليه من ربه، وهو أمي عاش في أمة أمية، ومن أمته أهل الكتاب الذين فضحهم بسوء صنيعهم مع رسلهم وفى شرائعهم ومع ذلك لاذوا بالصمت ولم يردوا عليه ما اتهمهم به تبرئة لأنفسهم ودفعا للنقيصة والعار عنها، فكان ذلك إيذانا بأنه رسول الله الصادق الأمين وأن ما جاء به إنما هو وحي من رب العالمين[1].

---

1) انظر مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع (ص ٢٧- ٢٨) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء.

ولقد تضمن القرآن الكريم جوانب أخرى من الإعجاز فنحن في زمان انتشر فيه سلطان العلم المادي وتباهى الإنسان بمعرفته لكثير من الأمور التي خفيت عمن قبله من الأجيال، ولكن كثيرا من هذه الأمور التي يدعي الإنسان اكتشافها ومعرفتها، نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها وبينها فعلى سبيل المثال تكوين الإنسان في بطن أمه تحدثت عنه آيات كثيرة من القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان بينما لم يتعرف علماء الطب على ذلك إلا في زمن متأخر وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الأمور الأخرى كتكوين الأرض وعلوم البحار وعلوم الحيوان وشتى أنواع العلوم الأخرى، وقد اهتم عدد من العلماء المسلمين بهذا الشأن فأنشؤوا ما يسمى "**بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن**" لبيان سبق القرآن في توضيح كثير من أمور العلم التي يدعي كثير من العلماء الماديين أنها لم تعرف إلا في هذا الزمان.

**وهذا كله شاهد بأن كتاب الله العزيز يبقى المعجزة الخالدة التي لا تنتهي عجائبها، قال تعالى:**

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} (الإسراء: ٨٩)

فالقرآن يبقى معجزا في عصر العلم كما كان معجزا في عصر الفصاحة والبلاغة.

**ومن الآيات الحسية التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم زمن بعثته:**

## ب- انشقاق القمر:

**قال تعالى:**

{ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} (القمر: ١-٢)

**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه**: "أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر"[١].

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر. انظر: فتح الباري (٦/ ٦٣١) ح ٣٦٣٧

**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال**: "انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم شقين، فقال: "اشهدوا" [(١)].

## ج- نبع الماء بين أصابعه:

**فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال**: "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء[(٢)] فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم.

**قال قتادة**: قلت لأنس كم كنتم؟، قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة"[(٣)] وقد روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود[(٤)].

## د- إشباع العدد الكثير من الطعام القليل:

**عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال**: "قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي، ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم. **فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم**: "آرسلك أبو طلحة؟" ، فقلت: نعم. قال: بطعام؟ قلت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: "قوموا"، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر. انظر: فتح الباري (٦/ ٦٣١) ح ٣٦٣٦

٢) الزوراء: موضع بالمدينة عند سوقها في ذلك الوقت. وفاء الوفاء (٤/ ١٢٢٩).

٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام. انظر: فتح الباري (٦/٥٨٠) ح ٣٥٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ٤٩).

فائدة: قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٨٥): "حديث نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق. وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين. وعن ابن أبي ليلى والد عبد الرحمن عند الطبراني". انتهى كلامه.

٤) الشفا (١/٤٠٢).

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلمي يا أم سليم ما عندك" ، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء أن يقول.

**ثم قال**: "ائذن لعشرة" فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأكل القوم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا"[١].

وأحاديث تكثير الطعام القليل تعددت، وتكررت في مواطن متعددة ورويت عن بضعة عشر من الصحابة، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يُعد بعدهم، وأكثر هذه الأحاديث مروية في الصحيح وأكثرها في قصص مشهورة، ومجامع مشهورة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها[٢].

## هـ- ما أطلع عليه من الغيوب وما سيكون في المستقبل:

"والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع"[٣] ومنها على سبيل المثال حديث حذيفة ابن اليمان قال: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه"[٤].

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب، علامات النبوة في الإسلام. انظر فتح الباري (٦/ ٥٨٦) ح ٣٥٧٨.
٢) الشفا (١/ ٤١٩) بتصرف.
٣) الشفا (١/ ٤٧٠) وقد ذكر طرفا من هذه الأحاديث فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.
٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن: باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٨/ ١٧٢).

وبعد فهذا جزء يسير جدا من دلائل نبوته المعنوية والحسية وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم، أيد الله بها نبيه ليقيم الحجة على الخلق فيحيا من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

**فيجب على كل مسلم أن** يتدبر في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ويطَّلع عليها فإن فيها عظة وعبرة وتزيد من إيمان المرء ويقينه بنبوة خاتم المرسلين وإمامهم الذي أعطاه الله من الآيات والبراهين ما لم يعط أحدا من الأنبياء قبله.[١]

## قال العلماء:

## أ- أما تصديقه صلى الله عليه وسلم فيتعلق به أمران عظيمان:

**أحدهما**: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم [٢].

**ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:**

١- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.

إن من الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بجميع ما جاء به ومما جاء به صلى الله عليه وسلم الإخبار بعموم رسالته للإنس والجن بجميع أجناسهم وأشكالهم وألوانهم ومللهم ولغاتهم. لذا فإنه يجب أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأنه أوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأنه لا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته ولا أن يدين لله بغير ما جاء به "ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله"[٣]

**قال تعالى:**

{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ...} (آل عمران : ٨٥ )

---

١)محمد بن خليفة بن علي التميمي، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة الناشر:أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٨٠–٨٢

٢) مجموع الفتاوى (٩١/١٥).

٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤٢٢).

وعموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعالميتها هي إحدى الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء قبله، إذ كان النبي إنما يعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا إلى من يبلغهم أمر الله عز وجل، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهو المبعوث رحمة للعالمين، فعمت رسالته جميع المكلفين إنسهم وجنهم، كما صحبت كذلك الزمان في مسيرته، فإذا انتهى جيل من الناس فإن الجيل الذي يليه مخاطب ومكلف بها.

والإيمان بعموم الرسالة وعالميتها هو الذي يدين به كل مسلم يؤمن بالله ورسوله فهذا ما جاءت به آيات الكتاب الكريم ونصوص السنة الثابتة، فهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمعت عليها الأمة.

## الأدلة من القرآن على عموم رسالته

وردت آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تثبت عموم دعوته وعالمية رسالته صلى الله عليه وسلم ومن سمة هذه الآيات أنها اتصفت بتنوع العبارة مع اتحاد في المضمون الذي هو الدلالة على عموم الرسالة وعالميتها.

**وسوف نعرض لهذه الآيات بحسب اتحادها في السياق.**

### أ- الآيات التي ورد فيها لفظ "الناس" منها:

**قوله تعالى:**

{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...} ( الأعراف : ١٥٨ )

**وقوله تعالى:**

{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ...} ( سبأ : ٢٨ )

**وقوله تعالى:**

{...وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ...}( النساء : ٧٩ ).

**وقوله تعالى:**

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا }
( النساء : ١٧٤ )

**وقوله تعالى:**

{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ }(يونس : ٢)

**وقوله تعالى:**

{هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ... } ( إبراهيم : ٥٦ ).

**وقوله تعالى:**

{ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ } (إبراهيم : ١ ).

والشاهد من هذه الآيات أنها بينت شمول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للناس[١] جميعا.

قال صاحب اللسان: "الناس قد يكون من الإنس ومن الجن"[٢].

**فلفظ الناس يطلق على الجن والإنس كما في قوله تعالى:**

{ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ } (الناس : ٥ – ٦ )

فسمى الله الجن في هذا الموضع ناسا كما سماهم في موضع آخر رجالا، فقال:

{وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ .... }( الجن : ٦ )

فجعل الجن رجالا وكذلك جعل منهم ناسا[٣] . وهناك رأي آخر يقول إن لفظ الناس دخل فيه الجن تغليبا[٤].

والذي أراه أن الآيات تفسر بالمعنى الشامل للإنس والجن إذ لا مخصص للعموم هنا.

---

١) لفظ "الناس" فيه وجهان: أحدهما: أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وإنما واحده "إنسان" وواحدته "إنسانة" والوجه الآخر: أن يكون أصله "أناس" أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها تخفيفا، ثم أدخلت الألف واللام المعرفتان، فأدغمت اللام التي دخلت مع الألف فيها للتعريف في النون. انظر: تفسير الطبري (١/ ١١٦).

٢) لسان العرب (٦/ ٢٤٤) مادة نوس

٣) تفسير الطرى (٣٥٦/٣٠).

٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥).

**وكنموذج لتفسير ما أوردته من آيات في هذا الشأن أذكر ما قاله بعض علماء التفسير في بيان قوله تعالى:**

{قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ...} (الأعراف: ١٥٨)

**قال أبو جعفر الطبري**[1] في تفسيرها: "قل يا محمد للناس كلهم.

{إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا}

لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مرسلا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، لكنها إلى جميعكم"[2].

**وقال ابن كثير**: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

{قُلۡ}

**يا محمد**

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}

وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي.

{إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا}

أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة"[3].

## ب- الآيات التي ورد فيها لفظ "العالمين": ومنها قوله تعالى:

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ} (الأنبياء: ١٠٧)

---

١) هو محمد بن جرير الطبري، المؤرخ المفسر الإمام، كان مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، روى الكثير عن الجم الغفير، صنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير توفي سنة ٣١٠ هـ. البداية (١/ ١٤٥- ١٤٧).

٢) تفسير الطبري (٩/ ٨٦).

٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٤- ٢٥٥).

وقوله تعالى:

{...قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ } ( الأنعام : ٩٠ )

وقوله تعالى:

{وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ }(يوسف : ١٠٤ )

وقوله تعالى:

{تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان : ١)

وقوله تعالى:

{وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ } (القلم : ٥٢)

وقوله تعالى:

{فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ } (التكوير : ٢٦ – ٢٧)

والمراد بالعالمين هنا هم الإنس والجن إذ هم المكلفون.

**قال ابن عباس رضي الله عنهما: "العالمون الجن والإنس، دليله قوله تعالى:**

{لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} ولم يكن نذيرا للبهائم"(١).

## ج- الآيات التي ورد فيها لفظتا "كافة" و"جميعا" وهي:

**قوله تعالى:**

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} (سبأ : ٢٨ )

وقوله تعالى:

{قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ... }(الأعراف : ١٥٨)

---

١) تفسير القرطبي (١/ ١٣٨).

وهناك ثلاث عبارات هي: "الناس" و"كافة" و"جميعا" دلت جميعها على العموم.

د- الآية التي ورد فيها لفظ "ومن بلغ":

**قال تعالى**:

{قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ...} (الأنعام: ١٩)

**فالشاهد من الآية هو قوله تعالى**: {لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ} فلفظ (من) في قوله {وَمَنۢ بَلَغَ ۚ} من صيغ العموم، فالآية نص في عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى الآية أن الله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه إن الله أوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة، أو يا معشر العرب ومن بلغه هذا القرآن سواء كان عربيا أو عجميا وسواء كان موجودا الآن، أم سيأتي بعد إلى أن تقوم الساعة وهذا هو الذى ذكره أهل التفسير عند هذه الآية(١).

## هـ- الآيات التي ورد فيها خطاب الجن ومنها:

**قوله تعالى**:

{قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا} (الجن: ١-٢)

إلى آخر الآيات التي نزلت في شأن دعوة الجن إلى الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وسميت هذه السورة بسورة الجن.

---

١) انظر على سبيل المثال، تفسير الطبري (٧/ ١٦٢، ١٦٣) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٢٦).

وقوله تعالى:

{وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } (الأحقاف: ٢٩ – ٣١)

والآيات نزلت في جن نصيبين[١] عندما سمعوا القرآن، فآمن به من آمن منهم ثم ولوا إلى قومهم منذرين، ثم أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام بشعب معروف بمكة، والأحاديث بذلك كثيرة مشهورة في الصحيح والسنن والمسند وكتب التفسير والفقه وغيرها[٢].

وكذلك فإن سورة الرحمن هي خطاب للثقلين الإنس والجن معا.

## و- الآيات التي وردت في دعوة أهل الكتاب:

ومنها:

{فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ } (آل عمران: ٢٠)

{يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } (المائدة: ١٩)

---

١) مدينة تقع في تركيا بالقرب من الحدود السورية. أطلس العالم (ص ٥٢).
٢) ابن تيمية، النبوات، (ص ٣٩٦).

وبالجملة فإن في القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام[1].

## الأدلة من السنة على عموم رسالته

الأدلة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وعالميتها كثيرة جدا في السنة النبوية سواء من الناحية القولية أو الناحية العملية وسنعرض هنا لكلتا الناحيتين بإذن الله.

### أ- السنة القولية:

**أ- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال**: "كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أما صاحبكم هذا فقد غامر" [2].

**قال**: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله، لأنا كنت أظلم.

**فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: "هل أنتم تاركوا لي صاحبي هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟، إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت" [3].

---

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١١٢).

٢) غامر: أي خاصم غيره، ومعناه: دخل في غمرة الخصومة، وهي معظمها والمغامر الذي يرمي بنفسه في الأمور المهلكة. النهاية: (٣/ ٣٨٤).

٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب تفسير قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} . انظر: فتح الباري (٨/ ٣٠٣) ح ٤٦٤٠، وأخرجه أيضا في كتاب فضائل الصحابة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذا خليلا". انظر: فتح الباري (٧/ ١٨) ح ٣٦٦١.

٢- **وعن جابر بن عبد اللهّ رضي اللهّ عنه أن النبي صلى اللهّ عليه وسلم قال**: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" (١).

٣- **وعن أبي هريرة رضي اللهّ عنه أن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم قال**: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي

٤- **وعن أبي ذر رضي اللهّ عنه قال**: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: "أوتيت خمسا لم يؤتهن نبي قبلي، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وبعثت إلى الأحمر والأسود" (٣).

٥- **وعن أبي هريرة رضي اللهّ عنه قال**: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار" (٤).

**وذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما**، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى (١).

---

١) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب التيمم واللفظ له. انظر فتح الباري (١/ ٤٣٥- ٤٣٦) ح ٣٣٥، وكذلك ٤٣٨- ٣١٢٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٢/ ٦٣).

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٢/ ٦٤).

٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٥/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رجاله رجال الصحيح" (٨/ ٢٥٩)، وأخرجه أيضا من طرق أخر عن ابن عباس (١/ ٢٥٠) وأبي أمامة (٥/ ٢٤٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٩): "رجال أحمد- أي في هذا الحديث- ثقات"، وجد عمروبن شعيب (٢/٢٢).وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٧): "رجاله ثقات"، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح" (١٣/ ١٦)- المسند بتحقيقه.

٤) تقدم تخريجه.

**٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي اللهّ عنه عن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم أنه قال:** "من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار" (٢).

## ب- السنة العملية:

إن المتأمل في سيرته ودعوته صلى اللّٰه عليه وسلم يعلم حرصه صلى اللّٰه عليه وسلم على نشر الرسالة وإبلاغها لجميع المكلفين، فقد دعا صلى اللّٰه عليه وسلم الإنس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، سواء كانوا أهل كتاب أم ليسوا بأهل كتاب، كما دعا الجن كذلك فآمن له من آمن منهم وبايعوه على الإسلام.

**ولقد صدع النبي صلى اللهّ عليه وسلم بعالمية الرسالة** وعمومها في أوائل دعوته عندما انتقل من المرحلة السرية في الدعوة إلى المرحلة الجهرية حيث قال صلى اللّٰه عليه وسلم بعد أن حمد اللّٰه: "إن الرائد لا يكذب أهله، واللّٰه الذي لا إله إلا هو إني رسول اللّٰه إليكم خاصة وإلى الناس عامة، واللّٰه لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا" (٣).

وإن المتأمل للآيات القرآنية التي نصت على عموم رسالته وعالميتها يجد أن جلها كان مكي النزول، وهذا يؤكد أن عالمية الرسالة مقررة منذ بداية الوحى. ومن المعلوم أن طريقة الدعوة كانت تتبع أسلوب التدرج في التبليغ وهذا التدرج لم يكن ينافي شمول الدعوة لكل المكلفين، لأن المرحلية كانت ضرورية لدعوته صلى اللّٰه عليه وسلم، ولقد دلت السيرة النبوية أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم اتبع أسلوب التدرج في إبلاغ الرسالة، فأول ما بدأ به هو الدعوة السرية لهذا الدين فآمن له من آمن.

**ثم انتقل إلى الدعوة الجهرية ونهج فيها كذلك أسلوب التدرج فبدأ بأهل مكة عندما نزل عليه قوله تعالى:**

---

١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٨٨).
٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٦- ٣٩٨).
٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٦١).

{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ} (الشعراء : ٢١٤ )

فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام.

**ثم بعد ذلك أخذ** رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس في مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله.

**ثم ذهب إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام** ولكنهم لم يجيبوه لذلك، ثم عاد إلى مكة وأخذ يعرض دعوته على القبائل في الموسم إلى أن التقى بالخزرج وهم من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأسلم النجاشي من قبلهم وكان على النصرانية.

**ومن هنا** كانت بداية المرحلة الجديدة في الدعوة فبعد تمكن الإسلام بالمدينة هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها فاتسع بذلك نطاق الدعوة حتى شمل أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بالمدينة حواليها حينئذ، كما تنوعت كذلك أساليب الدعوة إلى هذا الدين فشرع الجهاد في سبيل الله واتسعت رقعة الدعوة فشملت قبائل العرب ومن كان في جزيرة العرب من أهل الكتاب كيهود المدينة وخيبر ونصارى نجران واليمن وغيرهم واستمر التدرج إلى أن كان عام الحديبية ومهادنة قريش فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت إلى جميع الطوائف يدعوهم إلى الإسلام.

**فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن** النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى(١).

ثم جاءت بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بغزو النصارى فأرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة فقاتلوا النصارى بمؤتة من أرض الكرك(٢) ثم غزاهم بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه ولم يأذن بالتخلف لأحد، وغزا

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار.
٢) تقع حاليا في الأردن.

في عشرة آلاف في غزوة تبوك وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى عربهم وعجمهم، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه.

ثم بعد ذلك جهز جيشا بقيادة أسامة بن زيد ولكنه صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى قبل أن يخرج الجيش، فأوصى وهو في سكرات الموت بإرسال هذا الجيش **فقال**: "أنفذوا بعث أسامة".

ولقد سار أصحابه رضوان الله عليهم من بعده على نهجه واستنوا بسنته حتى فتح الله عليهم بلاد فارس والروم وغيرها فانتشر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا.

**والشاهد من هذا كله أن** سيرته صلى الله عليه وسلم هي مثال تطبيقي عملي على شمول دعوته وعالمية رسالته التي من أجلها كرس النبي صلى الله عليه وسلم حياته لكي ينشرها ويبلغها للناس كافة، لتقوم بذلك الحجة على الناس أجمعين.

وما ذكرته ههنا ليس إلا إشارات سريعة فمن أراد الاستزادة فعليه بكتب الحديث والسيرة ففيها الغنية بإذن الله.

## دليل الإجماع على عموم رسالته.

**إن الإجماع منعقد من** أئمة المسلمين وعامتهم على أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الأمم - أهل الكتاب وغير أهل الكتاب[1]- فإن الذي يدين به المسلمون هو أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث رسولا إلى الثقلين الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله، مستحق للجهاد، وهو مما أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه، وبينه النبي أيضا في سنته.

وهذا الإجماع تواترت في نقله كتب أهل العلم وهو منقول عندهم نقلا متواترا يعلمونه بالضرورة. وكتب التوحيد السنة مليئة بهذا.

---

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١٢٤).

وبما تقدم إيراده من الأدلة والنصوص يعلم ثبوت عموم رسالته وشمولها كما يعلم كذلك انتفاء كل دعوى تخالف هذا الأمر أو تطعن فيه كدعوى أنه رسول للعرب خاصة أو دعوى أن رسالته ليست ناسخة لما قبلها من الرسالات وأنه يسع الناس التدين بما جاء في قبله من الرسالات.

**فنصوص القرآن والسنة والإجماع** ترد هذه الدعاوى وتفندها وتبطلها. وبالنسبة إلى ما تعلق به أصحاب هذه الأقوال من شبه ظنوها أدلة لهم، فإنما مردها إلى سوء فهمهم وجهلهم بمعاني النصوص التي أوردوها **وكما قيل**:

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم[1]

ولا يتسع المجال هنا لإيراد تلك الشبه وتفنيدها[2] كما أن معرفة الحق تغني وكما وكما قيل: بضدها تتميز الأشياء.

**وإن الواجب على كل مسلم** اعتقاد عموم رسالته وشموليتها وعالميتها لجميع المكلفين وإنه لا يسع أحدا الخروج عنها أو أن يدين لله بغيرها.

**كما أنه لا يسع المسلم أن** يجهل مثل هذا الأمر لأنه من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ومن الواجب عليه كذلك أن يرد على كل من يطعن في هذا الأمر أو يشكك فيه سواء ممن ينتسبون إلى الإسلام أو من غيرهم، وبالخصوص أننا أصبحنا في زمان ظهرت فيه الدعوة إلى وحدة الأديان وتقاربها بدعوى أنها جميعا تدعو إلى عبادة إله واحد وأن مصدرها واحد إلى غير ذلك من الأمور التي يروج لها أصحاب هذه الدعوة والتي لا تنطلي إلا على ساذج لا يعي الأمور الضرورية من دينه. [3]

## ٢- الإيمان بكونه خاتم النبين ورسالته خاتمة الرسالات والإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

---

١) ديوان أبي الطيب المتنبي (ص ٢٣٢).
٢) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع: انظر كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ١٢٨) وما بعدها.
٣) محمد بن خليفة بن علي التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، الناشر : أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ٩٧ – ١٠٠.

من الخصائص التي خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم ورسالته جعله خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات، فانفرد صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فأصبح ختم النبوة من خصائصه صلى الله عليه وسلم.

ولذا فإن من حقه صلى الله عليه وسلم على كل من يؤمن له، أن يعتقد بهذا الأمر يؤمن به " لثبوته بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، بل هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر المسلم بجهلها .

## الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة.

### أ- آية الختم:

**قال تعالى:**

{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (الأحزاب :٤٠)

والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثا فلا نبي بعده ولا رسول.

**وقد سبق الربط بين دلالة الآية والمعنى اللغوي لكلمة "ختم".**

وتتميما للفائدة سأعرض بعض ما ذكره علماء التفسير عند تفسير هذه الآية.

**قال ابن جرير الطبري رحمه الله:** "يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم، الذين لم يلده محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء"(١).

**وقال ابن كثير رحمه الله:** "فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل

---

١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦).

رسول نبي ولا ينعكس، بذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم... إلى أن قال: فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له.

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل"(١)

وأقوال المفسرين عموما متفقة على أن المراد من الآية هو ختم النبوة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء مبعثا، ولم ينقل عن أحد من أهل التفسير خلاف ذلك.

وقد تعرض أهل التفسير للقراءات الواردة في قوله "خاتم" من هذه الآية فذكروا أن فيها قرائتين:

## الأولى: قراءة الكسر "خاتِم".

وهي الأشهر عند أهل اللغة والتفسير الذين أجمعوا أن قراءة الكسر هي قراءة الجمهور وعامة قراء الأمصار(٢) وعلى هذه القراءة "وخاتم النبيين" يكون المعنى أنه: "ختم النبيين" لأنه ختم به النبيون فهو خاتمهم.

## الثانية: قراءة الفتح "خاتَم"

وهي الأقل استعمالا يين القراء ولهذا فإن المفسرين لا يعزونها إلا إلى أفراد القراء كعاصم(٣) وابن عامر(٤) وغيرهما .

فعلى هذه القراءة "وخاتم النبيين" يكون المعنى أي آخر النبيين مبعثا فبه انتهت النبوة.

---

١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٤).
٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦)، وتفسير البغوي (٦/ ٥٦٥) وتفسير القرطبي (١٤/ ١٩٦).
٣) عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي، أحد القراء السبعة، توفي سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل غير ذلك. تهذيب التهذيب (٣٨/٥- ٤٠).
٤) عبد الله بن عامر اليحصبي، أحد القراء السبعة، كان قاضي مشق في أيام الوليد بن عبد الملك وإمام مسجد دمشق وتوفي بها سنة ثماني عشرة ومائة. تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٤، ٢٧٥).

وبالرغم من ورود القرائتين في الآية إلا أن المفسرين لا يرون أن في ذلك تأثيرا على المعنى وهو انقطاع النبوة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

## ب- الآيات الدالة ضمنا على ختم النبوة:

في القرآن الكريم آيات كثيرة دلت ضمنا على ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

**ومن هذه الآيات آيات** عموم الرسالة وعالميتها والتي تقدم ذكرها في المبحث الثالث، حيث إن عموم الرسالة من الناحيتين الزمانية والمكانية يدل على كونها خاتمة الرسالات، لأن البشرية على هذا الحال لاتحتاج إلى دين جديد مادام هذا الدين قد خاطبهم جميعا على اختلاف أجناسهم وأماكنهم وأزمانهم. ومن الأدلة كذلك الإخبار بإكمال هذا الدين وإتمامه:

**قال تعالى:**

{...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ...} (المائدة : ٣)

**فالآية تؤكد أن** الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم رضيه له ربها لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم رضيه له ولأمته دينا يعبدون الله به إلى يوم القيامة[١].

**قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية:** "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن..."[٢].

# الأدلة من السنة على ختم النبوة:

---

١) كتاب عقيدة ختم النبوة (ص ٢٧- ٢٨).
٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢).

إلى جانب ما ورد ني القرآن من أدلة على كون النبي صلى اللّٰه عليه وسلم خاتم النبيين ورسالته هي خاتمة الرسالات، فقد ورد في السنة كذلك أحاديث كثيرة أكدت هذا الأمر وبينته ونبهت عليه.

**وقد وردت هذه الأحاديث** بعبارات متعددة متنوعة لكنها جميعا أكدت على مدلول واحد، هو انقطاع الوحي بعد النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وختم النبوة به. وقد بلغ بعض هذه الأحاديث حد التواتر، كما أنها في جملتها متواترة تواترا قطعيا. ونظرا لتنوع ألفاظ تلك الأحاديث واختلاف صورها في الدلالة على هذا المعنى وتأكيده، **فإن من المناسب أن أعرضها لك على النحو التالي:**

## أ- الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه صلى اللّه عليه وسلم خاتم النبيين، ومنها:

**أ- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال**: "أُتي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه – فنهس[١] منها نهسة ثم قال "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟" ، ثم ذكر صلى اللّٰه عليه وسلم يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه صلى اللّٰه عليه وسلم، فذكر صلى اللّٰه عليه وسلم أنهم يقولون: "أنت رسول اللّٰه، وخاتم الأنبياء، وقد غفر اللّٰه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك ..." الحديث[٢].

**٢- عن ثوبان رضي اللّه عنه قال**: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم:

"إن اللّٰه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض [٣] وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم [٤] وإن ربي قال لي

---

١) النهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان، والنهش الأخذ بجميعها. النهاية (٥/ ١٣٦).
٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً}. انظر فتح الباري (٨/٣٩٥، ٣٩٦) ح ٤٧١٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب أدنى الجنة منزلة فيها (١/ ١٢٧).
٣) أي الذهب والفضة. النهاية (١/ ٤٣٨).
٤) أي مجتمعهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم. النهاية (١/ ١٧٢).

يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق" .

**قال ابن عيسى**:"ظاهرين" ثم اتفقا "لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" [1].

**والشاهد من هذا الحديث هو قوله**: "وأنا خاتم النبيين أن لا نبي بعدي" فهذا نص في كونه صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء.

**٣- وعن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال**: "أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر" [2].

**ب- الأحاديث التي ورد فيها ضربه صلى اللّه عليه وسلم الأمثال لختم النبوة ومنها:**

---

١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٢/ ٤٥٠، ٤٥٢) ح ٤٢٥٢ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٧٨) وابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن (٢/ ١٣٠٤) وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه إلى قوله "يسبي بعضهم بعضا" كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة (٨/ ١٧١)

وكذلك أخرج مسلم آخره من قول " لا تزال طائفة من أمتي...." كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين... الخ"(٦/ ٥٢)، وأخرج الترمذي في السنن بعضه من قوله "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي - إلى قوله - لا نبي بعدي" كتاب الفتن :باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤/ ٤٩٨ ٤٩٩) ح ٢٢١٨، وقال هذا حديث حسن صحيح.

٢) أخرجه الدارمي في السنن (١/ ٢٧) وقد اعتبره صاحب المشكاة من قسم الحسان وارتضاه الألباني المحقق (٣/ ١٢٨).

**أ- عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال**: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: "مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة". متفق عليه[1]، وعند مسلم بزيادة لفظ: "فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء".

**٢- وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال**: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟، قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[2].

**ج- الأحاديث التي ورد فيها تصريحه صلى اللّه عليه وسلم بانقطاع النبوة وأنه لا نبي بعده ومنها:**

**أ- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال**: "كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون..." الحديث[3].

**٢- عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال**: "كشف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي اللّه عنه، فقال: أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له" [4].

**٣- وعن سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه أن** رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف عليا فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟

**قال**: " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي" [1].

---

١) البخاري في صحيحه، كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. انظر: فتح الباري (٦/ ٥٥٨) ح ٣٥٣٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (٧/ ٦٥).
٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم واللفظ له. انظر: فتح الباري (٦/ ٥٥٨) ح ٣٥٣٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (٧/ ٦٤).
٣) تقدم تخريجه.
٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة: باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢/ ٤٨).

**د- الأحاديث التي ورد فيها تحذيره صلى اللّه عليه وسلم من المتنبئين بعده ومنها:**

**١- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول صلى اللّه عليه وسلم قال:** "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول اللّه.." (٢)

**٢- عن جابر بن سمرة رضي اللّه عنه قال:** سمعنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: "إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم" (٣).

**د- الحديث الذي ورد فيه التصريح بأنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد وأن أمته آخر الأمم.**

**١- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال:** "صلاة في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم آخر الأنبياء وإن مسجده آخر المساجد..."

**قال عبد اللّه بن إبراهيم قارظ** (٤) أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول:

**قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم:** "فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد" (٥).

**و- دلالة بعض أسمائه صلى اللّه عليه وسلم على كونه خاتم الأنبياء:**

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي: باب غزوة تبوك، انظر فتح الباري (٨/ ١١٢) ح ٤٤١٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧/ ١٢٠).

٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن واللفظ له. انظر: فتح الباري (١٣/ ٨١، ٨٢) ح ٧١٢١، وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه، كتاب الفتن: باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (١٧٠/٨)

٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الناس تبع لقريش (٤/٦).

حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (١ / ١١٤).

٤) ويقال إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الكناني وهما واحد، روى عن جابر بن عبد الله وأبي هريرة وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب (١/ ١٣٤)

٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤/ ١٢٤، ١٢٥).

**عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال**: "أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى لي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي" [1].

والأحاديث في مسألة ختم النبوة كثيرة لا يتسع المقام هنا لإيرادها جميعها .[2]

**٣- الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.**

من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدا، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به، **قال تعالى**:

{...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ... } ( المائدة : ٣ )

وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيا من الله، وتبليغا من رسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات في حجة الوداع، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة.

وهي شهادة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله الله خاتم النبيين، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم صلى الله عليه وسلم ليكمل لهم دينهم، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: فتح الباري (٦/ ٥٥٤) ح ٣٥٣٢، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل: باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، واللفظ له (٧/ ٨٩).

٢) محمد بن خليفة بن علي التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، ص ١٠٧ – ١١١.

**ووجه الدلالة من الآية على ذلك** "أن الله أخبر في هذه الآية بأنه قد أكمل الدين وإنما كمل بما بلغه، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده"(١).

وما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك في نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية.

**فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟".

**قالوا**: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات..." الحديث(٢).

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته رضوان الله عليهم وكانوا في ذلك الموقف نحوا من أربعين ألفا(٣).

ولقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح **فقال تعالى**:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ } (المائدة : ٦٧ )

**وقال تعالى**:

{...فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ } (النحل : ٨٢ )

**وقال تعالى**:

{...وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ }(النور : ٥٤ )

---

١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٥، ١٥٦) بتصرف.
٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ٤١).
٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).

**وقال تعالى:**

{...إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ...}(الشوري: ٤٨).

وهذا الأمر والحث من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم على البلاغ لشرع الله والدين الذي أوحاه إليه نابع من كون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطة ما شرعه من دين يدين العباد له به، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع الله وأوامره ونواهيه إلا طريقه بها فهو المبلغ عن الله تعالى، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"[(١)] وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل.

ومما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الأنبياء بلاغا فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية أمته، **وقد قال تعالى في حقه:**

{لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ} (التوبة: ١٢٨)

وسيرته صلى الله عليه وسلم كلها دليل على مدى حرصه على إبلاغ رسالة ربه والتفاني في إبلاغها دون أن تأخذه في الله لومة لائم. وهو صلى الله عليه وسلم أحق الناس بالوصف الوارد في **قوله تعالى:**

{ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا}( الأحزاب: ٣٩)

---

١) زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٦٩).

"فقد امتدح الله تبارك وتعالى في هذه الآية الذين يبلغون رسالته إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ولا يخافون أحدا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد إبلاغ رسالات الله وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب وإلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع"(١).

ولقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بكل ما يلزم لتبليغ وحي الله وشرعه، فأعطاه العصمة في التبليغ **فقال تعالى** :

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ }(النجم: ٣ – ٤ )

**فهذه الآية دليل واضح على** عصمته صلى الله عليه وسلم في كل أمر بلغه عن ربه تبارك وتعالى، كما أنها شهادة وتزكية من الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على سلامة شرعه الذي أوحاه إليه من كل ما ينقص منه.

**وقال صلى الله عليه وسلم**: "إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله" (٢) وبالإضافة إلى عصمته في أمر التبليغ فقد عصمه الله كذلك من الناس حتى يتم له أمر إبلاغ هذا الدين وإكماله **قال تعالى**:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ }(المائدة :٦٧)

فاقترن تعهد الله بعصمة رسوله من قتل الناس وإيذائهم له مع الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه، وفى هذا الاقتران دليل جلي على أن عصمة الله تعالى وحفظه ونصره وتأييده على أعدائه قد صاحبت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تم له إبلاغ هذا الدين ونشره بين الناس.

ومع عصمة الله لنبيه في التبليغ، وعصمته من الناس، فكذلك عصم الله كتابه الذي أنزله إليه ليكون محفوظا من كل تحريف أو تغيير **قال تعالى**:

{إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ }(الحجر: ٩).

---

١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٢) بتصرف.
٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا (٧/ ٩٥).

كما تعهد كذلك بحفظ هذا الدين وإبقاء طائفة في كل زمان من الأزمنة تنصر هذا الدين وتحفظه وتبلغه، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث:

"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله" (١). وفي هذه الأمور ضمان لاستمرار هذا الدين وإبلاغه لكل أهل زمان، لأنه شامل لكل الناس في كل وقت إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة بأنه قد أبلغ أمور الرسالة وأوضحها لأمته، وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك" (٢) وهذا هو الحق فقد بلغ وحي ربه وصدع بأمره، ونهض بأعباء الرسالة كما أراد الله منه، فأدى الأمانة ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده، وما ترك لأمته من شيء يقربهم إلى الجنة إلا وقد دلهم عليه ورغبهم فيه، ولا من شيء يبعدهم عن النار إلا وقد حدثهم به وحذرهم منه وبين لهم كل ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم فهذه هي مهمته ورسالته .

{...وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ} (النور: ٥٤)

**وقد أتم عليه الصلاة والسلام** ما أوكل إليه على أتم وجه وأكمله فأبان الطريق ودل على صراط الله المستقيم وترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولقد شهد الصحابة رضوان الله عليهم بهذا. فهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، وكانوا ملازمين له في كل أحواله وحركاته فهم أعلم بما كان. وسأورد بعض ما ورد عنهم في هذا الشأن.

---

١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب قوله من: "لا تزال طائفة من أمتي..." (٥٢/٦، ٥٣).

٢)أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧) ح ٤٩، وابن ماجة في السنن، المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٦) ح ٤٣، والحاكم في المستدرك (٩٦/١) وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٢٧٠).
"حديث صحيح".

**فقد سئل سلمان الفارسي رضي الله عنه فقيل له**"أقد أعلمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة؟

**فقال**: "أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع[1] أو بعظم"[2].

**وعن أبي ذر رضي الله عنه قال**: "لقد تركنا محمدا صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما"[3].

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت**: "من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب، **والله يقول**:

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ... } "(٤). (المائدة :٦٧)

**وفى روايــــة** "من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه، **إن الله تعالى يقول**:

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ" } (المائدة : ٦٧)

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت**: "لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم .

{..وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ...}

(الأحزاب:٣٧) "[1].

---

١) الرجيع: القذرة والروث، سمي رجيعا لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعاما أو علفا. النهاية (٢٠٣/٢).

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة: باب الاستطابة (١/ ١٥٤).

٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٥٣).

٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب تفسير قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} ، انظر فتح الباري (٨/ ٢٧٥) ح ٤٦١٢.

فمن حقه صلى الله عليه وسلم على أمته أن يقروا له بفضله وصدقه وأمانته في تبليغ رسالة ربه التي ائتمنه عليها، وكلفه أن يقوم بها فلا يكون إيمان للمرء إذا لم يقر للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قد بلغ الرسالة أعظم ما يكون التبليغ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام واحتمل في سبيلها أشق ما يحتمله البشر، ومن أنكر شيئا من ذلك أو شك في صدقه فهو كافر مارق عن الإسلام مكذب لله ولرسوله.

**٤- الإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم.**

## العصمة وردت في اللغة لعدة معان منها:

**١- المنع:**

**قال صاحب اللسان**: "العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عَصَمه، يَعْصِمه، عَصْما: منعه ووقاه"[٢].

**٢- الحفظ:**

**قال صاحب اللسان**: "والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية"[٣]

**٣- القلادة:**

**قال صاحب اللسان**: "العصمة القلادة"[٤]، وكذا في القاموس المحيط[٥].

**٤- الحبل:**

**قال الزجّاج**: "أصل العصمة: الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه"[٦].

**٥- السبب:**

**قال الطبري**: "وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته: عاصم ومنه **قول الشاعر**:

إلى المرء قيس أطيل السرى ... وآخذ من كل حي عصم[٧]

يعني بالعصم: الأسباب، أسباب الذمة والأمان"[١].

---

١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٣).
٢) لسان العرب (١٢/ ٤٠٣) مادة عصم.
٣) لسان العرب (١٢/ ٤٠٤).
٤) المصدر السابق (١٢/ ٤٠٥).
٥) ( ١٥٢/٤، ١٥٣).
٦) لسان العرب (١٢/ ٤٠٥).
٧) ديوان الأعشى (ص ٣٧) بشرح الدكتور محمد حسين.

**قلت**: إذا أمعنت النظر في هذه المعاني وجدتها جميعا ترجع إلى المعنى الأول الذي هو "المنع" فالحفظ منع للشيء من الوقوع في المكروه أو المحظور، والقلادة تمنع سقوط الخرز منها، والحبل يمنع من السقوط والتردي، والسبب يمنع صاحبه عما يكره.

## المعنى الشرعي:

أما عصمة النبي صلى الله عليه وسلم فقد عرفت بعدة تعريفات ولعل من أحسنها وأسلمها ما ذكره صاحب كتاب نسيم الرياض بأنها "لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء"(٢)

## الجوانب التي عصم فيها النبي صلى الله عليه وسلم

### أ- العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة:

وهذه العصمة هي التي عليها المناط، فبها يحصل المقصود من البعثة فتبليغ شرع الله إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم فهم الواسطة بين الله وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم، فبطريقهم يهتدي البشر ويرشدون إلى دين الله إذ هم المبلغون عن الله أمره ونهيه وشرعه.

ولذلك فقد أوجب الله العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب حتى تصل الرسالة إلى العباد كاملة تامة غير منقوصة ولا محرفة، وبذلك تقوم الحجة على العباد.

ولقد دلت نصوص القرآن والسنة على عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب، وانعقد إجماع الأمة على ذلك.

### فمن القرآن:

**١- قوله تعالى:**

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ }(النجم : ٣ – ٤ )

---

١) تفسير الطبري (٤/ ٢٦).
٢) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض (٤/ ٣٩).

فالآية نص في عصمة لسانه صلى الله عليه وسلم من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما بلغه للناس من شرع الله.

**٢- وقوله تعالى:**

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ }(الحاقة: ٤٤ – ٤٧ )

فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه.

ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الجنس كما يزعم الكافرون فيما حكاه الله عنهم.

{أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... } (الشوري: ٢٤ )

وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك- لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات، وحيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقع له شيء من ذلك فلم يهلكه الله ولم يعذبه، فهو على هذا لم يتقول على الله ما لم يقله ولم يفتر شيئا من عند نفسه، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلغه عن ربه عز وجل.

**قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات**: "والمعنى في هذا بل هو صادق راشد لأن الله عز وجل مقر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات"(١).

---

١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٧).

٣- وقوله تعالى:

{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا}

(الإسراء: ٧٣ - ٧٥)

وهذه الآيات دالة على عصمة الله وتثبيته لنبيه صلى الله عليه وسلم في تبليغ ما أوحى إليه، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها "فقد أخبر تعالى عن تأييده لرسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها"(١).

## وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

**أ- حديث طلحة بن عبيدالله وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم:**

"ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله" (٢)

والحديث نص على عصمته صلى الله عليه وسلم من الكذب فيما يخبر به عن الله.

**٢- حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:**

"كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش **فقالوا**: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق" (٣).

---

١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣).
٢) تقدم تخريجه.
٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم: باب في كتاب العلم (٤/ ٦٠) خ ٣٦٤٦، والحاكم في المستدرك (١/١٠٤، ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي.

**٣- حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال:**

"إني لا أقول إلا حقا" ، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول اللّه. قال: "إني لا أقول إلا حقا" (١).

## دليل الإجماع:

نقل غير واحد من العلماء إجماع الأمة واتفاقها على عصمته صلى اللّه عليه وسلم في تبليغ ما أوحي إليه من ربه عزوجل.

**قال القاضي عياض**: "وأجمعت الأمة في ما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا"(٢).

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**: "إن الأنبياء صلوات اللّه عليهم معصومون فيما يخبرون به عن اللّه سبحانه، وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه ..... والعصمة فيما يبلغونه عن اللّه ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"(٣)

**ب- العصمة من الكفر والشرك:**

**الحديث عن عصمته صلى اللّه عليه وسلم في هذا الجانب ذو شقين هما:**

**الأول**: عصمته قبل مبعثه صلى اللّه عليه وسلم.

**الثاني**: عصمته بعد مبعثه صلى اللّه عليه وسلم.

**أما الشق الأول**: وهو عصمته من الشرك والكفر قبل بعثته ونزول الوحي إليه كلها فقد دلت النصوص الثابتة على أن النبي صلى اللّه عليه وسلم معصوم منذ نشأته من الكفر والشرك فلم يعهد عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه سجد لصنم أو استلمه

---

١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٤٠، ٣٦٠). والترمذي في سننه، كتاب البر والصلاة: باب مما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) ح ١٩٩٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
٢) الشفا (٢/ ٧٤٦).
٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٩، ٢٩٠).

أو إلى غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه. فقد فطره الله على معرفته والاتجاه إليه وحده وهذا هو المعلوم من سيرته. فمن النصوص التي يستدل بها **على هذا الأمر ما يلي:**

**-حديث أنس بن مالك رضي اللهّ عنه:** "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره[1] - **فقالوا**: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره"[2].

**فالحديث نص على** إخراج جبريل لحظ الشيطان منه صلى الله عليه وسلم وتطهيره لقلبه فلا يقدر الشيطان على إغوائه إذ لا سبيل له عليه. وهذا دليل على تنزيهه من الشرك منذ صغره صلى الله عليه وسلم.

**وعن زيد بن حارثة رضي اللهّ عنه قال**: كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تمسه، **فقال زيد**: فطفت فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون فمسحته،

**فقال رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم: ألم تنه؟، قال زيد**: فوالذى هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه"[3].

---

١) أي مرضعته.
٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ١٠١،١٠٢).
٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١٦- ٢١٧) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٥). وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤) بتحقيق عبد المعطي قلعجي. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٨). وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥١، ١٥٢).

**وهـذا الحـديث نـص** في بعده صلى اللّه عليه وسلم عن عبادة الأوثان التي كان عليها أهل مكة فنهيه لزيد - الذي كان ابنه بالتبني في ذلك الحين - يؤكد نفرته صلى اللّه عليه وسلم من تلك الأوثان التي كان يعكف عليها أهل مكة.

**ولقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم** لا يحضر مع أهل سكة ما يقيمونه من أعياد لأصنامهم فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: حدثتني أم أيمن قالت: كان ببوانة صنم يحضره قريش يوما في السنة، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن: إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب، آلهتنا وجعلن يقلن يا محمد: ما تريد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم فىيزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء اللّه ثم رجع إلينا مرعوبا فزعا فقلن عماته: ما دهاك؟ قال: "إني أخشى أن يكون بي لمم" ، فقلن: ما كان اللّه ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت؟ قال: "إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه" فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبئ" (١).

**كما عصم صلى اللّه عليه وسـلم مـن** الحلف بأسماء تلك الأصنام التي كان يعبدها قومه ويحلفون بها تعظيما لها فقد جاء في قصة بحيرى الراهب أنه استحلف النبي صلى اللّه عليه وسلم باللات والعزى حينما لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي لما رأى فيه علامات النبوة فقال بحيرى للنبي صلى اللّه عليه وسلم: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له النبي صلى اللّه عليه وسلم: "لا تسألني باللات والعزى شيئا فواللّه ما أبغضت بغضهما شيئا قط" (٢).

---

١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٤). وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥١) وعزاه إلى ابن سعد وأبي نعيم وابن عساكر.

٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٢٥- ١٢٨)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦، ٢٧) بتحقيق عبد المعطي قلعجي. وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٤٢، ١٤٤) وعزاه للبيهقي.

والنصوص في مثل هذا كثيرة وقد عني بجمعها من ألف في دلائل النبوة مثل الحافظ أبي نعيم الأصبهاني فقد عقد فصلا في كتابه دلائل النبوة بعنوان: "ذكر ما خصه الله عزوجل به من العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية ..." وقد أورد تحت هذا العنوان العديد من الأحاديث والشواهد في هذا الشأن(١).

**وكذلك فعل البيهقي في دلائل النبوة أيضا فعقد عنوانا لهذا الموضوع فقال:**

"باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها، لما يريده به من كرامته برسالته حتى يبعث رسولا"(٢).

**ومثلهما السيوطي في الخصائص الكبرى حيث قال:** "باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بحفظ الله إياه في شبابه عما كان فيه أهل الجاهلية"(٣).

## الإجماع:

نقل الجرجاني إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعد حيث قال: "وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم في ذلك"(٤).

**وهذا هو الحق فالله سبحانه وتعالى** قد نزه نبيه صلى الله عليه وسلم عن الكفر والشرك وعصمه من الوقوع فيهما وذلك داخل في باب إعداده لتحمل الرسالة ومثل ذلك صيانة الله لنسبه الذى تناسل منه فعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال: قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما"(٥).

---

١) انظر (ص ١٤٣- ١٤٧).
٢) انظر (٢/ ٣٠، ٤٢).
٣) انظر: (١/ ١٤٨، ١٥٢).
٤) شرح المواقف (ص ١٣٤).
٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٢٤) من عدة طرق والحديث له شواهد متعددة أوردها السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٦٣، ٦٦).

**وكل ذلك حتى لايبقى لمنتقص حجة يتعلق بها** لتنفير الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المعلوم أن كفار قريش كانوا حريصين أشد الحرص على تجريح النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بما ينقص من قدره ويحط من شأنه لتنفير الناس منه وصدهم عن دعوته فلقد رموه واتهموه بالسحر والجنون وغير ذلك من النقائص ولكن لم يكن الشرك والكفر من ضمن ما رموه به فسكوتهم عن ذلك دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل، وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة كما حكى الله ذلك عنهم **في قوله تعالى:**

{... مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ...}( البقرة : ١٤٢ )

**وبهذا يتبين أن النبي صلى اللهّ عليه وسلم** لم يكن على دين قومه من عبادة الأصنام وتعظيمها، فقد عصمه الله من ذلك فلم يجعل لكفار قريش طريقا عليه فلذلك لجؤوا إلى تلفيق التهم الباطلة المتناقضة كاتهامه بالسحر تارة وبالجنون تارة وبالكهانة تارة أخرى.

وإذا كان الله قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما هو دون الشرك من الأمور المنكرة التي كان عليها أهل الجاهلية ففي ذلك دليل على أن عصمته من أمور الشرك من باب أولى.

**فعن جابر بن عبد اللهّ رضي اللهّ عنه**: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة، قال فحله فجعله على منكبه فسقط مغشيا عليه فمارؤي بعد ذلك عريانا صلى الله عليه وسلم"(١).

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة: باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها. انظر فتح الباري (١/ ٤٧٤) ح ٣٦٤ وأخرجه مسلم في صحيحه، كناب الحيض: باب الاعتناء بحفظ العورة (١/ ١٨٤).

## إزالة ما يوهم عدم إيمان نبينا وضلاله قبل بعثته:

وردت بعض النصوص التي قد يتوهم منها البعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على كفر وضلال قبل بعثته، وسوف أعرض لهذه النصوص وأبين التوجيه الصحيح لها بما يبين الحق ويصحح الفهم ويزيل ما يقع من الوهم إن شاء الله.

**أ- فمن تلك النصوص قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم:**

{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ .... } (الشوري : ٥٢ ).

فقد يتوهم البعض أن هذه الآية تعني انتفاء معرفة النبي للإيمان بالكلية قبل بعثته بمعنى أنه لم يكن مؤمنا.

والجواب على ذلك أن هذه الفهم خاطئ لأن الإيمان في قوله {وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ } مصدر بمعنى المفعول فيكون المعنى المراد: أي ما يجب الإيمان به من الفرائض والأحكام الشرعية التي كلف بها علما وعملا، فالمنفي هو الإيمان التفصيلي لا الإجمالي.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي إليه مبغضا للشرك وعبادة الأصنام ومتجها إلى الله وحده كما سبق الاستدلال على ذلك، فلما نزلت عليه الفرائض والأحكام الشرعية التي لم يكن يدري بها قبل الوحي آمن بها وطبقها. فهذا هو المعنى الصحيح للآية، كما ذكر ذلك علماء التفسير عند تفسيرها **قال ابن كثير**:

" {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ } (الشوري : ٥٢ ).

على التفصيل الذي شرع لك في القرآن"[١].

**وقال الشوكاني**: "ومعنى {وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ } أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها"[١].

---

١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٢).

ب- ومن النصوص كذلك قول الله تعالى :

{وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ } ( الضحى : ٧)

فقد يتوهم البعض أن الآية تعني أن نبينا كان على ضلال قبل مبعثه وهذا فهم خاطئ وباطل ترده النصوص التي سبق إيرادها والتي نصت على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان.

**وقد أشار إلى بطلان هذا اللهم القرطبي عند تفسيره لهذه الآية حيث قال:**

"فأما الشرك فلا يظن به"[٢].

وأما المعنى الصحيح لهذه الآية فقد أشار العلماء إلى عدة معان صحيحة لهذه الآية تشترك جميعها في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن ينسب إليه شيء من الشرك أو الكفر قبل بعثته، **ومن تلك المعاني ما يلي:**

**ا- أن يفسر الضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله تعالى:**

{...لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى } (طه : ٥٢ )

**وكما في قوله تعالى :**

{...وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ}(يوسف : ٣ )

والمعنى أنه وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة[٣].

**٢- وقال بعضهم معنى (ضالا)** لم تكن تدري ما القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام، وهو بمعنى قوله تعالى:

" {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ } (الشوري : ٥٢ ).

---

١) فتح القدير (٤/ ٥٣٠).
٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٩).
٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٦) وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).

وعلى هذا التفسير يكون المعنى: أي وجدك ضالا عن شريعتك التي أوحاها إليك لا تعرفها قبل الوحي إليك، فهداك إليها[١].

**٣- وقال بعضهم معنى الآية أى وجدك في قوم ضلال فهداهم اللّه بك**[٢].

**٤- وقال بعضهم الضلال بمعنى الطلب أي وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها**[٣] **كما في قوله تعالى:**

{قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ ...} (البقرة: ١٤٤)

فليس المقصود بالغفلة هنا الشرك والغواية إنما المقصود منها الغفلة عن قصة يوسف مع اللّٰه وإخوته كما يوضح ذلك سياق الآية. فهذه القصة وأمثالها لا تعلم إلا من الوحي فلهذا لا يلحقه نقص بسببها.

**وهذا هو ما ذكره علماء التفسير عند هذه الآية.**

**قال القرطبي**: "أي من الغافلين عما عرفناكه"[٤].

**وقال الشوكاني**: "والمعنى أنك من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عن هذه القصة"[٥].

**د- ومن تلك النصوص ما رواه عثمان بن أبي شيبة**

بسنده عن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه: "أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين من خلفه وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا حتى نقوم خلفه، **فقال الآخر**: كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام، فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم"[٦].

---

١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٢٣) وتفسير القرطبي (٢٠/ ٩٦، ٩٧)، وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٧) وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٧) وفتح القدير (٥/ ٤٥٨).
٤) تفسير القرطبي (٩/ ١٢٠).
٥) فتح القدير (٣/٤).
٦) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٤٤٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ( ١١/ ٢٨٦)

والمنكر من هذا الحديث قوله عن الملك: "عهده باستلام الأصنام" والجواب عن هذا الحديث ذو شقين هما:

## أولا: الكلام على سند الحديث:

**تكلم العلماء على سند الحديث وأوردوا عللا منها:**

**ا- أن عثمان بن أبي شيبة لم يتابع عليه**[1].

**ولكن الذهبي أجاب عن هذا بقوله:** "عثمان لا يحتاج إلى متابع ولا ينكر له أن ينفرد بأحاديث لسعة ما روى، وقد يغلط، وقد اعتمده الشيخان في صحيحيهما..."[2].

٢- قال **الدارقطني** : "يقال إن عثمان بن أبي شيبة وهم في إسناده، وغيره يرويه عن جرير عن سفيان بن عبد الله بن محمد بن زياد بن جدير مرسلا وهو الصواب"[3].

ومن كلام الدارقطني نتبين لنا علتان:

**أ- أن الحديث مرسل وليس متصلا.**

ب- جعله لسفيان الثوري مكان سفيان بن عبد الله وهذا وهم في السند فسفيان بن عبد الله مجهول، وأما الثوري فهو ثقة[4].

٣- أن في سند عثمان بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف عند القوم[5].

**وبهذا يتبين ضعف إسناد الحديث.**

## ثانيا: الكلام على متن الحديث

بالإضافة إلى ضعف هذا الحديث الذي لا تقوم به حجة فإن ظاهر اللقظ وهو قوله إنما عهده باستلام الأصنام يخالف ما عرف عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه لم يكن على شيء مما كان عليه أهل مكة من الشرك وذلك منذ ولادته إلى أن بعثه الله رسولا نبيا

---

وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والعقيلي في الضعفاء، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥). وأورده الذهبي في الميزان (٣/ ٣٥) وأورده ابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٥٣) وأورده ابن كثير في التاريخ (٢/ ٢٨٨) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥٢).

١) العلل المنناهية لابن الجوزي (١/ ١٦٧).

٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥).

٣) العلل المتناهية (١/١٦٧).

٤) ٣ لسان الميزان (٣/٥٣) بتصرف

٥) العلل المتناهية (١/١٦٧).

ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه. ولقد سبق إيراد الأدلة على ذلك فليرجع إليها.

**وقد ذكر بعض العلماء**: أن ظاهر الحديث ليس مرادا، فليس المقصود أنه باشر الاستلام، وإنما المقصود أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم[1].

**الشق الثاني**: عصمته صلى الله عليه وسلم من الكفر والشرك بعد النبوة:

بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك ما هم فيه من الكفر والشرك.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم في تطبيق ما أمر به هو المثل الأعلى الذي يحتذى به. **قال تعالى**:

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }( الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣ ).

فهو منزه عن كل ضلال وغواية كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز:

{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ } (النجم : ٢ )

فهذه شهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ولا غاو، بل هو صلوات الله وسلامه عليه في غاية من الاستقامة والاعتدال والسداد والهداية.

**وإجماع الأمة منعقد على ذلك قال الرازي** : "واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة"[2].

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية**: "ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه"[3].

---

١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٥)، وتاريخ بغداد ( ١١/ ٢٨٦).
٢) عصمة الأنبياء (ص ١٨).
٣) منهاج السنة النبوية (١/ ١٣٠).

**وقـــال الآمـــدي** : "فمـا كـان منهـا كفـرا فـلا نعـرف خلافـا بـين أهـل الشـرائع في عصمتهم عنه"[١].

## ولم يخالف هذا الإجماع إلا من لا يعتد بخلافهم[٢].

والمعلوم من خلال سيرته صلى الله عليه وسلم أنه كان حربا على الكفر والشرك على اختلاف صوره وألوانه، فلم يدع طريقا أو سبيلا لهدم الشرك والكفر إلا وقد سلكه مستخدما في ذلك لسانه وسنانه، وهذا كله يؤكد عصمته صلى الله عليه وسلم من الكفر والشرك وهذا أمر مشتهر وأعظم من أن يحتاج إلى دليل يؤكده.

### ج- عصمته من الكذب في غير الوحي والتبليغ.

من المعروف عن سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته، وحري به صلى الله عليه وسلم أن يكون كذلك فقد اختاره الله لحمل الأمانة العظمى التي هي أداء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة فكان لابد من إعداده لهذه المهمة، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم وقد جمع الله له

---

١) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٢٨).

٢) الذين خالفوا في هذه المسألة هم:

أ- الأزارقة: وهم فرقة من فرق الخوارج وقد نقل عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته. انظر الإحكام في أصول الأحكام (١/١٢٨)، والمواقف للإيجي (٣٥٨، ٣٥٩).

ب- والفضيلية: رهم من فرق الخوارج ويقولون بجواز الكفر على الأنبياء من جهة كونهم يعتقدون جواز صدور الذنوب عن الأنبياء وكل ذنب هو كفر - على حسب اعتقادهم - فمن هذا الباب جوزوا صدور الكفر عنهم.

انظر: عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨) والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٢٨). ج- الرافضة: فقد جوزوا على الأنبياء إظهار الكفر على سبيل التقية عند خوف الهلاك، بل نقل عنهم أنهم أوجبوه. ويعللون ذلك بقولهم: إن إظهار الإسلام إن كان مفضيا إلى القتل كان إلقاء للنفس في التهلكة، وإلقاء النفس في التهلكة حرام لقوله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} الآية ١٩٥ من سورة البقرة، د- ذكر ابن حزم في كتابه الفصل (٢/٤): "أنه رأى في كتاب أبي جعفر السمناني قاضي الموصل صاحب الباقلاني أنه كان يقول: كل ذنب دق أو جل فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب في التبليغ فقط، قال: وجائز عليهم أن يكفروا".

حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (١ / ١٤٧)

وإذا كان إظهار الإسلام حراما كان إظهار الكفر واجبا. انظر: عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨).

خصال الخير كلها، فلم يكن يدعى إلا بالأمين، **ومن الأدلة التي يستدل بها على اتصافه بالصدق قبل بعثته ما يلي:**

١- **قول خديجة بنت خويلد رضي اللّه عنها** حينما أتاها النبي صلى اللّه عليه وسلم خائفا بعد أن لقيه جبريل في غار حراء وقال لها: "إني قد خشيت على نفسي" فقالت له: "كلا أبشر، فواللّه لا يخزيك اللّه أبدا، فواللّه إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"(١).

٢- **إجماع قريش على الإقرار** بصدقه حينما جمعها ليصدع بالدعوة جهرا فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال:

"لما نزلت {وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ }(الشعراء : ٢١٤ )

صعد النبي صلى اللّه عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: "يا بني فهر يا بني عدي" - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي". قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقا.

**قال**: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... " الحديث(٢)

فالشاهد من الحديث قولهم "ما جربنا عليك إلا صدقا" فالنبي صلى اللّه عليه وسلم انتزع منهم هذه الشهادة الجماعية بصدقه وانتفاء الكذب عنه، لعلمه بما قد سيقع من تكذيبهم له عند إخبارهم بأمر الرسالة.

٣- على تكذيب قريش للنبي صلى اللّه عليه وسلم في دعوة النبوة إلا أن أحدا منهم لم يجرؤ على وصفه بالكذب في سواها فقد قال أبو جهل للنبي صلى اللّه عليه وسلم: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به(١).

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير. انظر: فتح الباري (٨/ ٧١٥) ح ٤٩٥٣.
٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير: باب {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}، انظر: فتح الباري (٨/ ٥٠١) ح ٤٧٧٠، واللفظ له.

**فأنزل اللّه تعالى:**

{....فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ } (الأنعام : ٣٣).

**وكذلك عندما سأل الأخنس بن شريق أبا جهل بعد ما خلا به يوم بدر فقال**: "يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليمر ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك، واللّٰه إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟"[٢].

٤- ومما يستدل به كذلك جواب أبي سفيان لهرقل عندما سأله عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، عندما أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم هادن فيها أبا سفيان وكفار قريش، فكان مما سأله عنه: **فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال**؟

**فقال أبو سفيان: لا**

**فقال هرقل**: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على اللّٰه[٣].

وبعد فهذه نماذج على صدقه صلى اللّٰه عليه وسلم وعصمته من الكذب قبل بعثته.

**وكذا الحال بعد بعثته صلى اللّه عليه وسلم** فهذه أخبار نبينا محمد صلى اللّٰه عليه وسلم وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستوفاة تفاصيلها لم يرد في شيء منها تداركه صلى اللّٰه عليه وسلم لخبر صدر منه رجوعا عن كذبة كذبها، أو اعترافا بخلف في خبر أخبر به ولو وقع شيء من ذلك لنقل إلينا.

ومن المعلوم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في جميع أقواله والثقة بجميع إخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت دون توقف أو تردد في شيء منها أو استثبات عن حاله تلك هل وقع فيها سهوا أم لا"[١].

---

١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٨٢).
٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٢)، وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٣٠).
٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي. انظر: فتح الباري (١/ ٣١) ح ٧.

وهذا كله يؤكد عصمته صلى الله عليه وسلم من الكذب بأي حال من الأحوال.

**قال القا ي عياض**: " وأما أقواله الدنيوية من إحباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو، أو صحة أو مرض، أو رضا أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم.

هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب، فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره.

وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم، كقوله: "إني حاملك على ولد الناقة"[(٢)]، وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها: "أهو الذي بعينه بياض"[(٣)] وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إني أمزح ولا أقول إلا حقا" [(٤)].

**د- عصمته صلى اللّه عليه وسلم من الكبائر التي دون الشرك:**

جبل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على كل خلق فاضل كريم **قال تعالى**:

{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم : ٤ )

فخلقه بأكرم السجايا، وجميل الأخلاق، وحسن الطوية وصفات الخير جميعها كما نزهه عن كل ما يحط من قدره وينقص من منزلته، **قال تعالى**:

{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}(النجم : ٢ )

---

١) الشفا (٧٦٨/٢ - ٧٦٩).
٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح (٥/ ٢٧٠- ٢٧١) ح ٤٩٩٨، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) ح ١٩٨٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا. انظر: مناهل الصفا (ص ٢٣٣) ح رقم ١٢٧٠.
٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤٠)، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير عن ابن عمر كما في المجمع (٨/ ٨٩)، وقال الهيثمي: "وفيه من لم أعرفه" والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في المجمع (٩/ ١٧) وقال الهيثمي: إسناده حسن.وانظر: الشفا (٢/ ٨٧٧، ٨٧٨).

فهو صلى اللّٰه عليه وسلم منزه من كل ضلال وغواية، وقد كان من صيانة اللّٰه وحفظه له أن حماه من أقذار الجاهلية قبل مبعثه ونزول الوحي إليه، فهو معصوم عن كل ما يحط من قدره ويدق في شخصه ومما ورد في هذا الشأن من الأحاديث ما يلي:

**حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه:** "أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك، فجعلته على منكبك دون الحجارة، قال: فحله على منكبه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد عريانا صلى اللّٰه عليه وسلم"[1].

**وعن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه** سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول: "ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني اللّٰه منهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان، **فقال**: بلى فدخلت حتى إذا جئت أول دار مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير قلت: ما هذا؟ **فقيل**: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر وضرب اللّٰه على أذني فواللّٰه ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟، قلت: ما فعلت شيئا، ثم أخبرته بالذي رأيت ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب اللّٰه على أذني فواللّٰه ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟، قلت: لا شيء ثم أخبرته الخبر فواللّٰه ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني اللّٰه بنبوته" [2].

---

١) تقدم تخريجه.

٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٣، ٣٤)، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/١٤٩، ١٥٠)، وعزاه لابن راهويه في مسنده وابن اسحاق والبزار والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر وقال: قال ابن حجر: إسناده حسن متصل ورجاله ثقات. وأورده ابن كثير في البداية (٢/ ٢٨٧).

**وعن علي رضي الله عنه قال**: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل عبدت وثنا قط؟

**قال**: "**لا**".

**قالوا: فهل شربت خمرا قط؟**

**قال**: "لا ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان"[(١)].

فهذا عن عصمته قبل مبعثه فما بالك بعد مبعثه والأمر لا يتعلق بنفسه فقط بل يتعداه لغيره بكونه هو القدوة ومعلم الناس وهاديهم ومرشدهم بل إن كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله يعد تشريعا تأخذ به أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأمر عصمته صلى الله عليه وسلم من الكبائر أمر دلت عليه النصوص من القرآن والسنة ويكفي المسلم أن يقرأ **في ذلك قوله تعالى**:

{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم : ٤ )

فهذه تزكية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم توجب سلامته من كل ما يحط من منزلته ويقدح في نبوته بما في ذلك الكبائر.

**وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم**: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له" الحديث[(٢)] ومما يندرج تحت هذه الخشية والتقوى، بُعده عن كل ما يسخط الرب عز وجل ومن ضمن ما يسخطه ارتكاب الكبائر، فهو صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عنها لكمال لخشيته وتقواه لربه عزوجل، فلقد زكاه الله وطهر نفسه ولم يجعل للشيطان عليه من سبيل، وقد تقدم إيراد الحديث الذي جاء فيه أن جبريل شق قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير فاستخرج منه علقة وقال: هذا حظ الشيطان منك[(٣)].

---

١) أورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٥٠) وعزاه لأبي نعيم وابن عساكر.
٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح. انظر: فتح الباري (٩/ ١٠٤) ح ٥٠٦٣ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه. (٤/ ١٢٨).
٣) سبق تخريجه .

**المطلب الثالث**: مسألة وقوع الخطأ منه.

تقدم ذكر الأمور التي عصم فيها صلى الله عليه وسلم وبقي أن نعلم هل يقع الخطأ منه في غير ما تقدم؟، والجواب على هذا: أن القول الذي عليه أكثر علماء الإسلام[1] والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة أن الخطأ يقع منه صلى الله عليه وسلم في غير ما تقدم ذكره **ولكنهم يعتقدون الأمور التالية**:

١- أن الله لا يقره على هذا الخطأ الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم بل يوجهه الله للحق وقد يحصل له العتاب على ذلك.

٢- أن الخطأ يقع منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاجتهاد من غير أن يتعمده ولذلك لا تسمى "معصية" فهذه العبارة تعد إساءة أدب معه صلى الله عليه وسلم ولا يصح إطلاقها في حقه صلى الله عليه وسلم.

٣- أن ما يقع منه من هذا القبيل ليس مما يقدح في حقه أو ينقص من منزلته وقدره ولقد سبق بيان الأمور التي عصم فيها صلى الله عليه وسلم وتلك الأمور هي التي في حالة وقوعها تقدح في حقه ومنزلته، وقد عصم فيها.

٤- أن التوبة حاصلة منه عن هذا الخطأ، وهذا مما يرفع من قدره ويعلي منزلته[2] **كما أن الله قد وعده بالمغفرة بقوله تعالى**:

{لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...}( الفتح : ٢ )

**وأما النصوص التي يستدل بها على هذا القول فمنها:**

**قوله تعالى**:

{عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ }(عبس : ١-٣)

فهذه الآيات نزلت عتابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم[3] فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء ويلح عليه وود النبي صلى

---

١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).
٢) المرجع السابق (١٠/ ٢٩٣).
٣) تفسير القرطبي (١٩/ ٢١٢).

الله عليه وسلم أن لو كف ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر **فأنزل الله تعالى**:

{عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ } (١).

**وكذلك قوله تعالى:**

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨ ﴾

( الأنفال : ٦٧ – ٦٨ )

**وقوله تعالى:**

{عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ} ( التوبة : ٤٣ )

**قال قتادة**: "ثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما، إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم يكن له أن يمضي شيئا إلا بوحي، وأخذه من الأسارى الفدية، فعاتبه الله كما تسمعون"(٢).

**وأما ما يقع من الخطأ منه** في جانب الأمور الدنيوية فمن الأدلة على ذلك حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: "قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل، يقولون: يلقحون النخل، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه.

**قال**: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا. فتركوه، فنقصت قال: فذكروا ذلك له، فقال: "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به،وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر"(٣).

**وفي رواية أنس**: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" (٤)، وفي رواية طلحة: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا

---

١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٠).
٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٥٤، ١٥٥).
٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي (٧/ ٩٥).
٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ٩٥).

فخذوا به فإني لا أكذب على الله عزوجل" [١]، وكما حكى ابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة" **قال**: فإنه ليس بمنزل، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب، فنشرب ولا يشربون، فقال: "أشرت بالرأي" ، وفعل ما قاله[٢].

**قال القاضي عياض**: "فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها، يجوز عليه فيه ما ذكرنا[٣] إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها، وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، ولكن هذا[٤] إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة"[٥]

وكذلك الأمر بالنسبة لأحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم، ومعرفة المحق من المبطل، وعلم المصلح من المفسد، فهذه أمور اجتهادية يجتهد فيها برأيه فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحوما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار" [٦].

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧/ ٩٥).
٢) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٧١، ٨٧٢) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١- ٣٥)، وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ٨٠) لابن اسحاق والبيهقي عن عروة والزهري وجماعة.
٣) أي من وقوع الخطأ.
٤) أي الخطأ.
٥) الشفا (٢/ ٨٧٢، ٨٧٣).
٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب من أقام البينة مع اليمين.
انظر: فتح الباري (٥/ ٢٨٨) ح ٢٦٨٠. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية: باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، واللفظ له (٥/ ١٢٨، ١٢٩).

**قـال القاضـي عيـاض:** "وتجرى أحكامه صلى اللّٰه عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد، ويمين الحالف، ومراعاة الأشبه، ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة اللّٰه في ذلك"([1]).

فاقتضت حكمته تعالى أن لا يكون معصوما في هذا الجانب وذلك حتى تقتدي به الأمة من بعده في النظر في القضايا والأحكام على ما كان يقضي به بين الناس، لأنه قد استوى في ذلك هو وغيره من الناس.

وكذا الأمور بالنسبة لما يقع عليه من الأسقام والأمراض فهو صلى اللّٰه عليه وسلم بشر من البشر يقع عليه مثل ما يقع على غيره من البشر.

- ❖ وهذا هو الحق الذي دلت وأرشدت عليه النصوص الثابتة في القرآن والسنة.
- ❖ وهذا هو القول الوسط بين أهل الإفراط وأهل التفريط في هذه المسألة.

فمن قال بالعصمة المطلقة وهم الرافضة([2]) وبعض المعتزلة([3]) وبعض المتأخرين([4]) فهؤلاء قد خالفوا نصوص القرآن والسنة وتعسفوا في دفعها وتأويلها بتأويلات بتأويلات هي من جنس تأويلات الجهمية([5]) والباطنية([6]) ومن تدبر تلك التأويلات تبين له فسادها وعرف أنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه([7]).

---

١) الشفا (٢/ ٨٧٥).
٢) الرافضة: عبارة تطلق على الشيعة الغلاة وهم عدة فرق من أشهرها الإمامية الاثنا عشرية، ولهم مخالفات كثيرة في الاعتقاد من أشهرها: مسائل الإمامة، والصحابة، والغلو في آل البيت وأصل تسميتهم بالرافضة مأخوذ من قول زيد بن علي بن الحسين عندما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، فرفضه جماعة من أتباعه فقال: رفضتموني فسموا رافضة.
مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨، ٨٩، ١٤٤)، والملل والنحل، (١/ ١٧٣- ١٧٤).
٣) أتباع واصل بن العطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، ولهم مخالفات كثيرة فيمسائل الاعتقاد، منها أنهم يقولون بنفي الصفات، والمنزلة بين المنزلتين. ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٤) والفرق بين الفرق (٢٠، ٢١)، والملل والنحل (١/ ٤٩).٠
٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٠).
٥) الجهمية فرقة من الفرق التي ظهرت في بداية القرن الثاني وانتحلت مذهب الجهم بن صفوان في مسائله المدونة في كتب المقالات ومن أشهرها نفي الأسماء والصفات والقول بالجبر، وفناء الجنة والنار. الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص ٦٥). تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص ٥٩، ٦٠).
٦) عبارة تطلق على عدة فرق من أشهرها: الإسماعيلية، القرامطة، والنصيرية، وهم الذين يجعلون لكل ظاهر من الكتاب باطنا ولكل تنزيل تأويلا. الملل والنحل (١/ ٤٢٦- ٤٤٧) والفرق بين الفرق (ص ١٦٩).
٧) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١١- ٣١٤) بتصرف.

وأما من نفى عنه العصمة من الذنوب وأجاز عليه الإقدام على الكبائر والصغائر وهم الكرامية[١] والأزارقة[٢] والفضيلية [٣] وغيرهم[٤] فهؤلاء قوم فرطوا في حق النبي صلى صلى الله عليه وسلم، فذكروا عنه ما دل القرآن والسنة على براءته منه، وأضافوا إليه ذنوبا نزهه الله منها فقولهم هذا مخالف للقرآن والسنة وواضح البطلان. [٥]

٥- الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم.

**الثاني**:" تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل أحد" [٦].

فيجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما أخبر به عن الله عزوجل، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عزوجل، **قال تعالى**:

{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ } [٧].

**قال شارح العقيدة الطحاوية**: "يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا هملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية [٨].

---

١) أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، لهم عدد من المخالفات في مسائل العقيدة، منها: التشبيه في الصفات، والإرجاء في الإيمان. الملل والنحل (١/ ١٨٠، ١٩٣)، والفرق بين الفرق (٣٠، ١٣٧).

٢) إحدى فرق الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق، كانت أكثر فرق الخوارج عددا وأشدهم شوكة. الفرق بين الفرق (ص ٨٣).

٣) من الخوارج، ذكرهم الأشعري في المقالات (ص ١١٨).

٤) الفصل (٤/ ٢)، وعصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٢٨).

٥) محمد بن خليفة بن علي التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٠ – ١٥٥.

٦) مجموع الفتاوى (١٥/ ٩١).

٧) الآية (٣،٤) من سورة النجم.

٨) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٦).

**ب- طاعته واتباع شريعته**: إن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به صلى الله عليه وسلم.

**وهي تعني**: الانقياد له صلى الله عليه وسلم وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالا لقوله تعالى:

{...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ } (1)

**فيجب على الخلق اتباع** شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليمله والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله وأن معصيته معصية لله لأنه هو الواسطة يين الله وبين الثقلين في التبليغ.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: " يجب على الخلق الإقرار (2) بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة"(3).

---

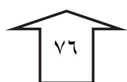
1) الآية (٧) من سورة الحشر.

2) يقول ابن تيمية في بيان معنى الإقرار: "إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد".
مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨، ٦٣٩).

3) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٤).

# الفصل الثاني

## وجوب محبته صلى اللّه عليه وسلم



# تعريف المحبة

## (أ) الحب في اللغة :

الحب كلمة دائرة على ألسنة الناس، رمزا لتعلق القلوب وميلها إلى ما ترضاه وتستحسنه . ويطلق في اللغة على صفاء المودة .

## جاء في لسان العرب :

(**الحب** : نقيض البغض . **والحب** : الوداد والمحبة . . . وأحب فهو محب . . . **والمحبة أيضا** : اسم للحب . : . وتحبب إليه تودد . وامرأة محبة لزوجها ، ومحب أيضا . . . **والحب** : الحبيب ، مثل خدن وخدين . . . **والحب** : المحبوب ، وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . . **وحببت إليه** : صرت حبيبا . . . **وهم يتحابون** : أي يحب بعضهم بعضا .. **والتحبب** : إظهار الحب ) [1] .

**وهذا النص كغيره من النصوص في** المعاجم قد اقتصر على تعريف الحب بنقيضه أو بمرادفه لكن نرى الراغب الأصفهاني يفصل أكثر **فيقول** :

( . . . . **حببت فلانا يقال في الأصل بمعنى** : أصبت حبة قلبه ، **نحو** : شغفته وكبدته وفأدته [2] .

**وأحببت فلانا** : جعلت قلبي معرضا لحبه ، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محب ، واستعمل حببت أيضا في موضع أحببت ) .

## (ب) تعريف المحبة عند العلماء :

## ثم يستطرد الراغب فيقول :

(والمحبة إرادة ما تراه خيرا أو تظنه خيرا . وهي على ثلاثة أوجه :

**- محبة للذة ، كمحبة الرجل المرأة ، ومنه :**

{ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ...} (الإنسان : ٨ ) .

---

١) لسان العرب . مادة « حبب » ١ / ٢٨٩ .
٢) بمعنى أصبت شغاف قلبه ، وكبده ، وفؤاده .

**- محبة للنفع ، كمحبة شيء ينتفع به ، ومنه :**

{ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ ...} (الصف : ١٣) .

**- ومحبة للفضل ، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض من أجل العلم)** (١) .

وإذا كان الراغب هنا قد فسر المحبة بإرادة ما يظنه الإنسان خيرا ، فقد كان " القاضي عياض أكثر وضوحا حين عرف المحبة : بأنها ميل الإنسان إلى ما يوافقه .

**يقول القاضي عياض** : (وحقيقة المحبة : الميل إلى ما يوافق الإنسان ، وتكون موافقته له :

١ - إما لأستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له .

٢ - أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء ، وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة ، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء .

٣ - أو يكون حبه إياه لمرافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ) (٢) .

وعلى ذلك فهذا الميل إما أن يكون حسيا أو عقليا أو قلبيا . وعلى هذه الجوانب الثلاثة- منفردة أو مجتمعة- يقوم الحب في القلب ، فما وافقها مال إليه القلب وأحبه وما خالفها نفر عنه وكرهه .

**وأصل الحب قوة في القلب** تحرك إرادة الإنسان لتحصيل المحبوبات أصلا ودفع المكروهات تبعا ، فتميل النفس إلى الشيء إن كان محبوبا وتنفر عنه إن كان مكروها (٣) .

---

١) المفردات في غريب القرآن . لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق . محمد سيد كيلاني . طبع مطبعة مصطفى الحلبي . مصر ١٩٦٢م ، مادة « حب » ص١٠٥ .

٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض اليحصبي طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ٢ / ٢٩ - ٣٠ .

٣) انظر . رسالة العبودية ، ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ، ١٠ / ١٩٢ .

ويتوقف تعلق النفس بالشيء حبا ، أو النفور عنه كرها على الإدراك الفطري أو الكسبي .

**فالحب إذن** ثمرة الإدراك والمعرفة ، فكلما كانت المعرفة أتم كان الحب أقوى والعكس صحيح .

**لأجل هذا كان الناس متفاوتين في حبهم** للأشياء والأشخاص تفاوتا بينا تبعا لتفاوت إدراكهم ومعرفتهم .

وإذا كانت وسائل المعرفة والإدراك لدى المرء سليمة وصحيحة أحب الإنسان ما ينفعه ويصلحه ، وإلا أحب الضار يحسبه نافعا والفاسد يحسبه صالحا .

**وبناء على هذا يمكن أن نعرف الحب بأنه** : ميل القلب فطرة أو إدراكا ومعرفة الى ما يوافقه ويستحسنه .

## (ج) المحبة في النصوص الشريعة :

أما في الشرع فقد ورد لفظ الحب في القرآن والسنة بكل جوانبه الطبيعية والشرعية .

فالجوانب الفطرية أو الطبيعية مثل حب الآباء والأبناء والأزواج وحب المال وسائر الشهوات .

**قال تعالى** :

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } (آل عمران : ١٤ ) .

**وقال تعالى** :

{ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (الفجر : ٢٠ ) .

**وقال** :

{ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } (العاديات : ٨ ) .

**وقال :**

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ } (القيامة : ٢٠ )

**وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال** سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين : في حب الدنيا وطول الأمل » [١]، وأخرج عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر » [٢].

**هذه هي المحبة الفطرية** الجبلية كما وردت في النصوص الشرعية ، وأما المحبة الشرعية- أعني حب الله ورسوله- فالنصوص الواردة فيها كثيرة وإليك بيانها :

## (د) حب الله عز وجل :

ولنبدأ بحب الله تعالى ، أما النصوص الواردة في حب الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف تأتي في المبحث القادم .

فقد جاء لفظ الحب في القرآن والسنة لبيان حب الله لعباده المؤمنين وذلك **في مثل قوله تعالى :**

{ ...فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...} (المائدة : ٥٤ ).

**وقوله تعالى :**

{ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ } (البقرة : ٢٢٢)

**وقوله تعالى :**

{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ }(الصف :٤).

**وفيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله قال : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » .... ) الحديث [٣].

---

١) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب من بلغ ستين سنة ٨ / ١١١ .
٢) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب من بلغ ستين سنة ٨ / ١١١ .
٣) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع ، ٨ / ١٣١ .

**وأخـــرج البخــــاري ومســــلم** بسنديهما عـن عائشـة رضـي الله عنهـا : « أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ " قل هو الله أحد " فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ " فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله يحبه » (١) .

**كما ورد ما يثبت حب المؤمنين لربهم عز وجل وذلك كقوله تعالى** :

{ ...وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ...} (البقرة : ١٦٥ ) .

**وقوله تعالى** :

{ ...فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...} (المائدة : ٥٤ ) .

**وقوله تعالى** :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...} (آل عمران : ٣١ ) .

**وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك** (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : « متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله .

**قال** : أنت مع من أحببت » (٢) .

**ومن ثم يتبين لنا أن** الحب علاقة متبادلة بين الله تعالى وبين عباده المؤمنين . لكن حب الله لعباده صفة من صفاته منزهة عن مشابهة صفات المخلوقين ونصوص الكتاب والسنة تؤكد ذلك أتم تأكيد .

---

١) صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، ٩ / ١٤٠-١٤١ . ومسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب فضل قراءة « قل هو الله أحد ، ١ / ٥٥٧ .

٢) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب علامة الحب في الله ، ٨ / ٤٩ ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٣ .

**وجمهور السلف على إثبات** حب الله لعباده كصفة من صفاته كما يليق بذاته سبحانه ، بلا كيف ولا تأويل ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها كما أنهم يثبتون محبة العباد لربهم محبة حقيقية قلبية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

( وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة ، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية ، بل هي أكمل محبة ، **فإنها كما قال تعالى** :

{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ } (البقرة : ١٦٥ )

وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية ) [(١)] .

**ومع وضوح هذا الأمر إلا أن** أهل الأهواء والبدع من الجهمية ومن تابعهم من المتكلمين حادوا عن إثبات حب الله لعباده كصفة من صفاته سبحان وتعالى . متأولين محبته سبحانه بإرادة الإحسان ، أو بإحسانه وإنعامه على عباده . كما أنهم أولوا محبة العباد لربهم بأنها محبة طاعته ، أو محبة إحسانه وثوابه [(٢)] .

**وهذا التأويل**- مع بطلانه- يؤدي إلى إنكار المحبة ، ومتى بطلت المحبة بطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، وخلت الأعمال من روحها ، إذ هي أصل كما عمل ديني . فإنكارهم للمحبة إنكار لحقيقة الإسلام ، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله ، فمن لا محبة في قلبه لله ورسوله فلا إيمان له ألبتة [(٣)] .

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب . عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد . طبع مكتبة المعارف . الرباط . المغرب ١٠ / ٦٦ . وانظر تفسير القاسمي . المسمى محاسن التأويل . محمد جمال الدين القاسمي . تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقي . ط ٢ ، طبع دار الفكر . بيروت ، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م ، ٦ / ٢٥٣- ٢٥٥ .

٢) ) انظر في بيان ذلك : الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري . ط١ . طبع دار الفكر . بيروت ، ١٩٧٧ ، ١ / ٦٢١- ٦٢٢ . والتفسير الكبير للفخر الرازي . ط٣ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٤ / ٢٠٥ ـ ٢٠٨ .

٣) ) انظر في الرد على هذا التأويل . مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٦ / ٤٧٧ وما بعدها ، ١٠ / ٦٦ وما بعدها والنبوات لابن تيمية ، ص ٦٦ وما بعدها . ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . لابن القيم الجوزي تحقيق . محمد حامد الفقي . طبع دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٣٩٢هـ ٣ / ١٨ وما بعدها .

## (هـ) محبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم :

وبعد أن تكلمنا عن ورود لفظ الحب في اللغة والشرع نريد أن نخلص إلى تحديد مفهوم محبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم .

**فأقول إنه لما كان الحب لغة** : ميل القلب فطرة أو إدراكا ومعرفة إلى ما يوافقه ويستحسنه .

**فكذلك محبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم معناها :**

أن يميل قلب المسلم إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ميلا يتجلى فيه إيثاره صلى اللّه عليه وسلم على كل محبوب من نفس ووالد وولد والناس أجمعين وذلك لما- خصه اللّه من كريم الخصال وعظيم الشمائل ، وما أجراه على يديه من صنوف الخير والبركات لأمته ، وما امتن اللّه على العباد ببعثته ورسالته إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلا وشرعا .

**يقول النووي ملخصا كلام القاضي عياض :**

(**وبالجملة فأصل المحبة** : الميل إلى ما يوافق المحب ، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه ، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها ، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كحب الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقا ، وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار والمكاره عنه .

وهذه المعاني كلها موجودة في النبي صلى اللّه عليه وسلم لما جمع من جمال الظاهر والباطن ، وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل ، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم والأبعاد من الجحيم) ([1]) .

**وحب المسلم لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم** عمل قلبي من أجل أعمال القلوب وأمر وجداني يجده المسلم في قلبه ، وعاطفة طيبة تجيش بها نفسه ، وإن تفاوتت درجة الشعور بهذا الحب تبعا لقوة الإيمان أو ضعفه .

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي . طبع دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ ، ٢ / ١٤ .

**وليس هذا الحب أمرا عقليا** مجردا عن الميل القلبى كما ذهب إليه البيضاوي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر : عند شرح قوله صلى الله عليه وسلم : " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما قال :

(**المراد بالحب هنا الحب العقلي** الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله .

فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل- والعقل يقتضي رجحان ذلك- تمرن على الائتمار بأمره حيث يصير هواه تبعا له ويلتذ به التذاذا عقليا ،إذ الالتذاذ العقلي: إدراك مما هو كمال وخير من حيث هو كذلك ) [١] .

## وقد تعقبه صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد بقوله :

( .... كلامه على قواعد الجهمية ونحوهم من نفي محبة المؤمنين لربهم ومحبته لهم والحق بخلاف ذلك ، بل المراد في الحديث أن يكون الله ورسوله عند العبد أحب إليه مما سواهما حبا قلبيا .

.... وأما مجرد إيثار ما يقتضي العقل رجحانه وإن كان على خلاف هوى النذر كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه .

.... فهذا قد يكون في بعض الأمور علامة على الحب ولازما له . لا أنه الحب ) [٢]

ثم إن إدراك العقل للكمال أو الخير أو أي معنى من المعاني الفاضلة لا يكفي حتى نسميه حبا ، بل لا بد مع ذلك من الميل القلبي والتعلق النفسي .

وتمثيله حال من آثر محبة الله ورسوله- وإن كان على خلاف هوى النفس- بحال المريض مع الدواء المر- الذي تعافه نفسه ويميل عقله إلى تناوله- تمثيل غير مناسب وغير لائق أيضا .

---

١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة بيروت ١ / ٦٠- ٦١ .
٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . ط٣ ، طبع المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٣٩٧هـ ، ص٤٧٦ ، ٤٧٧ .

لأن من كانت محبته لله ورسوله كمحبة المريض للدواء المر جدير بأن يقال أنه وجد مرارة الإيمان لا حلاوته .

وإنما يجد حلاوة الإيمان من كان هواه وقلبه في تلك المحبة مناصرا لعقله ومسايرا له جنبا إلى جنب [١] .

وإذا كان هناك من فسر حب الله ورسوله بأنه حب عقلي ، فهناك من يظن أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تعني طاعته ، وهذا فهم خاطئ إذ أن محبته هي أساس طاعته ، والطاعة شرط للمحبة وثمرتها .

فالطاعة أمر زائد على المحبة ومترتب عليها .

**كما أن هذا الحب** أمر زائد على الإعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسمو أخلاقه وعظمة تعاليمه .

إذ نرى كثيرا ممن لا ينتسبون إلى الإسلام ولا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم يبدون إعجابهم وتقديرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويفيضون في بيان جوانب عظمته ، ومع ذلك لا يمكن أن نسمي هذا الإعجاب حبا شرعيا حتى يكون هناك إيمان بدين الإسلام .

ولقد كان أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه ويحوطه ويصد عنه أذى قريش بما استطاع . ومع هذا فلم يثمر ذلك حبا وإيمانا منه بدين الإسلام لأن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حب قرابة وحمية جاهلية .

**نخلص من هذا إلى أن المحبة الحقيقية** لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي المحبة الشرعية الإرادية الاختيارية ، وهي عمل قلبي من أجل أعمال القلوب ، ورابطة من أوثق روابط النفوس تربط المسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعل قلبه وهمه وفكره وإرادته متوجهة لتحصيل ما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

---

١) انظر . المختار من كنوز السنة . محمد عبد الله دراز . راجعه وأشرف على طبعه الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، ط٤ ، قطر ص٤٤٠ .

### (و) الصلة بين محبة اللّه ومحبة رسوله صلى اللّه عليه وسلم :

الصلة بين المحبتين هي صلة الفرع بالأصل والتابع بالمتبوع فمحبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبتنا لله عز وجل ، إذ هي أساس المحبة الدينية الشرعية ومصدرها ، وكل ما سواها من المحاب الشرعية تبع لها . وذلك كمحبة الأنبياء والصالحين ومحبة كل ما يحبه الله ورسوله .

## قال ابن تيمية :

(وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم ، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله .

**كما قال تعالى** :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ } (آل عمران : ٣١ ) [١] .

وعلى ذلك فلا تنفك إحدى المحبتين عن الأخرى فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك سائر رسله ومحبة الرسول تبع لمحبة من أرسله . ولأجل هذا جاء حب الرسول صلى الله عليه وسلم مقترنا بحب الله عز وجل في أكثر النصوص الشرعية .

**قال تعالى** :

{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ...} (التوبة:٢٤)

**وفي الحديث** « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » [٢] .

---

١) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٦٤٩ .
٢) صحيح البخاري . كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ١ / ١٠ .

وهذا الارتباط بين المحبتين ارتباط شرعي لا ينفك . فمن زعم أنه يحب الله ولم يحب رسوله صلى الله عليه وسلم أو العكس فكلامه باطل واعتقاده فاسد . [1]

## وجوب محبة النبي صلي اللهّ عليه وسلم :

إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عقد من عقود الإيمان ولزوم سنته وإتباع هدية علامة المحبة الصادقة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه من أعظم أسباب محبة المولى عز وجل .

والمولى عز وجل قد افترض على عباده محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسد الطريق إلي جنته إلا من سلك خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**قال الحسن البصري** : ادعي ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية.

" قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ..." ( آل عمران:٣١)

## الأدلة من كتاب والسنة علي وجوب محبته صلي اللهّ عليه وسلم :

**وأدلة هذا كثيرة من القرآن والسنة .**

**فمن القرآن :**

**( أ) قوله تعالى :**

{ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ }(التوبة : ٢٤) .

ففي هذه الآية توعد الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد **في سبيله بقوله :**

{ ...فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ ...} (التوبة : ٢٤) .

---

١)عبد الرءوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، الطبعة : الأولى ، الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض ، تاريخ النشر:١٤١٤هـ ، ص ٤٠ – ٤٩ .

ومعلـوم أن الله لا يتوعـد أحـدا بمثـل هـذا الوعيـد الشـديد إلا علـى تـرك واجـب أو فعل محرم .

فعلم بـذلك أنـه يجـب علـى كـل مـؤمن أن يكـون الله ورسـوله ، والجهـاد في سـبيله أحب إليه من الأهل والإخوان والأموال والأوطان .

## يقول القاضي عياض مستدلا بهذه الآية :

( فكفى بهذا حضا وتنبها ودلالة وحجة على إلزام محبته ، ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله ، **وتوعدهم بقوله تعالى** :

{ ...فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ...}

ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله ) [(١)] .

**وقـد ذكـر الله في هـذه الآيـة ثمانيـة أصـناف** وهم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارات والمساكن والديار. وهـذه الأصناف تمثل بمجموعها كافة الروابط الاجتماعية والاقتصادية وعليها مدار مصالح الحلق ومعايشهم . وهي التي تجذب الإنسان إلى الأرض وتثقله عن الجهاد في ، سبيل الله ما لم يكن حب الله ورسوله مستعليا في قلب المسلم على كل هذه الروابط والمصالح .

وفي ذكر الله للجهاد مقرونا بحبه سبحانه وتعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه من أظهر العلامات على ذلك الحب لأنه هو المحك الذي يتجلى فيه صدق هذا الحب وإيثاره على غيره من الكتاب التي ذكرها الله في هذه الآية .

**ومن رحمة الله عـز رجـل أنـه** لم يذم حب الأهل والأقارب والأزواج ولا حب المال المتكسب والمساكن ولم ينه عن ذلك . وإنما جعل من مقتضى الإيمان إيثار محبة الله ورسوله على حب هذه الأنواع ، وكذلك تقديم الجهاد إذا وجب عليها .

وهذا هو حال المؤمنين الصادقين في حبهم لله ورسوله [(١)] .

---

١) الشفا ، ٢ / ١٨ .

**(ب) قوله تعالى :**

{ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ } (الأحزاب : ٦ )

فهذه الآية إخبار عن مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين ، كما أنها أيضا إخبار عن الحال التي ينبغي أن يكون فيها المؤمنون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو أولى بهم من أنفسهم ولا يكون كذلك حتى يكون أحب إليهم من أنفسهم .

ويبين ابن القيم أن هذه الآية دليل على أن من لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ثم يوضح أن هذه الأولوية تتضمن أمرين :

١ - ( ... أن يكون أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفس العبد أحب إليه من غيره ومع هذا يجب ان يكون الرسول أولى به منها ، وأحب إليه منها ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه .

٢ - **ومنها** : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا ، بل الحكم على نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها ) (٢) .

فتبين من هذا أنه يجب على كل مؤمن أن يكون الرسول أولى به من نفسه في كل شيء ، وأن يكون حكمه صلى الله عليه وسلم في أي شيء مقدما على رغبات النفس وتطلعاتها ، بل إن الحياة لتعد هينة ورخيصة بجانب تحقيق ما فرضه الله ورسوله وإن كان على خلاف هوى النفس . لأن نفوسنا تدعونا إلى الهلاك ، والرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا إلى النجاة فكان أولى بنا من أنفسنا صلى الله عليه وسلم .

وحينما أيقن المسلمون الأولون بذلك أعزهم الله ومكن لهم في الأرض . فلما غلبت الأهواء واتبعت الشهوات صار الحال مبدلا معكوسا . ذلة وهوان بعد عزة وضياع وتفرق بعد القوة والتمكين . والسبب هو تقديم الأهواء وشهوات الأنفس عل ما يحبه الله ورسوله .

---

١) انظر تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٠ / ٢٢٥ - ٢٤٢ .
٢) الرسالة التبوكية . لابن القيم . مراجعة الشيخ عبد الطاهر أبي السمح ، ط١ ، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها مكة المكرمة ، ١٣٤٧ هـ ، ص ٢١- ٢٢ .

الأدلة من السنة :

**وقد جاءت الأحاديث** لتؤكد مدلول هاتين الآيتين- أبلغ تأكيد وأوضحه ألا وهو وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

**فمنها ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال** : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » [1] ، وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » [2] .

فهذان الحديثان من أوضح الأدلة على وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن المؤمن لايستحق اسم الإيمان الكامل ولا يدخل في عداد الناجين حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين . والتعبير " بأحب " دليل صريح كل أن المحبة المطلوبة شرعا هي المحبة الراجحة ، وأن الإيمان الكامل متوقف على رجحان هذه المحبة في القلب على ما سواها من محبة سائر المخلوقين .

وخص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان ، بل ربما كانا أحب إليه من نفسه ، وفي هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر جميعا ([3]) .

ونفى الإيمان في هذا الحديث هو نفى لكمال الإيمان الواجب الذي ينجو به صاحبه من الوعيد ويستحق دخول الجنة بفضل الله . وذلك لأن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من واجبات الإيمان فمن أخل بها فقد أخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها .

---

١ ) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ١ / ١٠ .
٢ ) صحيح البخاري كتاب الإيمان . باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ١ / ١٠ . ومسلم . كتاب الإيمان . باب وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ١ / ١٠ .
٣ ) انظر فتح الباري ، ١ / ٥٩ .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية :**

(والمقصود هنا أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى أحماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان ، والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج ، وغير ذلك فإنما يكون لترك واجب من ذلك المسمى ، **ومن ذلك قوله تعالى** :

{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (النساء : ٦٥ )

**فلما نفى- الإيمان** - حتى توجد هذه الغاية ، دل على أن هذه الغاية فرض على الناس ، فمن تركها كان من أهل الوعيد ، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذكي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب ، فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما أمر به وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض للوعيد ) [١] .

**فنفي الإيمان عند عدم وجود المحبة** الراجحة يدل على أنها واجبة وإن من لم يأت بها فقد تعرض للوعيد ، فإن الله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر- أمر به الله ورسوله - إلا إذا ترك بعض واجباته ، فأما إذا كان الفعل مستحب في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب ، ولو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، بل ولا أبو بكر ولا عمر ، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفا عنه لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين وهذا لا يقوله عاقل . فإن قال إن المنفي هو الكمال ، فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة ، فقد صدق .

وإن أراد أنه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم [٢] .

---

١) مجموع الفتاوى ، ٧ / ١٥ وما بعدها.
٢) انظر المصدر نفسه ٧ / ٣٧ .

**ومعنى هذا أن** محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان وواجباته فلا يتحقق الإيمان بدونها ، ولا يستحق المؤمن اسم الإيمان بدونها ، وأن نفي الإيمان في الحديث إنما هو نفي لكمال الإيمان الواجب إذا لم توجد المحبة الراجحة على ما سواها من سائر المحاب فإذا وجدت هذه المحبة على هذه الصفة فهي دليل على كمال الإيمان بالنسبة لمن اتصف بها في هذا الجانب . وأما إذا لم توجد هذه المحبة على الصفة الراجحة كان من اتصف بها معرضا للوعيد لأنه أخل بواجب من واجبات الإيمان التي لا يتم الإيمان بدونها .

**ومن الأحاديث الدالة على وجوب المحبة ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن هشام قال** : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك قال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر » (١) .

فهذا الحديث يبين أنه لا يبلغ المسلم حقيقة الإيمان حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه .

وتلك هي قمة السمو في الحب حين يستعلى المسلم على رغبات النفس وشهواتها مؤثرا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل ذلك، ويتبين هذا إذا تعارض أي أمر أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم مع رغبة من رغبات النفس فأيهما تقدم كان الحكم له.

**ونقل ابن حجر في شرح هذا الحديث عن بعض الزهاد أن :**

(تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه الهلاك .

---

١) صحيح البخاري . كتاب الإيمان والنذور . باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ٨ / ١٦١ .

... **وقال الخطابي** : حب الإنسان نفسه طبع ، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه ) .

## ثم يستطرد ابن حجر معلقا على كلام الخطابي فيقول :

(فعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى ، فأخبر بما اقتضاه الاختيار ولذلك حصل الجواب بقوله :

« الآن يا عمر » أي الآن عرفت فنطقت بما يجب ) [1] .

إذا فلم يكن حصول المحبة عند عمر رضي الله عنه أمرا جديدا على نفسه وإنما كان الجديد لديه هو إدراكه لتلك المحبة والتفاته إليها .

## وفي هذا الحديث إشارة إلى فضيلة التفكر .

فإن عمر رضي الله عنه لما أجاب أول الأمر لم يكن قد تفكر في كون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ، فلما استوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم وراجعه تفكر وامتحن نفسه فإذا به يصل إلى النتيجة المطلوبة . وهي كون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه . لأجل هذا كان التفكر سبيلا من سبل الوصول إلى هذه المحبة . فإذا تفكر المسلم في النفع الحاصل له من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه سبب نجاته في الدنيا والآخرة ، وأدرك ذلك بقلبه يقينا عظمت عند ذاك محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه .

وبعد أن تبين لنا وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلته من القرآن والسنة . أود أن أشير إلى أن هذه المحبة- كما قال ابن رجب على درجتين :

١ - **إحداهما- فرض** : وهي المحبة التي تقتضى قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله ، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ، من تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه .

---

١) فتح الباري ، ١١ / ٥٢٨ .

٢ - **والدرجة الثانية** : فضل ، وهي المحبة التي تقتضى حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته ، في أخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه ، وحسن محاضرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة ، وأخلاقه الطاهرة . والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه ، واهتزاز القلب من محبته ، وتعظيمه ، وتوقره ومحبة استماع كلامه ، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين . ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ، ورغبته في الآخرة [(١)] .

ومما سبق يتبين لنا أن المحبة والإيمان أمران متلازمان في قلب المؤمن تلازما مطردا يزيد أحدهما بزيادة الآخر وينقص بنقصانه .

**كما جاء ذلك مبينا في قوله صلى اللّه عليه وسلم** : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده والناس أجمعين » [(٢)] .

فقد وضح هذا الحديث العلاقة بين الإيمان والمحبة ، إذ علق كمال الإيمان الواجب على وجود المحبة الراجحة لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وجعلها شرطا يتوقف عليه الإيمان الذي ينجو به صاحبه من العقاب ويستحق دخول الجنة بفضل اللّٰه ورحمته .

ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان حب الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم في قلب المسلم راجحا على حب ما سواه من النفس والمال والولد وسائر البشر أجمعين .

فمن كان حبه لنفسه أو لشيء من الأشياء كحبه للّٰه ورسوله أو أشد فهو من أصحاب الوعيد لأن اللّٰه تعالى جعل المحبة الراجحة للّٰه ورسوله من لوازم الإيمان وجعل ما دونها من أوصاف المشركين .

**فقال تعالى** :

{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ...}(البقرة : ١٦٥ )

---

١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس . لأبي الفرج عبد الر حمن بن رجب الحنبلي . طبع مطبعة الإمام . مصر ص٣٤ ، ٣٥ .
٢) سبق تخريجه.

فإذا قويت المحبة في قلب المؤمن وزادت أثمر ذلك زيادة في الإيمان ، وذاق العبد حينئذ حلاوة الإيمان .

كما في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . . . » الحديث ) [1] .

ولا يصل العبد إلى هذه المنزلة إلا إذا سعى في تحصيل ما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأفعال .

وكلما كان سعي العبد حثيثا لتحصيل هذه المحبوبات كلما ازداد إيمانه وذاق حلاوته ، وإذا قصر العبد في أداء ما كلف به والالتزام بآداب الشرع فإنما يرجع ذلك إلى نقصان في الإيمان الدال على نقصان المحبة . فزيادة المحبة دليل على زيادة الإيمان ونقصانها دليل على نقصان الإيمان .

أما أصل الإيمان فلا يوجد بدون وجود المحبة ، ولا يوجد مسلم ليس في قلبه محبة ولو كانت ضعيفة - لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتبين لنا من هذا أن العلاقة بين المحبة والإيمان علاقة وثيقة فوجود أحدهما متوقف على وجود الآخر وزيادة أحدهما تعني زيادة الآخر. [2]

## علو منزلته صلى اللّه عليه وسلم

أما ما جاء في القرآن الكريم :

" لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ " ( آل عمران : ١٦٤ ) .

وقد بينت هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم نعمه الله الكبرى التي امتن بها على البشرية جمعاء وخص منهم المسلمين المؤمنين .

---

١) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان ١ / ١٠ . وصحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦ .

٢) عبد الرءوف محمد عثمان ، حبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، ص ٥٠ – ٦٠ .

وهو صلى الله عليه وسلم النعمة التي عرفها المنكرون ثم جحدوا بها .

" يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ..." ( النحل : ٨٣ ) .

وهو صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين عموماً :

" وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ " ( الأنبياء : ١٠٧ )

وللمؤمنين خصوصاً " لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " ( التوبة : ١٢٨ ) .

**ومن فضله** صلى الله عليه وسلم أن جعله الله سبحانه أمانا للناس من نزول العذاب ما دام بين أظهرهم :

" وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " ( الأنفال : ٣٣ )

**وجعل طاعته من طاعته** :

" مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ..." ( النساء : ٨٠ )

**ورضاه من رضاه** :

" ...وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ..." ( التوبة : ٦٢ )

**ومن فضله صلى الله عليه وسلم ما جاء في قوله تعالي** :

" وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ "( آل عمران : ٨١ )

ومن ذلك أن الله عزوجل غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال تعالي :

" لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا" ( الفتح : ٢ ) .

**وهو صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود :**

" ...عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا " ( الإسراء : ٧٩ )

**والمقام المحمود هو الشفاعة العظمي .**

ومن ذلك أنه تعالي أقسم بحياته ولم يقسم بحياة أحد من خلقه غيره صلى الله عليه وسلم .

" لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِى سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ " ( الحجر : ٧٢ )

ومن ذلك أن الله عزوجل وقره في ندائه فناداه بأحب أسمائه وأسمي أوصافه فقال :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ " ( الأنفال : ٦٤ )

وقال :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ " ( المائدة : ٤١ )

ونادي الأنبياء بأسمائهم الأعلام .

ومن تمام الفضل والإكرام أن الله سبحانه وتعالي تولي الصلاة عليه بنفسه :

" إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا " ( الأحزاب : ٥٦ )

ومن ذلك حين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه وتسليم الحجر عليه وتكثير الطعام بين يديه وانشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم .

## ومما جاء في السنة النبوية المطهرة :

**فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال** : قال صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع " رواه أحمد ومسلم .

**وقــال صــلـى اللهّ عـليــه وســلـم** : " إن اللّه عزوجل اصطفي كفانه من ولد إسماعيل عليه السلام واصطفي قريشاً من كفانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " رواه مسلم .

**وقال صلى اللهّ عليه وسلم** : " أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر " رواه مسلم .

**وقــال صــلـى اللهّ عـليــه وســلـم** : " وأتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك " رواه مسلم

**وعن هشام بن عروة عن أبيه قال** : " كانت خوله بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي صلى اللّه عليه وسلم ، فقالت عائشة : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟ فلما نزلت " ترجي من تشاء منهن " قلت يا رسول اللّه ما أري ربك إلا يسارع في هواك " رواه البخاري .

**وعن أبي ذر قال** : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي كان قبلي ، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، تُعطَه فاختباتها شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء اللّه من لقي اللّه عزوجل لا يشرك به شيئاً " رواه أحمد وأبو داود .

**وقــال صــلـى اللهّ عـليــه وســلـم** : " مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة " رواه مسلم : " فجئت فختمت الأنبياء " رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .

**وقال صلى اللهّ عليه وسلم** : " ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وصياً أوصاه اللّه عزوجل إليّ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي .

**وقال صلى اللّه عليه وسلم** : " إني عند اللّٰه في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن أدم لَمُنجدَلٌ في طنيته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسي قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك تري أمهات النبيين صلوات اللّٰه عليهم " رواه أحمد والطبراني والبيهقي والحاكم .

**وعن أنس رضي اللّه عنه أن** رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ليلة أسري به أُتي بالبراق مُسرجاً ملجماً فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما حماك على هذا فواللّٰه ما ركبك خلق قط أكرم على اللّٰه منه ، قال : فأرفض عرقاً " ( **أي سال عرقا** ) رواه الترمذي وابن حبان .

## جملة من فضائله صلى اللّه عليه وسلم :-

وجمع القاضي عياض رحمه اللّٰه جملة مباركة منه حيث قال : فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلي ما لا يأخذه ولا يُعبُّر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخُلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤيا والقرب والدنو والوحي والشافعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلي الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثمٌ والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضي والسُّؤل والكوثر وسماع القول ولإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيناء الكتاب والحكمة والسبع المثانى والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلي اللّٰه وصلاة اللّٰه تعالي والملائكة والحكم بين الجمادات والعُجم ( البهائم ) وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعَه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلي ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه

ذلك ومفضّله به إله غيره ، إلي ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس وحرابت السعادة والحسني والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم " (١)

**وقال أبو حامد الغزالي** : كان صلى اللّه عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأسخى الناس ، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامة فيؤثر منه حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا ينبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يتكبر عن إجابة الأمة والمسكين ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسلمين ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ....... " أ . هـ . (٢)

---

(١) القاضي عياض ، الشفاء ، ٣٧/١ .
(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٥٠١/٢ ــ ٥٠٣.

# الفصل الثالث

## أسباب زيادة محبته صلى اللّه عليه وسلم



## أسباب زيادة محبته صلى اللّه عليه وسلم :

يرتبط الحب في قلب الإنسان بدوافع وبواعث تبعث عليه مهمتها أن تحرك القلب وتدفعه نحو محبوباته .

وتتعدد هذه الدوافع وتتنوع بحسب تنوع المحبوبات واختلافها . فمن الحب ما تدفع إليه البواعث الحسية ، أو العقلية ، أو القلبية . وذلك لوجود صفات قامت بالمحبوب واتصف بها من كمال ، أو جمال ، أو إحسان ، أو غير ذلك من الدواعي والأسباب الباعثة على الحب . وإذا نظرنا إلى محبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم فسنجد أن البواعث عليها متنوعة ومتعددة ، وذلك لكثرة ما خصه اللّه به من أنواع الفضائل ، وما أجراه على يديه من الخيرات لأمته . إلى غير ذلك من الدواعي التي ترجع إلى مجموع خصائص النبي صلى اللّه عليه وسلم وصفاته ومنها :

### أولا : أن حب المسلم للرسول صلى اللّه عليه وسلم تابع لحبه للّه عز وجل :

وذلك لأن محبة اللّه تعالى هي أساس المحبة الشرعية ، لأن اللّه هو المحبوب لذاته وكل ما سواه مما يحب شرعا فمحبته تابعة لمحبة اللّه عز وجل . وذلك كمحبة أنبيائه ورسله وملائكته وعباده الصالحين ، وكذلك محبة الأعمال والأخلاق التي يحبها اللّه ويرضاها . فمحبة ذلك كله تبع لمحبة اللّه عز وجل وهي من لوازم محبته فإن محبة اللّه توجب محبة ما يحبه اللّه .

وعلى ذلك فمن أحب اللّه أحب رسوله صلى اللّه عليه وسلم لأجل حب اللّه عز وجل ، فإن الرسول إنما يحب لأجل اللّه ، ويطاع لأجل اللّه [١] كما قال اللّه تعالى :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...} (آل عمران : ٣١ )

---

١ ) انظر . مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ١٠ / ٦٤٩ .

## ثانيا : أن اللّه تعالى أحبه واختاره من خلقه فحب ما يحبه اللّه من لوازم محبته :

ذلك أن اللّٰه اصطفاه على الناس برسالته ، وجعله خاتم النبيين ، وأفضل الخلق أجمعين وحبيب رب العالمين ، كما روى مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع قال سمعت النبي صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « إن اللّٰه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل . واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » (١) .

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله .

إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا " وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة . وأنا خاتم النبيين » (٢) وأخرج مسلم بسنده عن إبي هريرة أيضا قال- قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع » (٣) .

وقد ثبت في الحديث أن اللّٰه إذا أحب عبدا وضع له المحبة والقبول عند أهل الأرض والسماء . أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « إذا أحب اللّٰه عبدا نادى جبريل إن اللّٰه يحب فلانا فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء إن اللّٰه يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض » (٤) .

### قال ابن حجر :

( **المراد بالقبول في حديث الباب** : قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة اللّٰه ) (٥) ، وإذا كان هذا الشأن في عامة عباد اللّٰه فأولى بهذه المحبة وذلك القبول أفضل الخلق أجمعين رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم .

---

١) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ٤ / ١٧٨٢ .
٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب . باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ٤ / ٢٢٦ ، ومسلم - كتاب الفضائل باب كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ٤ / ١٧٩١ .
٣) كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ٤ / ١٧٨٢ .
٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب المقة من الله ٨ / ١٧ .
٥) فتح الباري ، ١٠ / ٤٦٢.

وقد تحقق هذا وأضعاف أضعافه ، إذ لم تعرف الدنيا رجلا فاضت القلوب بحبه وفدته النفوس بكل عزيز وغال مثلما عرف ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أولئك الذين ناصبوه العداء لم يملكوا أنفسهم من سيطرة الإعجاب برسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلاله .

فرسول الله أهل لأن يحب ، لحب الله له واختياره لهذا الخير العميم . ومظاهر حب الله لرسوله كثيرة جدا منها :

**(أ) اختياره واصطفاؤه لمقام النبوة والرسالة . إذ لا يختار الله لهذا الأمر إلا من أحبهم وارتضاهم .**

**كما قال تعالى :**

{ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ } (الحج : ٧٥ )

**وقال تعالى :**

{ ...ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ...} (الأنعام : ١٢٤ )

**وقال تعالى :**

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا } (الأحزاب : ٤٥-٤٦ )

**(ب) تشريفه صلى الله عليه وسلم بإنزال القرآن عليه .**

**قال تعالى :**

{ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} (الشوري : ٥٢ )

**وقال تعالى :**

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ } (الحجر : ٨٧)

**(ج) إكرامه صلى اللّٰه عليه وسلم بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره وإعلاء قدره قال تعالى :**

{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (الشرح : ١ – ٤ )

**(د) تكريمه بصلاة اللّٰه وملائكته عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين كما قال تعالى :**

{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا } (الأحزاب : ٥٦ )

والصلاة من اللّٰه تتضمن الثناء عليه ومن الملائكة الدعاء له صلى اللّٰه عليه وسلم .

**(هـ) تشريفه بمقام الخلة**

وهي أرفع درجة من المحبة ، ولم ينلها من الأنبياء سوى إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم خليل الرحمن كما كان إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن .

أخرج مسلم بسنده عن جندب قال سمعت النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى اللّٰه أن يكون لي منكم خليل فإن اللّٰه قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا .

الا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد . ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك » (١) .

**(و) إن اللّٰه جعله رحمة للعالمين**

الإنس والجن ، رحمة للمؤمنين منهم ، بالعز في الدنيا والنجاة في الآخرة وللكافرين بإمهالهم وتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة . كما قال تعالى :

{ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ } (الأنبياء : ١٠٧ )

---

١ ) صحيح مسلم . كتاب المساجد . باب النهي عن بناء القبور مساجد ١ / ٣٧٥- ٣٧٦ .

**قال ابن القيم :**

**(وأصح القولين في قوله تعالى :**

{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ } (الأنبياء : ١٠٧ )

**إنه باق على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان :**

**أحدهما** : أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته ، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة ، وأما أعداؤه المحاربون له ، فالذين عجّل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة ، وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر ، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له . وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها .

وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

**الوجه الثاني** : أنه رحمة لكل أحد ، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى ، والكفار ردوها ، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها ) [1] .

**وأخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة قال** : « قيل لرسول الله : ادع على المشركين ، قال : ( إني لم أبعث لعَّانا ، وإنما بعثت رحمة ) » [2] .

**(ز) ما خصه الله به وفضله على سائر الأنبياء . كإحلال الغنائم له ، ونصرته بالرعب مسيرة شهر .**

كما في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب

---

١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم . تحقيق طه يوسف شاهين ، ط . دار الكتب العلمية بيروت ، ص٩٨ - ٩٩ .

٢) ) صحيح مسلم . كتاب البر والآداب والصلة . باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤ / ٢٠٠٦- ٢٠٠٧ .

مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » [1] .

**(ج) تشريفه وتكريمه يوم القيامة بكونه صاحب المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في أن يقضي الله بين الخلائق .**

وكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود ، وأول من تفتح له أبواب الجنة . إلى غير ذلك من وجوه التكريم والتشريف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتي تعد من أقوى الدوافع إلى محبته .

## ثالثا : كمال رأفته ورحمته بأمته وحرصه على هدايتها وإنقاذها من الهلكة :

حتى كادت أن تذهب نفسه أسفا على قومه ألا يكونوا مؤمنين **كما قال تعالى** :

{ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (الشعراء : ٣ )

**وقال تعالى** :

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة : ١٢٨ )

**وقال تعالى** :

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }

(آل عمران : ١٠٣ )

---

١) البخاري . كتاب التيمم ، باب . قول الله تعالى : « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا» ، ١ / ٩١- ٩٢ .

**وقال تعالى** :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الانفال : ٣٣ ) .

**وقال تعالى** :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧ ) .

وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى . منها ما أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عن عبد اللّٰه بن زيد قال : « لما أفاء اللّٰه على رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم يوم حنين قسَّم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم رسول اللّٰه ( فقال : يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم اللّٰه بي ، وكنتم متفرقين فألفكم اللّٰه بي ، وعالة فأغناكم اللّٰه بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا : اللّٰه ورسوله أمن . قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ؟ قال : كلما قال شيئًا قالوا : اللّٰه ورسوله أمن . قال : لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا . ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي صلى اللّٰه عليه وسلم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة ، لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها . الأنصار شعار ، والناس دثار . إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » (١) .

**ومنها ما أخرجه مسلم بسنده عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص :**
« **أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم تلا قول اللّٰه عز وجل في إبراهيم :**

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى . . .﴾ (إبراهيم : ٣٦ )

**وقال عيسى عليه السلام** :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(المائدة:١١٨)

---

١) البخاري . كتاب المغازي . باب غزوة الطائف ٥ / ٢٠٠ . ومسلم . كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ، ٢ / ٧٣٨ .

فرفع يديه وقال (اللهم! أمتي أمتي) وبكى . فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد – وربك أعلم– فسله ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال . وهو أعلم . فقال الله يا جبريل (اذهب إلى محمد فقل : أنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » (١) .

**ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم** – واللفظ له عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته .

وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا » (٢) .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبين حدب النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته ورحمته بها .

**وجدير بمن كان بمثل هذه الشفقة والرحمة أن** تتوجه قلوب المسلمين بكليتها إلى محبته وأن تجعل من حبه وسيلة قربى وزلفى إلى الله عز وجل .

## رابعا : كمال نصحه لأمته وهدايته لها وإحسانه إليها :

إذ دل الأمة على كل خير يقربها إلى ربها ، وحذرها من كل شر يجلب لها الذل والخزي في الدنيا والعذاب والنكال في الآخرة . فأصبح العز والتمكين في الدنيا والسعادة والنعيم في الآخرة متوقفا على اتباع منهجه وسلوك سبيله . **كما قال تعالى** :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٩٧) .

وإذا كان الإنسان بفطرته يحب من نصحه أو أحسن إليه مرة أو مرتين فما بالنا بالناصح الأمين البر الشفيق على أمته والذي كانت حياته كلها نصحا لأمته وتعليما لها وتزكية لأرواحها وأبدانها . وهو الذي هدى البشرية– بإذن ربها– إلى الصراط المستقيم

---

١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ، ١ /١٩١.

٢) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ١ / ١٨٩ ، والبخاري . كتاب الدعوات . باب لكل نبي دعوة مستجابة . ٨ / ٨٢ .

بعدما كانت تعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ، ولولا رحمة الله للناس ببعثته ورسالته لعاش الناس في بحار الظلمات تتقاذفهم الأمواج فلا يجدون إلى ساحل الهداية سبيلا .

**يقول الله عز وجل :**

{ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ } (آل عمران : ١٦٤ )

**وقال تعالى :**

{ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ } (البقرة : ١٥١ – ١٥٢ )

لأجل هذا كانت المنة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة ، والنعمة بذلك جسيمة . ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من أدرك الفرق بين الهدى والضلال وبين الجاهلية والإسلام وبين رضى الله وسخطه .

فمن عرف هذا الفرق وأدركه إدراكا يقينيا علم عظم هذه النعمة التي لا تعادلها نعمة على ظهر الأرض ، وأحب الرسول صلى الله عليه وسلم بكل قلبه وآثر حب الله ورسوله على ما سواهما .

ولأجل هذا كان الصحابة أشد الخلق حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم عاشوا الجاهلية وعاينوها عن قرب فلما جاء الإسلام وأدركوا الفرق بين الظلمات والنور ازداد تمسكهم بالإسلام واشتد حبهم على مر الأيام لهذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم .

أما عظيم إحسانه إلى أمته ، فلأنه كان سبب انتفاع هذه الأمة بحياتها وأرواحها وأبدانها .

بل كان هو السبب- بإذن ربه- في حياة هذه الأمة كما قال تعالى ﷺ:

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ...}

(الأنفال : ٢٤)

وإذا كان الإنسان يحب أبويه لكونهما وسيلة وجوده ، ولأنهما منحاه الرعاية والعناية حتى استطاع شق طريقه في الحياة .

فرسول الله أولى بذلك الحب لأنه كان سبب انتفاع الإنسان بحياته وبدنه وروحه . فلولا الإيمان به واتباع دينه لكان الإنسان في درجة الحيوانات أو أحط كما كانت حال الجاهلية قبل أن تشرق عليهم شمس النبوة وهكذا الشأن في كل جاهلية قديما وحديثا .

## خامسا : ما خصه الله به من كريم الخصال ورفيع الأخلاق مما ميزه على سائر الخلق أجمعين :

ولو لم تكن له معجزة إلا أخلاقه العظيمة لكفت دليلا على صدق نبوته وسمو تعاليم رسالته .

والمطالع في سيرته صلى الله عليه وسلم ومواقفه المتعددة يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز من كل خلق أرفعه ، وتسنم ذرى الأخلاق حتى سما بها فكان كما وصفه ربه **بقوله تعالى** :

{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم : ٤ )

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس خلقا ، وأوسعهم صدرا وأصدقهم .

**فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس خلقا** ، وأوسعهم صدرا وأصدقهم لهجة ، وأكرمهم عشيرة ، وأوفاهم عهدا ، وأوصلهم للرحم ، قريبا من كل بر بعيدا عن كل إثم لا يقول إلا حقا ، ولا يعد إلا صدقا ، جوادا بماله ، فما قال لأحد : لا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، شجاعا يتقي به أصحابه عند شدة البأس ، صابرا محتسبا في جنب الله كل مكروه وأذى ، يسبق حلمه غضبه ويعفو عند المقدرة ، رحيم القلب ، طيب النفس ، آتاه الله الكمال في الخلق والخلق ، والقول والعمل ، وجمله بالسكينة والوقار ،

وكساه حسن القبول ، فاستمال القلوب وملك زمامها ، فانقادت النفوس لموافقته وثبتت القلوب على محبته ، وفدته النفوس بكل عزيز وغال .

**فجدير بمن كان بتلك المنزلة أن** تتوجه القلوب لمحبته ، وكلما اطلع الإنسان على جوانب خلقه الكريم ازداد حبا له . ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكمل الأمة حبا له لما شاهدوه وعاينوه من أحواله الشريفة وأخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم .

**هذه هي أهم موجبات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ودواعيها**

وهذه المحبة قد تضعف في قلب المسلم بسبب المعاصي والذنوب ، أو الإقبال على حطام الدنيا . لأجل هذا يجب على المسلم أن يأخذ بالأسباب التي تزيد من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

## أسباب زيادة المحبة :

يرتبط الحب في القلب بما يحركه من تذكر وتفكر ، ورؤية للآثار وسماع للأخبار .

ومع وجود هذه المحركات يزداد الحب في قلب الإنسان وتطلب النفس تحصيل المحبوبات . وحب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم يحركه في قلبه أمور كثيرة منها :

**١ - تذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله** :

إن للمعرفة ارتباطا وثيقا بالحب ، وإذا لم يعرف المسلم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ويتعرف عليه وعلى عظيم قدره ومكانته في نفسه وعند ربه ، فسيكون حبه له ضعيفا منزويا في أعماق الشعور والوجدان .

فإذا أراد المسلم أن يزداد حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد له من معرفته ومعرفة جوانب شخصيته وأخلاقه وذلك بمطالعة سيرته وشمائله وأيامه والنظر فيها بتمعن لاستخلاص الدروس والعبر والعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والأحداث التي واجهته والمواقف التي وقفها والأعمال التي قام بها والنظر إلى حال الصحابة معه وكيف كان عيشهم وجهادهم لأعدائهم وحبهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم .

فكلما طالع الإنسان سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدبرها أدرك عظمة رسول الله فازداد حبا له وشوقا إليه . ومما يكمل هذا الجانب التفكر فيما لاقاه الرسول

في سبيل تبليغ الدين وعظيم حرصه على هداية الناس جميعا وشفقته على أمته ورحمته بها فإذا أدرك المسلم هذا الأمر ازداد حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

**٢ -الوقوف على هديه صلى الله عليه وسلم والاشتغال بالسنة قولا وعملا :**

الوقوف على هديه صلى الله عليه وسلم وتدبر سنته والاقتداء به في كل أمر من أمور الدين حتى يكون المسلم على بصيرة ويقين من أنه على جادة الاتباع فيجعل الرسول صلى الله عليه وسلم أمامه في كل أمر يقوم به من أمور الدين وكأنه واحد من أصحابه يأتمر بأمره وينتهي بنهيه وكلما استمسك المسلم بهديه وسنته وعاش معها بقلبه ووجدانه كلما كان ذلك ادعى إلى تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه .

وإذا كان الحب مرتبطا بالمعرفة والتذكر، فأكثر الناس حبا له أهل سنته المشتغلون بها علما وعملا ، رواية ودراية لأنهم أعلم الأمة بأقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأخلاقه وشمائله ، ولو لم يكن لهم نصيب من حبه سوى الصلاة والسلام عليه لكفى بهذا شرفا .

**٣ - معرفة نعمة الله على عباده بهذا النبي صلى الله عليه وسلم :**

ومن أعظم أسباب هذه المعرفة التفكر في النفع الحاصل لهذه الأمة بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ونزول القرآن عليه .

وأنه سبب نجاة هذه الأمة في الدنيا والآخرة وأن كل خير وعز وسعادة حصلت لهذه الأمة أو يقدر لها أن تحصل فبسبب اتباعه .

وأن كل بلاء حصل لهذه الأمة أو سيحصل فسببه مخالفة ما جاء به من عند ربه .

وحتى تكتمل هذه المعرفة يتخيل الإنسان كيف سيكون حال هذه الأمة لو لم يبعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كان حالها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم كيف أصبح حالها بعد بعثته ونزول القرآن عليه . وكيف أن الله جمع به بعد فرقة ، ورفع به شأن هذه الأمة وأخرجها به من الظلمات إلى النور.

**قال تعالى :**

{ ...قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (المائدة : ١٥ - ١٦ )

**٤ - كثرة الصلاة والسلام عليه :**

إذ أنها من أعظم ما يربط قلب المسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعله متذكرا له دائما ، **قال تعالى :**

{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا } (الأحزاب ٥٦)

**وقد ورد الحث عليها والأمر بالإكثار منها في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :**

« من صلى علي واحدة ، صلى الله عليه عشرا » [1] . [2]

# كيف ترافق الحبيب صلى الله عليه وسلم في الجنة ؟!

إذا تاقت نفوس المؤمنين واشتاقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا سرت محبته صلى الله عليه وسلم في دمائهم ، وتمنوا أن يبلغوا محبته وينالوا شفاعته وأن يلحقوا به في الجنة فلابد وأن تكون لديهم نية صادقة وجهد وعمل لبلوغ هذه الأمنية ويظهر ذلك في حرص الصحابة كيف انتقلوا من الحب إلي الرفقة .

---

١) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ، ١ / ٣٠٦ .
٢) عبد الرءوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، ص ٦٣ – ٨٠ .

## حُسن خلق :-

فقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسن الخلق وطيب المعاشرة مع الناس أجمعين **فقال صلى اللهّ عليه وسلم** : " إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون ( **كثيري الكلام** ) والشدقون( **الكلام بالشدق تفصحاً** ) والمتفيهقون (**ملء الفم بالكلام**) [١].

## الصدقة :

**وقد وجه الرسول صلى اللهّ عليه وسلم** أمته إلي الإنفاق في سبيل الله وحث عليه فيروي عن عائشة رضي الله عنها أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن للنبي صلى الله عليه وسلم : أينا أسرع بك لحوقاً ؟ قال : " أطولكن يداً ) فأخذوا قصبة يذرعونها – يقسن أذرعهن – فكانت سودة أطولهن يداه فعلمنا ( أي بعد أن ماتت أولهن بعده وهي السيدة زينب بنت جحش ) إنما كانت طول يدها الصدقة ، وكانت أسرعنا لحوقاً به وكانت تحب الصدقة رواه البخاري .

## كفالة اليتم والرفق به :

**فقد قال رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم** : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطي وخرج بينهما " رواه البخاري .

## صدق الحديث وأداء الأمانة والإحسان إلي الجار :

**عن الزهري قال** : حدثني من لا أتهم من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ وتنخم ابتدروا نخامته فمسحوا بها وجوههم وجلودهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تفعلون هذا ؟ قالوا : نلتمس به البركة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يحبه الله ورسوله فيصدق الحديث وليئود الأمانة ولا يؤذ جاره " رواه البيهقي (١) .

---

١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .
(١) حياة الصحابة ٣٠٥/٢ .

## عدم الاغترار بالدنيا وزنتها :

**فقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم** : " إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها " (٢) .

## الصدق في التجارة :

**قد يكون الإنسان ضعيفاً** أمام المال ولاسيما التجارة ولهذا فقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطريق الصحيح للتجارة وهو الصدق فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء "

رواه الترمذي وقال : حسن .

## كثرة السجود والصلاة

**عن ربيعة بن كعب رضي اللّه عنه قال** : كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوم له في حوائجه نهاري أجمعَ ، حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة فأجلس على بابه إذا دخل بيته أقول : لعلها أن تحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ، فما أزال أسمعه يقول : سبحان الله ، سبحان الله ، سبحان الله وبحمده حتى أمل ( **من الانتصار** ) فأرجع أو تغلبني عيني فأرقد ، فقال لي يوما لما رأي من خفتي له وخدمتي إياه : يا ربيعة سَلني أعطك ، قال : فقلت : أنظر في أمكري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك ، قال : ففكرت في نفسي فعلمت أن الدنيا منقطعة زائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتيني ، قال : فقلت أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي فإنه من الله عزوجل بالمنزل الذي هو به ( **أي ذو منزلة عند ربه** ) فجئته فقال : ما فعلت يا ربيعة ؟ فقلت : يا رسول الله ، أسألك أن تشفع لي إلي ربك فيعقني من النار( **وفي رواية : أسألك مرافقتك في الجنة** ) فقال : من أمرك بهذا يا ربيعة ؟ قال : فقلت : لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ، ولكنك لما قلت سلني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتني فقلت أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي ، قال : فَصَمَت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ، ثم قال لي : إني فاعل فأعنّي على نفسك بكثرة السجود " رواه مسلم .

---

(٢) صفة الصفوة ١/١٩٠ .

## الجهاد في سبيل اللّه :

فالجهاد فى سبيل اللّه هو رهبانية الإسلام ، وهو طريق عزتها وشرفها ، ولذا فقد حث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أصحابه وأمته على أن يسلكوا هذا الدرب ووعدهم مرافقته في الجنة ، ففي يوم الأحزاب يقول صلى اللّه عليه وسلم : " مَن رجل يقوم فينظر لي ما فعل القوم ثم يرع أسأل اللّه أن يكون رفيق في الجنة " (١) .

ويوم أحد أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يستنهض هم أصحابه لما رأي تجمع المشركون حوله فقال : " من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام أبو دجانة رضي اللّه عنه فقال أنا آخذه يا رسول اللّه بحقه ، فما حقه ؟ قال : أن لا تقتل به مسلماً ، ولا تفر به عن كافر ، فدفعه إليه " (٢)

**وقال صلى اللّه عليه وسلم أيضاً يوم أحد :** " من يردهم عنا – يقصد كفار قريش – وهو رفيقي في الجنة " رواه أحمد .

## جملة من الوصايا وبر الوالدين :-

**وعن عمرو بن مرة الجهني قال :** " جاء رجل إلي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّه أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحججت البيت فماذا لي ؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : من يفعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه "

**رواه أحمد والطبراني وصححه الذهبي .**

## طاعة اللّه ورسوله :

**يقول المولي عز وجل :**

" وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا " ( النساء : ٦٩ )

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١١٥/٤ .
(٢) حياة الصحابة ٥٤٢/١ .

## طلب العلم

**روي عن ابن عباس رضي اللهّ عنهما قال** : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: "من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي اللّٰه ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبيين "رواه الطبراني .

## إسباغ الوضوء :

**عن أبي هريرة أن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم أتي المقبرة فقال** : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء اللّٰه بكم عن قريب لاحقون ، وردت أنا قد رأينا أخواننا ، قالوا : أو لنا إخوانك يا رسول اللّٰه ؟ قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا : كيف تعرف من لم يأته بعد من أمتك يا رسول اللّٰه ؟ قال : أرأيت لو أن رجلاً له خيل فمر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ **قالوا** : بلي يا رسول اللّٰه ، قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض "

**رواه مسلم** .

# الفصل الرابع

## حَقيقة حب النبي محمد
## صلى اللّه عليه وسلم

## حقيقة حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

إذا كانت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عقد من عقود الإيمان ولزوم سنته وإتباع هدية علامة المحبة الصادقة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما أنه من أعظم أسباب محبة الله عز وجل ، وهي ليست كلمات تقال ولا أشعار تنظم ولا احتفالات تقام بمناسبة مولده ولا هجرته صلى الله عليه وسلم . إنما هي أسباب ومسببات تتعلق بالطاعة والعبادة والسلوك والأخلاق وبعون الله سوف نوضح ونسوق بعضها مما اجتمعت عليه الأمة الإسلامية فيقول الشيخ الغزالي : ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس قصته تتلي يوم ميلاده كما يفعل الناس الآن ، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تُضَم إلي ألفاظ الأذان ولا إكنان حية يكون بتأليف مدائح له أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها العاشقون ويتأوهون أو لا يتأوهون ، فرباط المسلم برسوله الكريم أقوي وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين ، وما جنح المسلمون إلي هذه التعابير في الإبانة عن تعلقهم بنبيهم إلا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم جملة ، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال محدودة في الإسلام فقد فتُنوا في اختلاف صور أخرى ولا عليهم فهي لن تكلفهم بهذا ينكصون عنه ، إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو في الاستمساك باللباب المهجور والعودة إلي جوهر الدين ذاته فبدلاً من الاستماع إلي قصة المولد يتلوها صوت رخيم ينهض المرء إلي تقويم نفسه وإصلاح شأنه حتى يكون قريباً من سنن محمد صلى الله عليه وسلم في معاشه ومعاده وحربه وسلمه وعلمه وعمله وعاداته وعبادته .

إن المسلم الذي لا يعيش لرسول صلى الله عليه وسلم في ضميره ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره لا يغني أبداً عنه أن يحرك لسانه بأكف صلاة في اليوم والليلة (١)

**يقول الحسن البصري** : أدعي ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية .

" قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ..."

( آل عمران : ٣١ )

---

(١) فقه السيرة ، ص ٥ .

**قال الصحابة رضوان الله عليهم** : إنا نحب ربنا حباً شديداً ، فأحب الله عزوجل أن يجعل لحبه علامة فقال تعالي :

" قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ " ( آل عمران : ٣١ )

**قال القرطبي** : كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى ، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات ، ولكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلي رؤيته ، بحيث يؤثرها عن أهله وولده ووالده وماله ، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيادة قبره ، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر ، لما وقر في قلوبهم من محبته ، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات ، والله المستعان [٢]

**وحقيقة حب النبي صلى الله عليه وسلم تظهر في بعض المظاهر التي سنحاول بعون الله أن تذكر بعضاً منها مما وفق الله في الوصول والاهتداء إليها :-**

## مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحب وإن كان من أعمال القلوب إلا أنه لا بد وأن تظهر آثاره على الجوارح قولا وفعلا . ولما كان الحب أمرا يمكن أن يستتر وراء الدعاوى والمزاعم ويقع في الاشتباه كان لا بد من التمييز بين الصادق فيه وبين الدعي الكاذب وبين من سلك في حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلكا صحيحا وبين من انحرف بمسلك حبه عن الصواب .

**وقد جرت العادة أن** الدعاوي لا تقبل إلا ببينات ، فالبينة على من ادعى ولو يعطى الناس بدعواهم لاختل ميزان الحق والعدل . وطالما استغلت دعوى الحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أو حب الصالحين لتسويغ ألوان من البدع وضروب من الغلو وجعلها مقبولة طالما كان دافعها هذا الحب المزعوم .

---

(٢) فتح الباري ، ٧٧/١ .

لذا أردت في هذا المبحث الكلام على الشواهد الصادقة والمظاهر الواضحة لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعها بآثارها على السلوك والأفعال .

وذلك لبيان أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم مقيد بضوابط تحكمه ، ومحدد بعلامات تؤكد صدقه ، وآثار تظهر على من اتصف به . وهذه العلامات والمظاهر كثيرة ، لكني سأتكلم عن أظهرها وأبينها .

## أولا : طاعة الرسول صلى اللّه عليه وسلم واتباعه :

إن أقوى شاهد على صدق الحب- أيا كان نوعه- هو موافقة المحب لمحبوبه وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو طاعته واتباعه .

فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل ، وهو شرط صحة هذه المحبة ، وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح .

وإذا كان الله سبحانه قد جعل اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم دليلا على حبه سبحانه ، فهو من باب أوفى دليل على حب النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ...﴾

(آل عمران : ٣١ )

## قال ابن كثير رحمه اللّه :

(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله .

**كما ثبت في الصحيح عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال** :

« من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » [١] **ولهذا قال** :

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾

---

١ ) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الاعتصام . باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود ، ٩ / ١٢٣ .

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء :

**" ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب " .**

**وقال الحسن البصري وغيره من السلف :**

زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (١)

**فتبين من هذا أن** الاتباع هو أعظم شاهد على صدق المحبة ، بل هو من أجل ثمارها .

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم هو من أطاعه واقتدى به وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه ، وظهرت أثار ذلك عليه من موافقته في حب ما يحبه وبغض ما يبغضه .

**ويؤكد القاضي عياض على ارتباط هذه المحبة بالموافقة والاتباع فيقول :**

( اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته ، وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا ، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه ، **وأولها** :

الاقتداء به واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...} (آل عمران : ٣١ )

**وإيثار ما شرعه على هوى نفسه وموافقة شهواته . قال الله تعالى :**

{ ...وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ...} ( الحشر : ٩ ) (١)

---

١ ) تفسير ابن كثير . لإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ط . دار الفكر ، بيروت ، ١ / ٣٥٨ .

وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن شقاء من شقي وهلاك من هلك إنما كان بسبب مخالفته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وسنعرض لهذه النصوص في مبحث وجوب الطاعة .

**نخلص من هذا إلى أن** أقوى مظهر وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاتباع وبدونه تصبح المحبة دعوى مجردة عن الدليل وقولا لا يصدقه عمل .

وهذا الاتباع محدد أيضا بشواهد وعلامات تؤكده وسنعرض لها فيما بعد .

## ثانيا : تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره والأدب معه :

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير ، وهو من أعظم مظاهر حبه ، ومن آكد حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته ، كما أنه من أهم واجبات الدين .

وهذا التعظيم مثل المحبة من حيث كونه تابعا للمعرفة ، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة .

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس حبا وتعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمعايشتهم له وقربهم منه . وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يكون بالقلب ، واللسان والجوارح ، فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولا اصطفاه الله برسالته ، وخصه بنبوته ، وأعلى قدره ، ورفع ذكره ، وفضله على سائر الخلق أجمعين كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين .

أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله ، مما أثنى به على نفسه أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير ، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه ، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه صلى الله عليه وسلم .

---

١) الشفا ، ٢ / ٢٤ .

وأما التعظيم بالجوارح فيشمل العمل بطاعته ، وتجديد متابعته ، وموافقته في حب ما يحبه ، وبغض ما يبغضه والسعي في إظهار دينه ، ونصرة شريعته ، والذب عنه وصون حرمته [١] .

وعلى ذلك فاساس التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وقاعدته التي ينبني عليها هو تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما عنه نهي وزجر ، وعبادة الله بما شرع . فمن فقد هذا الأساس أو أخل به فقد أخل بتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم . وهذا الإخلال يأتي من أمرين كليهما على طرفي نقيض :

**أولهما :** الجفاء والتفريط في حقوقه صلى الله عليه وسلم . وذلك كنسبته إلى ما لا يليق بمقام النبوة كالطعن في صدقه أو أمانته وعدالته وذلك كصنيع ذي الخويصرة التميمي الذي طعن في قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم للغنائم كما روي ذلك البخاري بسنده **عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال** :

« بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماه أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل فقال : ويلك .

ومن يعدل إذ لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، **فقال عمر** : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . . . . ) [٢] الحديث .

ويشبه هذا الصنيع صنيع المنافقين ومن انطمست بصائرهم فلم يعرفوا للنبي صلى الله عليه وسلم قدره ولم يحفظوا حرمته . ومما يلحق بالجفاء عدم التأدب في الحديث والكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم كصنيع بعض الشعراء والكتاب في تشبيه بعض الولاة والحكام أو وصفهم بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة به .

**كقول المعري مثلا:**

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد عن أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه ... لم يأته برسالة جبريل [٣]

---

١) انظر . الصارم المنكي في الرد على السبكي ، لابن عبد الهادي ، ص٣٤١ - ٣٤٢ .
٢) صحيح البخاري . كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام (٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤) .
٣) هذان البيتان من قصيدة للمعري يمدح بها رجلا من العلويين . انظر : سقط الزند - لأبي العلاء المعري . طبع دار صادر ، ص١٤٢ ، ١٣٨٣ ، ١٩٦٣م .

وقد نقل القاضي عياض أمثلة من هذا القبيل من أقوال بعض الجفاة والمنافقين[١].

ومما يلحق بالجفاء ترك الصلاة والسلام عليه لفظا وخطا ، أو الاستهانة بهديه وسنته وقلة المبالاة بها أو التعظيم لشأن المفكرين والكتاب والقادة بما يغض من شأنه صلى الله عليه وسلم، مع أن هؤلاء مهما بلغوا لن يصلوا إلى مرتبة واحد من عامة الصحابة.

وقد كثر الجفاء في زماننا هذا بكثرة المارقين والمنهزمين من الكتاب والأدباء الذين سودوا الصحائف بالاستهزاء بتعاليم الإسلام وقيمه وربما بالتطاول على مقام النبوة .

كما عزف كثير من المسلمين عن مطالعة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومذاكرة سنته وكثرة الصلاة والسلام عليه.مما أدى إلى الجفاء للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم توقيره.

**ولقد كان سلفنا الصالح** إذا ذكر عندهم النبي صلى الله عليه وسلم أو حديثا من أحاديثه ظهر عليهم من الهيبة والإجلال والتأدب كما لو كان النبي صلى الله عليه وسلم أمامهم حتى إن بعضهم كان يبكي عند ذكره صلى الله عليه وسلم فكان محمد بن المنكدر إذا سئل عن حديث بكى حتى يرحمه الجالسون ، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمر الحاضرين بالسكوت **وقال** :

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ } (٢)

ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم[٣] .

هكذا كان أدب سلفنا الصالح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته فأين منا هذا الأدب وذلك التوقير ؟ كما نسأل الله العافية .

**ثانيهما** : الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ورفعه فوق مرتبته التي وضعه الله عليها . وذلك كاعتقاد أنه يعلم الغيب مطلقا أو أن وجوده سابق لهذا العالم وأن من نوره خلق الكون كله إلى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي لم ترد في سنة . وسيأتي لهذا مزيد بيان في فصل الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

١ ) انظر الشفا ، ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٧ .

٢ ) استشهد بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » سورة الحجرات ، آية(٢) .

٣ ) انظر الشفا ، ٢ / ٤٠- ٤٧ .

وقد أوجب الله على الأمة كلها تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره فقال تعالى :

{ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا } (الفتح : ٩ )

فالتسبيح لله عزوجل والتعزير والتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى :

{ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ } (الأعراف : ١٥٧ )

والتعزير بمعنى التعظيم .

**قال ابن جرير في تفسير الآية الأولى :**

( معنى التعزير في هذا الموضع : التقوية والنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال ) [١] .

**ويعرف ابن تيمية التعزير بأنه :**

(اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ، والتوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار) [٢] .

وقد أبان الله في كتابه عن وجوه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه . وما ينبغي على المسلم أن يتأدب به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في آيات شتى وبأساليب متنوعة .

وقد اشتملت سورة الحجرات في صدرها على مجموعة من التوجيهات التربوية للمسلمين في كيفية تعاملهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأدب معه .

---

١ ) تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . ط ٢ ، مصطفى الحلبي . القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ٢٦ / ٧٥ .

٢ ) الصارم المسلول على شاتم الرسول . لابن تيمية . تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ ، ص ٤٢٢ .

**فقال تعالى :**

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ }(الحجرات : ١-٥ )

**فقد أشارت هذه الآيات إلى بعض وجوه الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم منها :**

**عدم التقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل أو إذن أو تصرف كما قال تعالى :**

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ} (الحجرات : ١ )

## قال ابن جرير في تفسير هذه الآية :

" لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم ، قبل أن يقضي الله لكم فيه ، ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله [١] . وهذا الأمر فرض باق على الأمة إلى يوم القيامة- مثل طاعته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا- فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كالتقدم بين يديه في حياته ، ولا فرق بينهما عند ذوي العقول السليمة فالأدب كل الأدب معه صلى الله عليه وسلم تقديم سنته وأقواله على كل قول أو رأي [٢] .

**ومنها عدم رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ،** وعدم الجهر له بالقول مخافة حبوط العمل . فالأدب معه في حياته غض الصوت عنده مع

---

١) تفسير ابن جرير ، ٢٦ / ١١٦ .
٢) انظر . مدارج السالكين لابن القيم ، ٢ / ٣٨٩ .

الهيبة والإجلال له ، وأن يكون مجلس علم وحلم ووقار وسكينة ، وأن يكون الحديث معه بتأدب وتلطف .

**وإذا كان الله قد حرم رفع الأصوات فوق صوت نبيه** ، وحرم الجهر له بالقول لما في ذلك من الجفاء والإيذاء لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فكذلك رفع الأصوات عند قبره صلى الله عليه وسلم في حكم رفع الصوت عنده في حياته من حيث التحريم لأن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا .

**وقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه** النكير على رجلين رفعا أصواتهما في المسجد النبوي **وذلك فيما رواه البخاري بسنده عن السائب بن يزيد قال** : (كنت قائما في المسجد فحصبني رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فاتني بهذين ، فجئته بهما . قال : من أنتما- أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما . ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم! ) (١) .

**فإذا تقرر هذا علمنا أن** ما يحدث من كثير من الناس عند قبره صلى الله عليه وسلم من رفع الأصوات واختلاطها ، وصنيع من يسمون " **بالمزورين** " من رفع الأصوات عند القبر والتشويش في المسجد النبوي ، كل هذا من الأمور المحرمة لما فيها من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهاك حرمة المسجد .

**ومن مخالفة الأدب في هذا الباب** رفع أراء بعض البشر وأقوالهم ومذاهبهم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحاولة إسكات صوت السنة والداعين إليها وفي هذا من الإيذاء والجفاء ما هو أكبر بكثير من مجرد رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

---

١ ) صحيح البخاري . كتاب الصلاة . باب رفع الصوت في المساجد ١ / ١٢٧ .
٢ ) انظر . مدارج السالكين ، ٢ / ٣٨٩ .

**قال أبو بكر بن العربي:**

(حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة **في قوله تعالى** :

{ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأعراف : ٢٠٤ )

وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي ، وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناه [١] ، بيانها في كتب الفقه والله أعلم) [٢] .

ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم عدم جعل دعائه كدعاء الناس بعضهم بعضا ، كما قال تعالى :

{ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ...} (النور : ٦٣)

**وللمفسرين في معنى هذه الآية قولان :**

**أحدهما :** معناه أن لا تجعلوا دعاءكم ونداءكم للرسول صلى الله عليه وسلم كما ينادي بعضكم بعضا باسمه المجرد فنهاهم الله أن ينادوا رسوله صلى الله عليه وسلم بيا محمد . بل الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن ينادوه : بيا رسول الله ، ويا نبي الله ، مع خفض الصوت احتراما وتوقيرا له [٣] .

**الثاني** : أن لا تجعلوا دعاء الرسول لكم من جنس دعاء بعضكم بعضا إذا شاء أجاب وإن لم يشأ لم يجب . بل الأدب معه أنه إذا دعاكم لم يسعكم إلا إجابته والسمع والطاعة له [٤] .

---

١) ذكر العلماء فروقا بين الحديث والقرآن منها : إن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ليس معجزا كالقرآن . إننا متعبدون بالقرآن وتلاوته في الصلاة وخارجها وليس الحديث كذلك . - إن القرآن لا يقرأه القارئ إلا وهو طاهر على خلاف في ذلك وليس الحديث كذلك .

٢) أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق على محمد البجاوي، ٤ / ١٧٠٢ - ١٧٠٣

٣) انظر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، طبع مطبعة المدني ، مصر ، ٦ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

٤) انظر مدارج السالكين ، ٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

**ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم أن** أصحابه إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

**كما قال تعالى** :

{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (النور: ٦٢ )

## قال ابن القيم :

( **ومـن الأدب معـه** : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع- من خطة أو جهاد أو رباط- لم يذهب أحدهم مذهبا في حاجته حتى يستأذنه . . . فإذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضة ، لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين : أصوله وفروعه ، دقيقة ، وجليله ؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه .

{ ...فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (الأنبياء : ٧ )

ومن الأدب معه . أن لا يستشكل قوله . بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارض نصه بقياس ، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا ، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول .

ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم وهو عين الجرأة ) (١) .

ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه : التأدب في الحديث معه والحديث عنه . وذلك باختيار أحسن الألفاظ وأعذبها ، وأرق المعالي وألطفها ، وتجنب كل ما فيه جفاء أو إساءة أدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتنزيه مقام النبوة والرسالة من كل عيب أو نقص ينافي عصمته صلى الله عليه وسلم.

---

١) مدارج السالكين ، ٢ / ٣٩٠ .

لأجل هذا نهى الله المؤمنين عن الجهر بالقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهاهم عن مخاطبته كما يخاطب بعضهم بعضا كما سبق آنفا . لما فيه من الجفاء والإيذاء له . **ومن هذا الباب قوله تعالى** :

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (البقرة : ١٠٤ )

فنهى الله المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم ( راعنا ) لما فيها من احتمال معنى : ارعنا نرعاك على سبيل المقابلة كما يقال حادثنا وجالسنا ، نحادثك ونجالسك . فكأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم . بل حقه صلى الله عليه وسلم أن يرعى على كل حال ، أو يكون معناها : ارعنا معك حتى نفهمك وتفهم عنا [١] وكلا المعنيين فيه جفاء لا يليق بمقام النبوة .

وقيل نهوا عن ذلك لما فيه من التشبه باليهود لأنهم كانوا يورون بهذه الكلمة عن الرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ، ومنعا للتشبه بهم في قولهم ([٢]) .

وعلى ذلك فكل كلام يشعر بالجفاء وإن لم يقصده المتكلم- لا يجوز أن يخاطب به الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتحدث به عنه لما في ذلك من إيذائه صلى الله عليه وسلم وإذهاب هيبته من النفوس .

**ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الثناء** عليه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه أو أثنى به عليه ربه سبحانه وتعالى من غير غلو ولا تقصير ، ومن أعظم الثناء عليه : الصلاة والسلام عليه في مواطنها ، وعند ورود ذكره الشريف على المسامع واللسان وعند الخط بالبنان .

**ويتضمن معنى الصلاة عليه** : ثناء الله عليه والإشارة برفع ذكره ، والطلب من الله أن يعلي ذكره ، ويزيده تعظيما وتشريفا ، والمراد بالطلب هنا هو طلب الزكاة- زيادة الثناء والتشريف- لا طلب أصل الصلاة . أما السلام فيتضمن سلامته أي من كل آفة وعيب [٣] .

---

١) انظر . تفسير الطبري، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف مصر ، ٢ / ٤٦٣ - ٤٦٦.
٢) انظر . الشفا للقاضي عياض ، ٢ / ٣٧ . وتفسير ابن كثير ، ١ / ١٤٨- ١٤٩ .
٣ ) انظر . جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام . لابن القيم ص٨٤ ، وما بعدها ، وفتح الباري ١١ / ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٦٩ .

**أورد البخاري تعليقا عن أبي العالية قال** : " صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء " .

## قال ابن عباس :

**يصلون** : يبركون [(١)] .

**وقد أخبر الله أنه وملائكته** يصلون على النبي وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه **فقال تعالى** :

{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا } (الأحزاب : ٥٦ )

## قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

**والمقصود من هذه الآية** : أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا " [(٢)] .

كما رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والسلام عليه في أحاديث عدة : منها ما أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى علي واحدة ، صلى الله عليه عشرا » [(٣)] .

**وأخرج أبو داود بسنده عن أوس بن أوس رضى الله عنه قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ! يقولون : بليت . قال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » [(٤)] .

---

١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير . باب « إن الله وملائكته يصلون على النبي » ٦ / ١٥١ .
٢) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٠٧ .
٣) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ، ١ / ٣٠٦ .
٤ ) سنن أبي داود . كتاب الصلاة . باب فضل الجمعة وليلة الجمعة ، ١ / ٦٣٥ ، ورواه أحمد في المسند ٨ / ٤ والنسائي في كتاب الصلاة . باب إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ٣ / ٩١ - ٩٢ . وإسناده صحيح صححه الحاكم ١ / ٢٧٨ . ووافقه الذهبي . وصححه النووي في الأذكار ، ط٤ ، مصطفى الحلبي ، مصر ص١٠٦ .

**وأخرج الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال** : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي » الحديث [1].

**وأخرج الترمذي** أيضا بسنده عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » ([2]).

**وأخرج أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال** : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :

« لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » [3].

وقد علم الرسول صلى اللّه عليه وسلم أصحابه وأمته كيف يصلون عليه في الصلاة وغيرها وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما عند عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

( **لقيني كعب بن عجرة فقال** : ألا أهدي لك هدية ، إن النبي صلى اللّه عليه وسلم خرج علينا ، فقال يا رسول اللّه قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال : قولوا اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ) [4].

**وأخرجا أيضا بسنديهما عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا** :

« يا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا :

(اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما ، صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » [5].

---

١) سنن الترمذي كتاب الدعوات . باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده ٥ / ٢١٠ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر محمد عبد المحسن الكتبي ، المدينة المنورة . وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ١ / ٥٤٩ .
٢) المصدر نفسه ، ٥ / ٢١١ ، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١ / ٥٤٩ .
٣) سنن أبي داود . كتاب المناسك . باب زيارة القبور ٢ / ٥٣٤ . ورواه أحمد في المسند ٢ / ٣٦٧ . والحديث سنده حسن على شرط مسلم ، وهو صحيح بما له من طرق وشواهد . انظر أحكام الجنائز وبدعها للشيخ الألباني ، ط٤ طبع المكتب الإسلامي ، ٢١٩ - ٢٢٠ .
٤) البخاري . كتاب الدعوات . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٨ / ٩٥ . ومسلم . كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ١ / ٣٠٥ .
٥) البخاري ، السابق نفسه ، ٨ / ٩٥-٩٦ . ومسلم ، السابق نفسه ، ١ / ٣٠٦ .

إلى غير ذلك من الصيغ التي علمهم النبي صلى الله عليه وسلم إياها وأرشدهم إليها . وهذه الصيغ التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته من بعدهم هي أفضل كيفيات الصلاة والسلام عليه لأنها صادرة من مشكاة النبوة ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار لهم ولنفسه إلا الأشرف والأفضل والأكمل من الأعمال والكيفيات .

**فإذا تبين هذا علمنا أن** ما ابتدعه كثير من مشايخ الصوفية من صيغ في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاعمين لها من الفضل والثواب الشيء الكثير ، هذه الصلوات لا ترتقي إلى مرتبة الصيغ التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته في كيفية الصلاة والسلام عليه . هذا إن سلمت تلك الصلوات من الغلو وضروب البدع . كما يلاحظ أنه لم يرد في شيء من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لفظ السيادة (**سيدنا**) . فدل عدم ورودها على أنها ليست مشروعة أو خلاف الأولى .

**وقد سئل الحافظ ابن حجر عن** صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة أو خارج الصلاة سواء قيل بوجوبها أو ندبيتها ، هل يشترط فيها أن يصفه صلى الله عليه وسلم بالسيادة . كأن يقول مثلا . اللهم صل على سيدنا محمد أو على سيد الخلق ، وعلى سيد ولد آدم ؟ أو يقتصر على قوله : اللهم صل على محمد ؟ وأيهما أفضل الإتيان بلفظ السيادة لكونها صفة ثابتة له صلى الله عليه وسلم ، أو عدم الإتيان بها لعدم ورود ذلك في الآثار ؟ .

**فأجاب رحمه الله :**

(**نعم ، اتباع الألفاظ المأثورة أرجح ، ولا يقال** : لعله ترك ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول عند ذكره صلى الله عليه وسلم : صلى الله عليه وسلم وأمته مندوبة إلى أن تقول ذلك كلما ذكر. لأنا نقول : لو كان ذلك راجحا لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين . ولم نقف في شيء من الآثار عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم قال : ذلك مع كثرة ما ورد عنهم من ذلك) (١) .

١ ) أوردها بتمامها : الألباني نقلا عن الحافظ محمد بن محمد الغرابيلي تلميذ الحافظ ابن حجر . انظر . صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ،تأليف محمد نصر الدين الألباني ، ط١١ ، المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ ، ص١٥٣- ١٥٥ .

وللصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مواطن يتأكد وجوبها أو استحبابها فيها : منها : التشهد الأخير في الصلاة ، واختلف في وجوبه واستحبابه على قولين (١) . ومنها عند دخول المساجد والخروج منها ، وبين يدي الدعاء .

وعند ذكره صلى الله عليه وسلم ، وروود اسمه الشريف وكتابته وفي الخطب وعند رواية الحديث وتعليم الناس العلم إلى غير ذلك من المواطن

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم نصرته والذب عنه ، وقد أوجب الله على الأمة تعزير نبيه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وسبق أن بينا أن تعزيره صلى الله عليه وسلم يتضمن معنى النصرة والتعظيم . فواجب على الأمة أن تنصر الله ورسوله ، وأن تنتصر لله ورسوله ، وإذا كان نصر آحاد المسلمين واجبا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » (٢) .

**وقوله عليه الصلاة والسلام** : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » (٣) .

فكيف لا يكون نصر الرسول صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات ، بل حقه أن يفدى بالأنفس والأموال وأن يؤثر بكل عزيز وغال .

**قال تعالى** :

{ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ...}(التوبة : ١٢٠ )

فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرة نبيه والرغبة بالأنفس عنه ، وأوجب على المؤمنين نصرته ، وذلك في آيات عدة من القرآن منها :

---

١) انظر : جلاء الأفهام ، ص١٩٣- ٢١٦ . وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ١٦٢ .
٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب : أعن أخاك ظالما أو مظلوما ٣ / ١٦٨ . والإمام أحمد في المسند ، ٣ / ٩٩ .
٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٣ / ١٨٦ .

**قوله تعالى :**

{ ...فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } (الأعراف : ١٥٧ )

**وقال تعالى :**

{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ...} (التوبة : ٤٠ )

**وقال تعالى :**

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ...} (الصف : ١٤ )

**وامتدح الله المهاجرين بقوله تعالى :**

{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ } (الحشر : ٨ ).

**كما أثنى على الأنصار بقوله :**

{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الأنفال :٧٤)

ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم يشمل نصره باللسان والسنان والبنان ، بالقول والفعل . نصرا له في ذات نفسه حماية لعرضه ، وصونا لحرمته ، وإرغاما لأعدائه ومبغضيه وانتصارا له من كل من يؤذيه ، وإجلالا لمقام النبوة من أي قدح أو عيب .

وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله ، أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له والإزراء عليه أو التحقير لشأنه .

فحكم من أتى بذلك أن يقتل بلا استتابة لأنه آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يستوجب إهدار دمه إن كان مسلما ، ونقض عهده وقتله إن كان ذميا [1] كل ذلك حماية لعرضه صلى الله عليه وسلم وصونا لمكانته ومنزلته .

---

١) انظر في بيان ذلك . الشفا ٢ / ٢١٤ وما بعدها . والصارم المسلول ص ٣ وما بعدها ، ص ٤١٨ - ٤١٩.

ومن نصر الرسول صلى الله عليه وسلم نصر سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته ، برد شبههم ودحض مفترياتهم وإظهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق .

ويدخل في نصر الله ورسوله نصر الشريعة وأهلها والداعين إليها وتكثير سوادهم وإعانتهم على أمورهم ، وقمع أعدائهم . ولا يتأتى هذا النصر ولا يتحقق إلا برفع علم الجهاد في سبيل الله جهادا للكفار والمنافقين ، وتتبع الزنادقة والملحدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة حدود الله في أرضه . وتطبيق شرعه .

وترك النصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه والتخاذل عنها تمكين لأعداء الإسلام من الطعن فيه وتشويهه وإضعاف شوكته وانتهاك حرماته وإذهاب هيبة النبي صلى الله عليه وسلم من النفوس .

ولا يكون ذلك إلا إذا ترك الجهاد في سبيل الله ، وذهبت الغيرة على محارم الله من القلوب ، حينما يكون الرضى بالذل والهوان حبا للدنيا وكراهية للموت ، وهذا هو حال المسلمين اليوم . فالانتصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق على كل من آمن بالله واتبعه وزعم أنه يحبه ، فمن ادعى حبه ولم ينصره وينتصر له فهو كاذب في دعواه .

فمقتضى الحب الصحيح أن تنصره وتفديه بالنفس والمال وأن تغار على حرمات الله أن تنتهك ، تلك هي أهم جوانب تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره . لكن **بقي أن أنبه إلى أمرين مهمين في هذا الباب** :

## الأمر الأول :

أنه يجب على المسلم المعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته وألوهيته ، والتي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى وبين حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ليضع كل شيء في موضعه حتى يكون على الصراط المستقيم .

فالتجاء المضطر- مثلا- الذي أحاطت به الكروب ، ونزلت به الشدائد التي لا يقدر على كشفها إلا الله وحده ، حق ممن حقوق الله تعالى لا يجوز صرفه لغير الله بحال من

الأحوال ، لأن كشف الضر ، وإجابة المضطر بيد الله وحده . فصرف هذا الحق لله وإخلاصه له ، هو عين طاعته سبحانه ومرضاته ، وهو طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع له في تجريد التوحيد من كل شوائب الشرك .

أما صرف هذا الحق- أو غيره من الحقوق الخاصة بالله- لغير الله ولو لرسوله صلى الله عليه وسلم بدعوى أنه تعظيم له - فهذا عين المحاده والمشاقة لله ورسوله " وهو من الشرك الذي نهى الله عنه فإذا تبين ذلك علمنا أن ما يفعله بعض المنتسبين إلى الإسلام من التجائهم وقت الشدائد إلى غير الله طالبين منه كشف الضر ورفع الشدة وما يفعل من هذا القبيل عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أنه تعظيم له كل هذا من قبيل الشرك الذي حرمه الله ورسوله .

## الأمر الثاني :

الفرق بين التعظيم المشروع وغير المشروع ، ينبغي على المسلم أن يعلم أن التعظيم الذي أوجبه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم هو التعظيم المشروع اللائق بمقام النبوة والرسالة .

ومدار هذا التعظيم وأساسه هو الاتباع والاقتداء به صلى الله عليه وسلم فمن كان اتباعا واقتداء كان أكثر محبة وتعظيما ، وأبعد عن الغلو والبدع . وليس كل ما يظن أنه من باب التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو في الحقيقة تعظيما مشروعا في حقه .

## قال ابن عبد الهادي:

**فالتعظيم نوعان : أحدهما** : ما يحبه المعظم ويرضاه ويأمر به ويثنى على فاعله ، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

**والثاني** : ما يكرهه ويبغضه ويذم فاعله ، فهذا ليس بتعظيم ، بل هو غلو مناف للتعظيم ولهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلي بدعواهم الإلهية والنبوة أو العصمة ونحو ذلك ولم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا ، والنبي صلى الله عليه

وسلم قد أنكر على من عظمه بما لم يشرعه ، فأنكر على معاذ سجوده له وهو محض التعظيم .

**وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس بن مالك :**

« **أن رجلا قال :**

( يا محمد ، يا سيدنا ، وابن سيدنا ، وخيرنا ، وابن خيرنا ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( عليكم بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزوجل » [١]

**وقال صلى الله عليه وسلم** : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله » [٢] .

وكان يكره من أصحابه أن يقوموا له إذا رأوه ، ونهاهم أن يصلوا خلفه قياما . وقال : « إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم ، يقومون على ملوكهم » [٣]

وكل هذا من التعظيم الذي يبغضه ويكرهه [٤] .

**وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من قال له** : ما شاء الله وشئت أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال أجعلتني والله عدلا .

بل ما شاء الله وحده » [٥] .

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أن يقولوا - إذا أرادوا - ما شاء الله ثم شاء محمد . كما في سنن الدارمي وابن ماجه بسنديهما عن الطفيل بن سخبرة أخى عائشة لأمها قال : « قال رجل من المشركين لرجل من المسلمين نعم القوم أنتم لولا أنكم

---

١) المسند ، ٣ / ١٥٣ ، ٢٤١ .
٢) سبق تخريجه
٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة . باب ائتمام المأموم بالإمام ، ١ / ٣٠٩ ، والنسائي في كتاب السهو . باب الرخصة في الالتفات في الصلاة يمينا وشمالا ٣ / ٩ .
٤) الصارم المنكي في الرد على السبكي ، ٢٨٨ .
٥) المسند ، ١ / ٢١٤ ، والحديث إسناده حسن . انظر السلسة الصحيحة ١ / ٥٦- ٥٧ .

تقولون ما شاء اللّٰه وشاء محمد فسمع النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : لا تقولوا ما شاء اللّٰه وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء اللّٰه ثم شاء محمد » (١) .

فيجب على المسلم أن يفرق بين المشروع وبين غيره في هذا الجانب وعدم التفرقة بينهما هو الذي أوقع المبتدعة في الغلو الذي ذمه اللّٰه ورسوله وذلك كالاستغاثة به وطلب الحاجات منه ودعائه من دون اللّٰه واعتقاد أنه خلق من نور وأن الكون كله قد خلق من نوره ، وأنه يتصرف في الأكون ، ويعلم الغيب مطلقا إلى غير ذلك من العقائد الباطلة وابتداع أنواع كثيرة من الصلوات عليه . فكل هذا من الغلو والشرك الذي نهى اللّٰه عنه وفاعل هذا مضاد لتعظيمه صلى اللّٰه عليه وسلم .

## ثالثا : ومن مظاهر محبته صلى اللّٰه عليه وسلم :

كثرة تذكره وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه ، ذلك أن من أحب شيئًا أكثر من ذكره ولا يكون ذلك إلا إذا شغلت المحبة قلب المحب وفكره ، وسبب ذلك استحضار الأسباب والدواعي الباعثة على حب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ومعرفة قدر النعمة التي أنعم اللّٰه بها على الناس إذ بعث فيهم رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم .

**قال تعالى :**

{ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِىٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِى وَلَا تَكۡفُرُونِ } (البقرة : ١٥١ – ١٥٢ )

ويتبع ذلك تمني رؤيته صلى اللّٰه عليه وسلم والشوق إلى لقائه وسؤال اللّٰه اللحاق به على الإيمان وأن يجمع بينه وبين حبيبه ونبيه صلى اللّٰه عليه وسلم في مستقر رحمته .
وقد أخبر الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم بأنه سيوجد في هذه الأمة أناس يودون رؤيته بكل ما يملكون .

---

١) سنن الدارمي . كتاب الاستئذان . باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ٢ / ٢٩٥ . . وابن ماجه. كتاب الكفارات . باب النهي عن أن يقال ما شاء الله وشئت ١ / ٦٨٤ . والحديث صحيح بشواهده . انظر السلسلة الصحيحة ١ / ٥٤- ٥٦ .

**فأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال** : « من أشد أمتي لي حبا ، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني، بأهله وماله » [(١)] .

فأين شوق المسلمين اليوم إلى نبيهم وحبيبهم صلى اللّه عليه وسلم أين هو ؟ لقد غاب عند أكثر العالمين إلا من رحم اللّه . نعم . لقد غاب . لأن الفكر والقلب قد شغل بالتنافس في حطام الدنيا حتى قل تذكر الرسول صلى اللّه عليه وسلم فضلا عن الشوق إلى لقائه . فنسأل اللّه أن يوقظنا من رقدة الغافلين وأن يرزقنا الشوق إلى لقائه ولقاء حبيبه صلى اللّه عليه وسلم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

## رابعا : ومن مظاهر محبته صلى اللّه عليه وسلم محبة قرابته وآل بيته وأزواجه وصحابته :

ويتمثل هذا في توقيرهم ومعرفة فضلهم وحفظ حرمتهم ومكانتهم وبغض من أبغضهم أو آذاهم .

**وقد أوصى النبي صلى اللّه عليه وسلم الأمة بآل بيته خيرا فقال** :

« أذكركم اللّه في أهل بيتي » .

**أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم رضي اللّه عنه قال**: « قام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوما فينا خطيبا . بماء يدعى " خما " بين مكة والمدينة فحمد اللّه وأثنى عليه ، ووعظ وذكر . ثم قال : أما بعد . ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب اللّه . واستمسكوا به فحث على كتاب اللّه ورغب فيه .

**ثم قال** : (وأهل بيتي . أذكركم اللّه في أهل بيتي . أذكركم اللّه في أهل بيتي . أذكركم اللّه في أهل بيتي ) فقال له حصين ومن أهل بيته ؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل بيته . من حرم الصدقه بعده . قال ومن هم ؟ قال : هم آل

---

١) صحيح مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وماله ٤ / ٢١٧٨ .

علـي، وآل عقيـل ، وآل جعفـر، وآل عبـاس ، قـال كـل هـؤلاء حـرم الصـدقة بعـده ؟ قـال : نعم » [١] .

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن أبا بكر الصديق قال: (ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته )[٢] .

**ومن مظاهر حبه صلى الله عليه وسلم حب أصحابه** ومعرفة فضلهم وقدرهم والثناء عليهم بما هم أهله ، والانتصار لهم ممن يؤذيهم وبغير الخير يذكرهم ، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها ، ويكفى أنهم فازوا بشرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الله قد خصهم بهذا الشرف دون غيرهم من العالمين فكانت لهم منزلة الصحبة التي لا تعادلها أي منزلة سواها في هذه الأمة . وقد أثنى الله عليهم في كتابه **في مواضع كثيرة منها** :

**قوله تعالى** :

{ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ } (التوبة : ١٠٠ )

**وقال تعالى :**

{ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ...} (الفتح : ١٨)

**وقال تعالى** :

{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ

---

١ ) صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل علي رضي الله عنه ، ٤ / ١٨٧٣ .
٢ ) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة ، ٥ / ٢٦ .

تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (الحشر: ٨ – ١٠).

فهذه الآيات وغيرها تتضمن الثناء على الصحابة وتذكرهم بالخير وسابق الفضل وعلو المنزلة.

كما تبين حال من أتى بعدهم من المؤمنين بأنهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم، وهذا هو شأن المؤمنين مع صحابة رسول صلى الله عليه وسلم ومن أتى بعدهم من صالح المؤمنين.

وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه خيرا فقال كما في الصحيحين عن عمران بن حصين وغيره: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » **قال عمران**: فلا أدري. أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا ) الحديث [(١)].

**وقال فيما أخرجه الشيخان بسنديهما عن أبي سعيد الخدري**:

« لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » [(٢)].

**ولقد صدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم حيث قال**: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب

---

١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ٥ / ٢ -٣ . وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . فضل الصحابة . ٤ / ١٩٦٤ .

٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضائل قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا ٥ / ١٠ . وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ٤ / ١٩٦٧ .

أصحابه خير قلوب العباد ، فجلعهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئ ) [1] .

فصار من لوازم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة صحابته وقرابته وأهل بيته ومعرفة فضلهم والثناء عليهم بما هم أهله والدفاع عنهم وصون حرمتهم .

## خامسا : ومن مظاهر محبة النبي صلى اللّه عليه وسلم محبة سنته والداعين إليها :

والمتمسكين بها وأهل العلم الذين لهم في هذه الأمة قدم صدق وهم السلف الصالح ومن أتى بعدهم على منهاجهم حتى يومنا هذا وتوليهم والدفاع عنهم ومعرفة قدرهم وحفظ حرمتهم والتأدب معهم والاعتذار لمن أخطأ منهم بأحسن المعاذير ، وحمل أقوالهم وأحوالهم على أحسن المحامل والوجوه ، لأن قصدهم إنما هو نصرة الدين ، ولا يعني ذلك عدم تبيين الحق فيما اختلفوا فيه أو الصواب فيما أخطأوا فيه فذلك هو واجب العلماء إلى يوم القيامة .

وإنما المقصود هو إحسان الظن وإنصافهم والتأدب معهم ، لأنهم حملة الشريعة ولولا أن الله هيأهم لهذا الأمر لما كان لنا عن هذا الدين خبر ، فهم سلفنا الصالح فلنكن لهم خير خلف ، لا أن نفيد من تراثهم ونجحد فضلهم أو نتلمس معايبهم ومطاعنهم دون النظر إلى فضائلهم ، فهذا هو سبب ذهاب بركة العلم . ولن نرزق بركة العلم والدين إذا لم نعترف لهم بسابق الفضل والمنزلة وتسلم صدورنا لهم ونترحم عليهم ونسأل الله لهم المغفرة ، وهذا هو شأن المؤمن في كل زمان .

**قال تعالى :**

{ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} (الحشر : ١٠ )

## قال شارح العقيدة الطحاوية:

---

١) أخرجه أحمد في الحسد ، ١١ / ٣٧٩ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، ٣ / ٧٨ - ٧٩ .

(فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمن ، كما نطق به القرآن خصوصا (**العلماء**) الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم ، يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر.

وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، إذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم علماؤها شرارها ، إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، فبهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وكلهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر [١] فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضي الله عنهم وأرضاهم) [٢].

وكما أن من لوازم المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبة سنته والداعين إليها فإن من لوزامها بغض من أبغض السنة وأهلها والدعاة إليها من علماء هذه الأمة وسلفها ، كما هو صنيع أهل البدع قديما وحديثا من الطعن في السنة وأهلها والوقيعة فيهم وتشويه صورتهم وتاريخهم.

**فيجب على المسلم** معرفة هؤلاء المبتدعة وبغضهم في الله ، كما ينبغي التنبه للمارقين والمنافقين والمنهزمين من حملة الأقلام المسمومة من الكتاب والأدباء والمؤرخين الذين راحوا يشوهون التاريخ ويقلبون الحقائق ويطعنون في خيار هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم من علماء هذه الأمة ويختلقون الأكاذيب أو ينقلونها على هوى وعدم بصيرة فيجب على أهل الاختصاص من المسلمين الكشف عن مخططاتهم وتعريف الأمة بهم والرد عليهم وتبيين الحقائق.

---

١) بين الشيخ بعد ذلك الأعذار التي اعتذر بها أهل العلم للأئمة . وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية القول في بيانها في رسالته القيمة (ردع الملام عر الأئمة الأعلام) فلتراجع ضمن مجموع الفتاوى ، ٢٠ / ٢٣١ وما بعدها .

٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ط ٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٥٥ .

{ ...لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ...} (الأنفال : ٤٢ )

تلك هي أهم مظاهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ولوازمها في صورتها العامة والتي يجب أن يتحلى بها المسلم في سلوكه وفعله وتظهر آثار ذلك عليه .

## آثار المحبة على السلوك والأفعال :

المقصود بهذه الآثار هو ما يظهر على سلوك المؤمن المحب لله ورسوله وفعله . لأن هذه الآثار هي التي تبين صدق هذه المحبة ، وهي عنوان انتفاع المسلم بهذه المحبة ، وإذا كان الحب يحرك إرادة القلب نحو تحصيل المحبوبات ودفع المكروهات ، فإن محبة المؤمن لله ورسوله تحمله على تحصيل ما يحبه الله من أعمال القلوب والجوارح ، واجتناب ما يبغضه الله ورسوله من الأقوال والأفعال فلا بد لكل محبة في القلب من آثار تظهر على الجوارح . وآثار محبة الرسول صلى الله عليه وسلم منها ما هو ظاهر يقع عليه الحكم وينطق فيه الوصف ، ومنها ما هو باطن بمنزلة الثمرة الإيمانية .

**فأما الظاهرة منها** : فهي أن يكون المسلم محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤثرا حبه على كل محبوب وغال،وأن يكون مكثرا لذكره وتذكره والصلاة عليه متشوقا لرؤيته، سائلا الله اللحاق به والاجتماع به في الجنة، والورود على حوضه والشرب منه .

**ومنها** : أن يكون معظما لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما شرعيا يليق به موقرا له ، ومتأدبا معه وحافظا لحرمته ، ومعظما لدينه وسنته ، متجافيا عن البدع والغلو وضروب المعاصي .

**ومنها** : أن يكون متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في منشطه ومكرهه في سره وعلانيته ، باذلا كل ما في وسعه للوقوف على هديه واتباع سنته ، متحريا في كل أقواله وأفعاله موافقة سنته ، وأن يكون حريصا على الاقتداء به في الواجبات والمستحبات في الفرائض والنوافل ، مكثرا من ذكر الله والدار الآخرة مجاهدا في سبيل الله بكل ما يستطيع .

**ومنها** : أن يكون متأدبا بآدابه متأسيا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم من سعة الصدر ولين الجانب وسماحة الخلق ، وبذل الندى وكف الأذى ، وبسط الوجه ، وأن يكون

صبورا حليما قريبا من البر ، بعيدا عن الإثم ، ودودا لإخوانه ، منصفا لهم ، ينزل الناس منازلهم ، ويعرف لأهل الفضل فضلهم . ويمتليء قلبه حبا لإخوانه المسلمين ، غير عياب ولا متفحش ولا ملتمس للبرآء المعايب زاهدا في حطام الدنيا وزخارفها ، راغبا فيما عند الله من الأجر والمثوبة .

تلك هي بعض أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي يجب على من أحبه أن يتأسى به فيها ، لا أن يدعي حبه ، وخلقه وسمته مباين لخلق الصالحين والأبرار .

وإن حسن الخلق هو عنوان استفادة المسلم من هذا الدين وهديه ، وهو الركيزة الأساسية في النجاة من النار وسلوك مسلك الأبرار بعد تقوى الله عز وجل .

**ومنـــها** : أن يكون محبا لأصحابه وقرابته وآل بيته والصالحين والعلماء وكل ما يحبه الله ورسوله ، وأن يبغض كل من أبغض الله ورسوله أو الصحابة أو آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أبغض دينه وكره ظهوره من الكفرة والمنافقين .

## ثمرات المحبة :

أما الآثار الباطنة فمن أعظمها أن يجد المؤمن في قلبه حلاوة الإيمان كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم بسنديها **عـــن أنـــس رضـــي اللّه عنـــه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال** : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود قي الكفر كما يكره أن يقذف في النار »[1] .

فهذا الحديث يبين أثر محبة الله ورسوله في قلب المؤمن وهو أن يجد حلاوة الإيمان في قلبه إذا اتصف بهذه الصفات الثلاث .

### يقول ابن تيميه :

( أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له ، فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك . . . فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح

---

١) سبق تخريجه.

بما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور. تكميل هذه المحبة ، وتفريعها ، ودفع ضدها .

( " **تكميلـــها** " أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه سواهما كما تقدم .

" **وتفريعها** " أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

" **ودفــع ضـــدها** " أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار) . (١)

وكلما ازداد المؤمن محبة لله ورسوله كلما ازداد ذوقه لحلاوة الإيمان فإن للإيمان من الحلاوة في القلب واللذة والبهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه إلا لمن ذاقه ، والناس متفاوتون في ذوق الإيمان واللذة به تفاوتا عظيما لا يعلمه إلا الله .

والمقصود أن أهل الإيمان يجدون بسبب محبتهم لله ورسوله من حلاوة الإيمان ما يناسب هذه المحبة (٢)

وأما عاقبة هذه المحبة فهي أن يكون المرء مع من أحب كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في الجنة بإذن الله ، ولو لم يكن لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ثواب سوى مرافقته في الجنة والتنعم برؤيته لكفى .

**أخرج البخاري بسنده عـن أنــس رضـــي اللهّ عنــه** : « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنى أحب الله ورسوله ، قال أنت مع من أحببت » . (٣)

**وفي رواية** : « قال : وماذا أعددت لها كما قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله **صلى اللهّ عليه وسـلم فقـال** : أنت مع من أحببت » . قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت .

---

١) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٢٠٥- ٢٠٦ .
٢) انظر : مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٦٤٨ - ٦٥٠ .
٣) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٨ / ٤٩ .

**قال أنس** : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ) . (١)

**وأخرج البخاري بسنده عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال** « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب » . (٢)

**فهذه الأحاديث تبين أن** المرء مع من أحب طالما كان هذا الحب سببه محبة الأعمال الصالحة وأهلها . فالمحبة الصحيحة تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وهو فعل الواجبات وترك المنكرات ، وإن لم يبلغ درجتهم في التقرب إلى الله عز وجل ، وعلى ذلك دل **قول السائل** : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ويقصد بذلك ما زاد على الواجبات من النوافل التي تقبل الكثرة والزيادة ، أو أن حظه منها قليل جدا بالمقارنة مع فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر أصحابه ورضي الله عنهم (٣)

**ويؤكد هذا قول أنس رضي اللّه عنه** : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم .

## قال ابن حجر :

( . . ودل الخبر على أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان الأصل أنه لا يحصل إلا بامتثال جميع ما أمر به ، أنه يحصل من طريق التفضل باعتقاد ذلك وإن لم يحصل استيفاء العمل بمقتضاه بل محبة من يعمل ذلك كافية في حصول أصل النجاة والكون مع العاملين بذلك ، لأن محبتهم إنما هي لأجل طاعتهم ، والمحبة من أعمال القلوب ، فأثاب اللّه محبهم على معتقده ، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها ، وليس من لازم المحبة الاستواء في الدرجات ) . (٤)

---

١) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة . باب مناقب عمر بن الخطاب ٥ / ١٤- ١٥ . وأخرجه مسلم في البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢ .
٢) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٨ / ٤٨- ٤٩ . ومسلم . كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢ .
٣) ويدل على هذا إحدى روايات مسلم وفيها : ما أعددت لها من كثير أحمد عليه نفسي) . صحيح مسلم ٤ / ٢٠٣٢ .
٤) فتح الباري ، ١٠ / ٥٥٨ .

**نخلص من هذا إلى أن** من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا صحيحا يصدقه الاتباع كان معه في الجنة بإذن الله فضلا وتكرما منه سبحانه ، أما مجرد ادعاء الحب بدون تحقيق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يصل صاحبه إلى هذه المعية ما لم يحقق الاتباع .

## قال الحسن البصري رحمه الله تعالى :

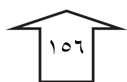
(**ابن آدم لا تغتر بقول من يقول** : المرء مع من أحب ، أنه من أحب قوما اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم وتصبح وتمسي وأنت على منهجهم ، حريصا على أن تكون منهم ، فتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم وإن كنت مقصرا في العمل ، فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة ، أما رأيت اليهود ، والنصارى ، وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ، لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير طريقهم فصار موردهم النار ، نعوذ بالله من ذلك ) .[١][٢]

---

١) استنشاق نسيم الأنس ، لابن رجب ، ص٨٧ .
٢) عبد الرءوف محمد عثمان ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، ص ١٢٠ – ١٣٠ .

# الفصل الخامس

## النهي عن الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم



## المعنى اللغوي للغلو :

**أما المعنى اللغوي للغلو**: فجاء في مقاييس اللغة: الغين -واللام- والحرف المعتل -أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده. وغلا بسهمه غلوا، إذا رمى به سهما أقصى غايته. وتغالى النبت ارتفع وطال.

**وتغالى لحم الدابة**: إذا انحسر عنه وبره، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو... الخ [١] وفي التهذيب"... غلا السعر غلاء ممدود.

وغلا في الدين يغلو غلوا: إذا ب وز الحد ..." [٢].

**وفي اللسان**: "... أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء. وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده.

**وفي التنزيل**:

{...لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ....} (٣) ( النساء : ١٧١ )

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: " الغلو: هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك " (٤).

## التعريف الشرعي للغلو وموقف الشرع منه

**الغلو في الشرع**: هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

**وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضعان:**

---

١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧، ٣٨٨).
٢) تهذيب اللغة (٨/ ١٩٥، ١٩٢).
٣) لسان العرب (١٥/ ١٣١، ١٣٢) مادة (غلا).
٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦).

**فأحدهما: في قوله تعالى** :

{يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا } ( النساء : ١٧١ )

**والوضع الثاني: قوله تعالى**:

{قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ } (المائدة : ٧٧ ).

## قال ابن جرير الطري:

" **يعني جل ثناؤه بقوله** :

{يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ } :

**يا أهل الإنجيل من النصارى:**

{...لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ .... }

**يقول**: " لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق، لأن الله لم يتخذ ولدًا فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا .

{وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ }.

**وأصل الغلو في كل شيء**: مجاوزة حده الذي حده، ويقال منه في الدين قد غلا فهو يغلو غلوًا "(١).

**وقال في تفسير آية المائدة**: وهذا خطاب من الله تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح {يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ } يعني بالكتاب الإنجيل {...لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ .... }

---

١) تفسير الطبري (٣٤/٦).

يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به في أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه: هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

{...وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا ...}(المائدة :٧٧)

يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ... "[١].

**وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء**: " ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا **ولهذا قال الله تعالى** :

{ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...} (التوبة : ٣١ ) [٢].

**وقال عند تفسير آية سورة المائدة**: أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما ... "[٣].

**والمتأمل للنصوص القرآنية يجد أن** النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعه إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والإتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه. فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكامًا ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة.

---

١) تفسير الطبري (٣١٦/٦).
٢) تفسير ابن كثبر (١/ ٥٨٩).
٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢).

**قال تعالى:**

{ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ }

(التوبة : ٣١ )

**فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، ولهذا قال تعالى:**

{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا } أي الذي إذا حرم شيئا فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ .

{لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ} أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه"[(١)].

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد، بل قدسوهم أمواتًا كما قدسوهم أحياءً فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سببا في لعنهم قال صلى الله عليه وسلم "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[(٢)].

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية**: "والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين: " أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة، وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها.

**فقال**: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنو على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[(٣)].

والنصارى كثيرا ما يعظمون آثار القديسين منهم، فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه.

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى[(٤)].

---

١) تفسير ابن كثير (٣٤٩/٢).
٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٨.
٣) تقدم تخريجه ص ٥٨٨.
٤) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦١،٤٦٠).

**فالنصارى أمة ضلت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها وقد تجلى غلوها في عدة أمور منها:**

١- غلوهم في نبي الله عيسى ورفعه إلى مكانة الألوهية.

٢- غلوهم في رهبانهم وصالحيهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في والتحريم، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم.

٣- ابتداعهم الرهبانية.

والله سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأمم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه **قال تعالى:**

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ... } (يوسف : ١١١)

**والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين:**

١- ا لتوحيد

٢- الإتباع.

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية. وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم.

**فانظر كيف كان الغلو سببا لهدم الدين.**

**فإن المسيح قال لهم:** {ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ .. } (المائدة :٧٢)

**وقال:**

{إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ } (الصف : ٦ )

فلو امتثلوا أمره كانوا مطعين لرسول الله موحدين لله، ونالوا بذلك السعادة من الله في الدنيا والآخرة، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم، وكذبوا بالرسول الذي بشر به وحرفوا التوراة التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح وكان هذا من جهلهم

وضلالهم، فإنهم لو أطاعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر ما لا يحصيه إلا اللّه، ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة.

**وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم** :

{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} (المائدة : ٧٥ )

**قـالوا**: إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه بل قالوا هذا كفر وجحد لحقه، وسلب لصفات الكمال الثابتة له.

**وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من** الغلو فيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر.

**وفي ذلك من الحمد له والمدح** وإعظامه والإيمان به وإعطائه الدرجة العلية ما ليس في الغلو فيه.

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال الخلوق، وهذا هو الكمال فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له، إيمان به وموافقة لخبره وأمره، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك باللّه، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفترين "[1].

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك.

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام "[2].

---

١) الرد على البكري (ص ١٠٤- ١٠٥).
٢) تفسير الطري (٢٩/ ٩٩).

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب **قوله تعالى** :

{...وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} (نوح :٢٣)

**عن ابن عباس أنه قال**: " أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت "[١].

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد لله من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية.

**قال ابن القيم**: " ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في الخلوق وإعطائه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه.

وهذا التشبيه الواقع في الأمم هو الذي أبطله الله سبحانه وبحث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله[٢].

ولهذا نهي الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صوره وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصليّ ا لدين:

**ا لتوحيد والإتباع**.

ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سببا لهلاك من قبلنا من الأمم.

**فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال**:"إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين" [٣].

---

١) انظر فتح الباري (٨/ ٦٦٧).
٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).
٣) أخرجه الأمام أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧). والنسائي في السنن (٥/ ٨ ا. ٢) كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى. وابن ماجه في سننه، أبواب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢/ ١٨٣) ح ٣٠٦٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عوف بن ألي جميلة عن زيادة بن حصين عن ألي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦). وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٧٨) ح ١٢٨٣ وقال في تخريج السنة لابن ألي عاصم (٤٦/١) إسناده صحيح. وقد صححه ابن خزيمة والحاكم (٤٦٦/١) والذهبي والنووي وابن تيمية.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: وقوله "إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال" [١].

وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم لهذه العبارة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته "القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: أيها الناس إياكم والغلو في الدين ..." الحديث.

فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه: مثل رمي الحجارة ونحو ذلك، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك. كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى[٢].

ولو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلو، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلو وتبين خطره وهلاكه.

**فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون" : قالها ثلاثًا[٣].

**قال النووي**: "**هلك المتنطعون**": أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[٤].

**وقال أيضا**: "**المتنطعون**: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد"[٥] فهذا الحديث موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلو. وهناك أحاديث كثيرة نهي فيها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم عن الغلو في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٥٦).
٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦).
٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٥٨/٨)
٤) شرح النووي (٢٢٠/١٦).
٥) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة (ص ٨٨).

**فعن أنس بن مالك رضي اللهّ عنه قال**: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى اللّه عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى اللّه عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي صلى اللّه عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا.

**وقال آخر**: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

**وقال آخر**: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول اللّه ال فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللّه إني لأخشاكم للّه وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " (١).

فسمى النبي صلى اللّه عليه وسلم الغلو في جانب العبادات والسنن التي سنها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به، وتبرأ ممن هذه حاله، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى اللّه تعالى ذلك لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الإتباع فنحن مأمورون بالاقتداء به صلى اللّه عليه وسلم والأخذ بسنته. والغلو في هذا الجانب مناقض تماما لهذا الأصل، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي صلى اللّه عليه وسلم ممن غلا في جانب ما سنه وشرعه للأمة.

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة اللّه مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب اللّه ومقته فتهلك كما هلكت الأمم السابقة.

**وعن أنس رضي اللهّ عنه قال**: دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال " ما هذا الحبل؟ " قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به.

**فقال النبي صلى اللهّ عليه وسلم**: " حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد" (٢) وعند مسلم " حبل لزينب تصلي " .

---

١) تقدم تخريجه.
٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة. انظر: فتح الباري (٣٦١٣) ح ١١٥٠. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومراجع الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته ... (١٨٩/٢).

**قال ابن حجر**:"وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها..."[1].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته كذلك من الغلو في حقه صلى الله عليه وسلم.

وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم، ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من منزلته في قلوب المؤمنين.

فقد خشي صلى الله عليه وسلم أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله.

فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك.

- ❖ وقد جاء تحذره تارة بأسلوب النهي الصريح.
- ❖ وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد.
- ❖ وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

**فمما ورد عنه قوله صلى اللهّ عليه وسلم**: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فانما أنا عبده، فقولوا عبد اللّه ورسوله"[2].

**قال ابن حجر**: "الإطراء: المدح بالباطل تقول أطربت فلانًا: مدحته فأفرطت في مدحه"[3].

**فمعنى الحديث**: أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به ربى، وقولوا عبد الله ورسوله.

فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكابا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضما

---

١) فتح الباري (٣/ ٣٧).
٢) تقدم تخريجه ص ٦٢٦.
٣) فتح الباري (٦/ ٤٩٠).

لجنابه وغضا من قدره، فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب وغير ذلك من الأمور[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة[2] عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف فيه مصنفا.

**وكان يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم** يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وحكي عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه.

**ومن هؤلاء من يقول في قول الله تعالى** :

{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} (الأحزاب :٤٢)

إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.

**ومنهم من يقول**: نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبودًا ويقول قائلهم:فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ[3].

فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي صلى الله عليه وسلم.

**ولكن ما على الرسول إلا البلاغ** فقد سد النبي صلى الله عليه وسلم كل ذريعة مؤدية إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطا صافيًا لا كدر فيه، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة.

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوي.

---

١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٢- ٢٧٣).
٢) الرد على البكري (ص ٢١٨).
٣) تيسير العزيز الحميد (٢٧٣).

وهذا من الحرص الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم على حماية التوحيد، فبهذا النهي الشديد سد الرسول صلى الله عليه وسلم طريق الغلو.

والنهي عن المبالغة في الإطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها.

ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح المجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به الله ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة.

"ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الخلق على تجريد التوحيد حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: "اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده "(1).

- ❖ ونهى أن يحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك.
- ❖ ونهي أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليه سراج، بل مدار دينه على هذا الأصل-أي تجريد التوحيد- الذي هو قطب رحا النجاة، ولم يقرر أحد ما قرره صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له، فتعظيمه صلى الله عليه وسلم بموافقته على ذلك لا مناقضته فيه(2).

**والغلو بشتى صوره وأشكاله** مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن سبب عبادة الأصنام هو الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأم الذي أبطه الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله. فهو سبحانه ينفي، وينهي، أن يجعل غيره مثلا له، وندا له وشبها له. لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم.

---

1) أخرجه الإمام أحمد (1/ 214، 224، 283، 347)، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص 545 ح 987.

2) تيسير العزيز الحميد ص 274.

**وإنما الأول هو** المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه، ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الألهة إلها واحدا **وقالوا**:

{...وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ ...} (ص :٦)

وصرحوا بأنه إله معبود، يرجى، ويخاف، ويعظم، ويسجد له ويحلف باسمه وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا للّٰه تعالى.

فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبه من كل وجه[1].

فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده.

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا -فضلا عن غيره- شبيها لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات. ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

**وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده**، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره. فمن جعل شيئًا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

---

١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

**ومن خصائص الإلهية**: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجئ به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها. ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورًا على نور.

{...نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ...} (النور: ٣٥)

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود،فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

- ❖ ومنها المتوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.
- ❖ ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.
- ❖ ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به. هذا في جانب التشبيه.

**وأما في جانب التشبه به**: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه. (١)

**وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال**: "يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما عذبته" (٢).

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة،فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ففي الصحيحين عنه

---

١) محمد بن خليفة بن علي التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٦٤٧ – ٦٦٠.
٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر (٣٦/٨).

صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **قال الله عز وجل**: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة" [1].

فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس عذابا ئرم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم" [2] [3].

بيان توسط السلف في حق النبي صلى الله عليه وسلم

**إن مما امتاز به اتباع هذا الدين**: الوسطية في كل شيء فلا إفراط ولاتفريط **قال تعالى:**

{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ....} (البقرة : ١٤٣)

**قال ابن كثير**: "والوسط هنا المراد به الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا أي خيرها.

ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب"[4].

ومن الأمور التي توسطت بها هذه الأمة توسطها في شأن الأنبياء بين اليهود والنصارى.

**فقد افترق اليهود والنصارى في الأنبياء**: فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم. والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله.

أما هذه الأمة فقد توسطت بين الطائفتين فأمنت وصدقت بأنبياء الله ولم يتتخذهم أربابا من دون الله.

فالسلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ساروا في هذا الشأن وفق نصوص القرآن والسنة الصحيحة شأنهم في ذلك شأنهم في سائر أمور هذا الدين الاتباع وترك الابتداع.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} فتح الباري (١٣/ ٥٢٨) ح ٧٥٥٩. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦/ ١٦٢).

٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كناب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة.

فتح الباري (١٠/٨٢-٨٣) ح ٤٩٥٠-٤٩٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كثاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة (١٦١١٦).

٣) الجواب الكافي (ص ١٥٩- ١٦١).

٤) تفسير ابن كثير (١/١٩٠).

**فما نص عليه القرآن يجب الأخذ به والعمل به والحال نفسه ينطق على مانصت عليه السنة.**

فقد نصت النصوص على أمور متعددة فيما يتعلق بشأن نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فمن أخذ بهذه الأمور جميعها وأمن بها فقط توسط ومن أخل بشيء منها فهو لا محالة واقع في أحد حالين إما الغلو أو التنقص.

ولما كان حال الغلو هو الأكثر خطرا على اتباع الرسل، فقد جاء التنبيه والتأكيد على بشريتهم في مواطن متعددة في كتاب الله العزيز منها:

## ١- التأكيد على بشرية الرسول وعبوديته لله تعالى:

**قال تعالى:**

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ...} (آل عمران: ٧٩)

**وقال تعالى:**

{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ...} (الكهف: ١١٠)

**وقال تعالى:**

{...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً} (الإسراء: ٩٣)

**وقال تعالى:**

{سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلاً ...} (الإسراء: ١)

**وقال تعالى:**

{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ...} (البقرة: ٢٣)

**وقال تعالى:**

{...إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ...} (الأنفال: ٤١)

**وقال تعالى:**

{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ} (الكهف: ١)

وقال تعالى:

{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} ( الفرقان :١ ).

وقال تعالى :

{فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ} ( النجم : ١٠ ).

وقال تعالى:

{هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ...} ( الحديد : ٩ ).

وقال تعالى :

{وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ ..} ( الفرقان : ٢٠ ).

## ٢- التأكيد على أن الرسل لا يملكون شيئا من خصائص الألهية والربوبية

قال تعالى :

{قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ...} ( الأنعام : ٥٠ )

وقال تعالى:

{قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ...}(الأنعام : ٥٨-٥٩)

وقال تعالى :

{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف : ١٨٧ – ١٨٨ )

وقال تعالى :

{وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ } (يونس : ٢٠ )

وقال تعالى :

{وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ...}(هود:٣١ )

وقال تعالى :

{قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } (الجن : ٢١ )

وقال تعالى :

{لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ... } (آل عمران : ١٢٨ )

وقال تعالى :

{قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ... } (يونس : ٤٩ )

وقال تعالى :

{قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ ...} ( الأحقاف :٩)

## ٣- التنبيه على ما كان من حال النصارى مع عيسى عليه السلام وبيان كفرهم في ذلك:

قال تعالى:

{لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ... } (المائدة : ١٧ )

**وقال تعالى:**

{لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا
رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ
أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ
ٱلسَّبِيلِ } (المائدة : ٧٢ – ٧٧ )

## ٤- بيان كفر من رفعهم إلى درجة الربوبية:

**قال تعالى:**

{وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم
مُّسۡلِمُونَ } ( آل عمران : ٨٠)

وبجانب هذا التأكيد على بشرية الرسل والتحذر من رفعهم فوق مكانتهم التي أعطاهم الله إياها ووصفهم بما ليز لهم حق فيه.

أكد الإسلام وجوب الإيمان بهم وإكرامهم ورفع درجتهم وجعلهم في مكانة ومنزلة سامية. فأوجب الإيمان بهم.

**قال تعالى:**

{ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} (البقرة: ٢٨٥).

**قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:** "فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه.

ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين"([1]).

وفي مقابل ذلك فقد عد تكذيب واحد منهم كفرًا ولو ادعى الإيمان بالله ورسله جميعا إلا ذلك، فإيمان من هذا حاله إيمان زائف لا وزن له ولا خير فيه وصاحبه موسوم بالكفر.

**قال تعالى:**

{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا}

(النساء: ١٥٠ – ١٥١)

---

١) تفسير ابن كثير (١/٣٤٢).

**قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية**: "والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبى بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية"(١).

وبهذه الوسطية تمسك السلف الصالح ومن سار على نهجهم فالأنبياء وعلى رأسهم نبينا صلوات الله عليهم أجمعين بشر مثلنا فضلهم الله واصطفاهم واختارهم وشرفهم بحمل الرسالة وتبليغها إلى الناس، وأوجب علينا لهم من الحقوق ما سبق ذكره، وكذلك جعل لنا عليهم من الأمور والحقوق التي تطلب منهم، "**فالأمور نوعان**:

**النوع الأول**: نوع يطلب لنبينا منا ويجب له علينا.

**والنوع الثاني**: نوع يطلب لنا منه سواء أوجب عليه أو لم يجب. فالواجب له علينا من الحقوق بعد الموت الإيمان به ومحبته ونصره وتعزيره وتوقيره وطاعة أمره واتباع سنته وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه.

هذا بالنسبه لما يتعلق بالنوع الأول. أما ما يتعلق بالنوع الثاني: فتحقيق ذلك أن الله أمره بأشياء منها ما هو حق لله. ومنها ما هو حق للناس.

والأمر تارة يكون أمر إيجاب، وتارة أمر استحباب.

وكل ما أمر به مما فيه نفع للخلق ففيه حق لهم عليه كتبليغهم وتعليمهم والبيان لهم وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن كل منكر، وحضهم على كل ما يقربهم إلى الجنة ونهيهم عن كل ما يبعدهم عنها وتبيين كل ما يحتاجون إليه وأمثال ذلك.

وقد فعل ذلك وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها، وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لهم منه علما بأخباره وأوامره ونواهيه.

وكذلك كان يقوم بأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم، وإطعام جائعهم، وعيادة مريضهم، والصلاة على ميتهم، وأمثال ذلك من أنواع إحسانه إليهم في جميع مصالح الدنيا وا لآخرة.

---

١) تفسير ابن كثير (٥٧٢/١).

فاجتمعت له صفات الكمال المتفرقة في غيره من الرسل والأنبياء وولاة الأمر وغيرهم.

وكان له من خصائص النبوة والرسالة ما لم يشركه فيه أحد بعده، وكان يقوم بالإمامة في الصلاة والإمارة في الغزو وإرسال البعوث وعقد الألوية والشعائر في الحروب وإقامة الحدود وايصال الحقوق وقسم المواريث والمغانم والفيء والصدقات، وتعليمهم ما يؤمرون به مما في القلوب من المعارف والأحوال، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال، وأفتاهم فيما ينوبهم من المسائل، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا وتعبير الرؤيا وما كان وما يكون من أمر الدنيا والآخرة، وصفات الرب، وملائكته، وأمر الآخرة والجنة والنار إلى غير ذلك. فهذه الأمور التي كان مأمورًا بها أمر إيجاب أو أمر استحباب وكانت حقا عليه للخلق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء.

كما أدّى حق الله الذي أمره به، فلم يبق عليه منه شيء، فجاهد في الله ونصح الأمة، وعبد ربه حتى أتاه اليقين.

وأما ما كان حقا له على الأمة ومنفعته في الحقيقة تعود عليهم، والله تعالى يثيبه بما يعملون به من طاعته مثل ثوابهم، يستجيب فيه صالح دعواهم فهو في الحقيقة حق الله وان كان فيه حق للرسول فإن الله هو الذي أمرهم به الرسول، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.

**فكل ما أمرهم به الرسول من واجب ومستحبا فالله آمرهم به.**

- ❖ وإذا أطاعوا الله ورسوله فأجرهم على الله.
- ❖ وإذا عصوا الله ورسوله فحسابهم على الله.

**قال تعالى :**

{...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ} ( الرعد : ٤٠ )

**وقال تعالى:**

{فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}

(الغاشية : ٢١ – ٢٦ )

وقال تعالى:

{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ} (التغابن : ١٢)

ثم قال :

{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ} (التغابن : ١٣)

فأمر بطاعته وطاعة رسوله لأن طاعته طاعة لله.

وأمرهم بالتوكل عليه وحده، وطاعة الرسول هي عبادة لله وحده والأمر والمعنى المتقدم من أن الرسول ليس عليه إلا ما أمر به من البلاغ والبيان والجهاد وليس عليه جزاء العباد ولا حسابهم ولا هدايتهم قد كرر في القرآن في مواضع. والحق الذي لله وللرسول باق بعد موت الرسول، وكذلك ما كان من حقوقه التي يمكن بقاؤها كالصلاة عليه والتسليم والتعزر والتوقير والمحبة وغيرها فهي لم تنقص بعد موته بل توكدت وقويت، بل حقوقه عليها بعد موته أكمل منها في حياته.

فمن ذلك أن من تنقصه في حياته أوسبه فإنه كان له صلى الله عليه وسلم يعفو عن حقه.

فأما بعد موته فليس لأحد أن يعفو عن حقه ولا يسقط وكذلك في مغيبه. فعلينا أن نقوم بحقوقه الواجبة علينا في حال مماته ومغيبه أكثر مما علينا أن نقوم بها في محياه وحضوره.

**وتلك الحقوق علينا له**، وإذا فعلناها كانت عبادة منا لله، أجرنا فيها على الله وهي مما يزيده الله بها من فضله من جهة امتثالنا لما أمرنا به، وهو داعينا، وكلما أطعنا كان له مثل أجورنا، ومن جهة ما يصل إليه من الرحمة باستجابة الله دعاء الأمة، مع ما يزيده الله إياه من فضله. وهذه الحقوق الثابتة بعد موته هي تبع لرسالته فإنه هو السفير والواسطة بيننا ولون الله تعالى في تعليمنا وانتفاعنا بما علمنا من علم الله وخبره وفي أمرنا وإرشادنا إلى ما أمر الله به وأحبه ورضيه وبذلك حصل لمن آمن به واتبعه سعادة الدنيا والآخرة.

بل أعظم نعمة أنعم الله بها على المؤمنين أن أرسله إليهم وأنزل عليه الكتاب ومنَّ عليهم باتباعه. فليس في الدنيا خير أعظم من هذا[1].

وبعد فهذا أنموذج من فهم السلفي لنوع العلاقة التي تربط الأمة بنبيها وهو فهم أوجبته النصوص الشرعية وأكدته وأوا فمحته ورسمته، فليس لنا أن نحيد عنه أو نبدل فيه.

وهو فهم أعطى لكل ذى حق حقه كما أوجب ربنا وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فحق الله هو توحيده، تجريد العبادة له تبارك وتعالى.

وحق الرسول الإيمان به وطاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك مما سبق ذكره.

**وعن هذا التوازن في وضع الأمور في نصابها الذي أوجبه الله تعالى علينا يقول ابن القيم**: "والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب أن تجريد التوحيد أن لا يعطى الخلوق شيئا من حق الخالق وخصائصه، فلا يعبد، ولا يصلى له ولا يسجد ولا يحلف باسمه، ولا ينذر له، ولا يتوكل عليه، ولا يؤله ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب إلى الله زلفى، ولا يساوى برب العالمين في قول قائل: ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، وهذا من صدقاتك وصدقات الله، وأنا تائب إلى الله وإليك، وأنا في حسب الله وحسبك، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم يحلق رأسه له، ويحلف باسمه، وينذر له، ويسجد لقبره بعد موته، ويستغيث به في حوائجه ومهماته، ويرضيه بسخط الله، ولا يسخطه في رضا الله، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى الله ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه أو يساويه.

فإذا هضم الخلوق خصائص الربوبية، وأنزله منزلة العبد المحض الذي الأ يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضرًا ولا نفعا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا لم يكن هذا تنقصًا له ولا حطًا من مرتبته ولو رغم المشركون.

---

1) الرد على البكري (ص ١٠٨- ١١٢) بتصرف يسير.

**وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات اللّه وسلامه عليه أنه قال:**

"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد اللّٰه فقولوا عبد اللّٰه ورسوله" [(١)].

- ❖ **وقال صلى اللّه عليه وسلم:** "لا تتخذوا قبرى عيدا " [(٢)].
- ❖ **وقال صلى اللّه عليه وسلم:** "اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد" [(٣)].
- ❖ **وقال صلى اللّه عليه وسلم:** "لا تقولوا ما شاء اللّٰه وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء اللّٰه ثم شاء فلان" [(٤)].

**وعن عدى بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال:** من يطع اللّٰه ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: "بئس الخطيب أنت قل ومن يعص اللّٰه ورسوله " [(٥)].

**وقال له رجل:** ما شاء اللّٰه وشئت. فقال: "أجعلتني للّٰه ندا ؟"[(٦)].

**وقال له رجل قد أذنب:** اللّٰه إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد. فقال: "عرف الحق لأهله"[(٧)].

**وقد قال اللّه له:**

{لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ...} ( آل عمران : ١٢٨ )

**وقال:**

{... قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ...} ( آل عمران : ١٥٤ )

---

١) تقدم تخريجه
٢) تقدم تخريجه
٣) تقدم تخريجه.
٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨). وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب لا يقال خبئت نفس (٥ ١ ٢٥٩) ح ٤٩٨٠. وأخرجه أبر داود في السنن، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفس (٢٥٩/٥) ح ٤٩٨٠. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب النهي أن لا يقال خبثت نفس (٢٥٩/٥) ح ٤٩٨٠. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان (ص ٥٤٤) ح ٩٨٥. وقال النووي: رواه أبو داود بإسناد صحيح. رياض الصالحين (ص ٦١١).
٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطة (١٢/٣-١٣).
٦) تقدم تخريجه.
٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٣٥).

وقال:

{قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ...} (يونس: ٤٩)

وقال:

{قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا} (الجن: ٢١ - ٢٢)

أي لن أجد من دونه من ألتجئ إليه وأعتمد عليه. وقال لابنته فاطمه وعمه العباس وعمته صفية: "لا أملك لكم من الله شيئا" (١) وفي لفظ: "لا أغني عنكم من الله شيئا" (٢).

فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم، وأبوا ذلك كله، وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله، وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم وقد هضموا جانب الألهية غاية الهضم وتنقصوه **فلهم نصيب وافر من قوله تعالى**:

{وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ} (الزمر: ٤٥) (٣)

**وقال أيضا رحمه الله في قصيدته النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية:**

يامن له عقل ونور قد غدا ... يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ ... في كل وقت بينكم بأذان
الرب رب والرسول فعبده ... حقا وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الرحـ ... ـمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلوا الغلو كما نهي ... عنه الرسول مخافة الكفران

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب من انتسب لآبائه في الإسلام والجاهلية. فتح الباري (٥٥١/٦) ح ٣٥٢٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب في قوله تعالى {وَأَنۡذِرۡ عَشِيرَتَكَ الأَقۡرَبِينَ} (١٣٣/١).
٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب. انظر فتح الباري (٣٨٢/٥) ح ٢٧٥٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعانى {وَأَنۡذِرۡ عَشِيرَتَكَ الأَقۡرَبِينَ} (١٣٣/١).
٣) الروح لابن القيم (٧٦٦/٢، ٧٦٧).

لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقا واحدا ... من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله ... وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا ... وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والإنابة والتقى ... وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به ... إياك نعبد ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره ... دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتهليل ... حق آلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير ... حق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا ... يختص بل حقان مشتركان
هذى تفاصيل الحقوق ثلاثة ... لا تجهلوها يا أولى العدوان
حق الإله عبادة بالأمر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئا هما ... سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول ... إذ هو صاحب البرهان
والأمر منه الحتم لا تخيير فيه ... عند ذي عقل وذي إيمان
من قال قولا غيره قمنا على ... أقواله بالسير والميزان
إن وافقت قول الرسول وحكمه ... فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على ... من قالها من كان من إنسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم ... نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا ... وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالى على ... أمر الورى وأمر ذى السلطان
وهم المقدم في محبتنا على ... الأهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على ... النفس التي قد ضمها الجنبان
ونظير هذا قول أعداء المسيح ... من النصارى عابدى الصلبان
انا تنقصنا المسيح بقولنا ... عبد وذلك غاية النقصان
لو قلتم ولد إله خالق ... وفيتموه حقه بوزان
وكذاك أشباه النصارى مذغلوا ... في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرسول ودينه ... في صورة الأحباب والإخوان

فانظر إلى تبديلهم توحيده ... بالشرك والإيمان بالكفران

وانظر إلى تجريده التوحيد من ... أسباب كل الشرك بالرحمن

واجمع مقالتهم وما قد قاله ... واستدع بالنقاد والوزان

عقل وفطرتك السليمة ثم زن ... هذا وذا لا تطغ في الميزان

فهناك تعلم أي حزبينا هو ... المتنقص المنقوص ذو العدوان

رامي البريء بدائه ومصابه ... فعل المباهت أوقح الحيوان

كمعير للناس بالزغل الذي ... هو ضربه فاعجب لذا البهتان

يا فرقة التنقيص بل يا أمة الدعوى ... بلا علم ولا عرفان

والله ما قدمتم يوما مقالته ... على التقليد للانسان

والله ما قال الشيخ وقال ... إلا كنتم معهم بلا كتمان

والله أغلاط الشيوخ لديكم ... عين الصواب ومقتضى البرهان

ولذا قضيتم بالذي حكمت به ... جهلا على الأخبار والقرآن

والله إنهم لديكم مثل معصوم ... وهذا غاية الطغيان

تبا لكم ماذا النقص بعد ذا ... لو تعرفون العدل من نقصان

والله ما يرضيه جعلكم له ... ترسًا لشرككم وللعدوان

وكذاك جعلكم المشايخ جنة ... لخلافه يشهده أولو الايمان

والله ما عظمتموه طاعة ... ومحبة يافرقة العصيان

أني وجهلكم به وبدينه ... وخلافكم للوحي معلومان

أوصاكم أشياخكم بخلافهم ... لوفاقه في سالف الأزمان

خالفتم قول الشيوخ وقوله ... فغدا لكم خلفان متفقان

والله أمركم عجيب معجب ... ضدان فيكم ليس يتفقان

تقديم آراء الرجال عليه مع ... هذا الغلو فكيف يجتمعان؟

كفرتم من جرد التوحيد جهلا ... منكم بحقائق الإيمان

لكن تجردتم لنصر الشرك والبدع ... المضلة في رضى الشيطان

والله لم نقصد سوى التجريد للتوحـ ... ـيد ذاك وصية الرحمن

ورضى رسول الله منا لا غلـ ... ـو الشرك أصل عبادة الأوثان

والله لو يرضى الرسول دعاءنا ... إياه بادرنا إلى الإذعان

والله لو يرضى الرسول سجودنا ... كنا مخر له على الأذقان

والله ما يرضيه منا غير إخـــــ ... ــــلاص وتحكيم لهذا القرآن
ولقد نهي ذا الخلق عن إطرائه ... فعل النصارى عابدي الصلبان
ولقد نهانا أن نصير قبره ... عيدا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرحا ... باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعني الألى جعلوا القبور مساجدا ... وهم اليهود وعابدوا للصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره ... لكنهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمتنــــ ... ــــع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول وقصده ... التجريد للتوحيد للرحمن[1]

## نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي صلى الله عليه وسلم...

**قال الله تعالى:**

{...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ} (الرعد : ٤٠)

**وقال تعالى:**

{قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ...} (الأحقاف : ٩)

**وقال تعالى:**

{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} (الكهف : ١١٠)

**وقال تعالى:**

{لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ...} (آل عمران : ١٢٨)

---

١) محمد بن خليفة بن علي التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٦٩٥ – ٧١٠ .

**وقال تعالى:**

{قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ } (الأنعام: ٥٠)

**وقال تعالى:**

{...وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ } (الأعراف: ١٨٨)

**وقال تعالى:**

{قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا} (الجن: ٢٠ – ٢٣)

برغم هذه الآيات البينات والبراهين الواضحات التي تبين وتفصل بين ما هو حق للرسول وما ليس له بحق، وما يملكه الرسول وما لا يملكه وأمثالها في القرآن الكريم كثير جدا.

يأبى أناس إلا معصية الله ورسوله ومخالفة ما جاءت به النصوص؛ إتباعا لأهوائهم وسلوكا لسبيل الشيطان، فقد غلوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتنوع غلوهم وتفاوت حتى وصل في كثير من أنواعه إلى درجة الإشراك بالله تعالى.

وسأذكر في هذا الفصل نماذج من هذا الغلو الحاصل مع الإشارة إلى وجه مخالفتها للنصوص الشرعية والرد عليها.

## نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي صلى الله عليه وسلم

### أ- ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية):

وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم:"اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ... ثم انبخست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات"(١).
الموجودات"(١).

**ويقول آخر**: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجبا وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت"(٢).

**وفي هذا يقول شاعرهم:**

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى ... فردا لفرد، والبرية في عدم
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي، فيا عظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم ... في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم
وإذا دعتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم(٣)

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

**الدعوى الأولى:** دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من نور رب العالمين.

---

١) الأنوار المحمدية (ص ٩).
٢) هذه هي الصوفية (ص ٨٧).
٣) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧).

**الدعوى الثانية:** أنه وجد قبل خلق آدم.

**الدعوى الثالثة:** أن الأشياء خلقت منه.

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعًا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال إني كلى بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث(١).

**ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:** "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأراضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله"(٢).

**وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي:** "ليس له إسناد يعتمد عليه"(٣).

ولا يخفي على من له أدني معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه. وكذلك مما يرونه "كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين".

---

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٠٠- ٢٠١) بتصرف.
٢) الأنوار المحمدية (ص ١٣).
٣) الحاوي للفتاوى (١/ ٣٢٥).

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: "هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

**ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن** النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ موجودا وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه "أنه كان نورًا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور"[1].

**ومن العجيب أن** كثيرا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

**فقد أخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى :**

{خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ}

(الرحمن : ١٤ – ١٥)

**والنبي صلى الله عليه وسلم بشر خلق مما خلق منه باقي البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقي البشر قال تعالى :**

{...قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا} (الإسراء : ٩٣ )

**وقال تعالى:**

{قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ...} (الأحقاف : ٩ ).

والآيات في هذا الشأن، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه[2].

## ب- دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي صلى الله عليه وسلم:

---

[1]) الرد على البكري (ص ٨- ٩). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٧١٤/٢)

٢) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق.

**وفي هذا يقول** قائلهم وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم(١).

**وقول الآخر** ممن هو من نقطة وشكله لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم(٢).

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حدثنا "لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو موضوع(٣).

**وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال**: أوحى اللّٰه إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار... "(٤).

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا.

أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن اللّٰه عزوجل إنما خلق الجن والإنس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث **قال عز وجل** :

{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذاريات : ٥٦)

**قال ابن كثير**: "ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب"(٥).

**وقال تعالى** :

---

١) ديوان البوصيري (ص ٢٤٠). تنبيه الحذاق (ص ٢٧).
٢) تنبيه الحذاق (ص ٢٧). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٢ /٧١٥).
٣) قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص ٧)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢.
٤) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفا وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعًا على سعيد".
وقد قال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٤٦) عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه: "عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر، أخرجه الحاكم في مستدركه، وأظنه موضوعًا من طريق جندل بن والق" ثم ذكر نص هذا الحديث. ووافقه ابن حجر في اللسان (٤/ ٣٥٤).
٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٧١٦/٢)

{وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... } (هود : ٧ )

**وقال تعالى :**

{ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... } (الملك : ٢ )

**وقال تعالى :**

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } ( الكهف : ٧)

فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

**فهذه هي الحكمة من خلقهم أولاً وبعثهم ثانيًا**[١].

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد صلى الله عليه وسلم.

فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدنى بصيرة في نصوص الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه الله خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفه بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعة.

## ج- دعوى الغلاة: جواز صرف بعض جوانب العبادة له صلى الله عليه وسلم:

**وقد تفنن الغلاة في هذا**"فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه بالخالق بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق.

فهؤلاء جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى.

**فآذوا الرسول وأساؤا في حقه** إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب العالمين وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب وهذا يطب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد.

---

١) انظر أضواء البيان (٧/ ٦٧٣- ٦٧٧). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٢ / ٧١٧).

وهذا يطلب منه المعيشة وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية وهذا يطلب منه قضاء دينه، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا اللّٰه"(١).

## ومن نظم بعضهم في هذا قوله:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادى آخذا بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم (٢)

**فنفى أن يكون له ملاذ إذا** حلت به الحوادث، إلا النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وليس ذلك إلا للّٰه وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى.

ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من اللّٰه، وذلك الشرك في الإلهية.

## ومن شعر بعضهم قوله:

ماذا تعامل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كبدي
فامنع جناب صريع لا صريخ له ... نائي المزار غريب الدار مبتعدي
حليف ودك واه الصبر منتظر ... لغارة منك يا ركني ويا عضدي
أسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ... أرجو النجاة به إن أما لم تجد

## وجرى في شركه والى أن قال:

وحل عقدة كربي يا محمد من ... هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدني ... كيما يهون إذ الأنفاس في صعد
وإن نزلت ضريحا لا أنيس به ... فكن أنيس وحيد فيه منفرد
وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن ... يليه من أجله وانعشه وافتقد
وإن دعا فأجبه واحم جانبه ... من حاسد شامت أو ظالم نكد

---

١) الرد على البكري (ص ٣٣٥، ٣٣٦) بتصرف.
٢) ديوان البوصيري (ص ٢٤٨). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة-(٧١٨/٢)

## وقوله من أخرى:

يـا رسـول الله يـا ذا الفضـل يـا ... بهجـة الحشـر جاهـا ومقامـا
عـد علـى عبد الـرحيم الملتجـى ... بحمـى عـزك يـا غـوث اليتـامى
وأقلنـي عثرتـي يـا سـيدي ... في اكتساب الذنب في خمسين عامـا

## وقوله:

يا سيدي يا رسـول الله يـا أملـي ... ويا موئلي يا مـلاذي يـوم يلقـاني
هبني بجاهك ما قـدت مـن زلـل ... جودا أو رجح بفضل منك ميزانـي
واسمع دعائي واكشف ما يسـاورني ... من الخطوب ونفسه كـل أحزانـي
فأنت أقرب مـن ترجـى عواطفـه ... عندي وإن بعـدت دارى وأوطـاني
إنـي دعوتـك مـن نيـابتي بـرع ... وأنت اسمع مـن يـدعوه ذو شـأن
فامنع جنابي وأكرمني وصل نسـبى ... برحمـة وكرامـات وغفـران

**لقد أنسانا هذا ما قبله**، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه السلام إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا لم يطلقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعنى دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى وإضرابه، وترك الاسم للنصارى وإلا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب، فالله المستعان(١).

**ويقول صاحب المواهب اللدنية**: وينبغي للزائر -لقبره- أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به لا فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم واقع

---

١) تيسير العزيز الحميد (١٨٩، ١٩٠).

في كل حال كل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة[١].

**ومـن هـؤلاء** من يرى أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه[٢].

**ومنهم من يظن أن الرسـول** يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله"[٣].

**ومنهم من يقـول** "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان" يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا هو فيه موجود[٤].

**ومنـهم مـن يقـول**: "إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته"[٥].

**ومنهم من يقول في قوله تعالى**:

{إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا } ( الفتح : ٨- ٩ )

**يقول**: إن الرسول هو الذي يصبح بكرة وأصيلا .

**ومنهم من يقول**: اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم
لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم[١]

---

١) انظر الأنوار المحمدية (ص ٦٠٤).
٢) الرد على البكري (ص ٣٤٩).
٣) الرد على البكري (ص ٣٠).حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة-(٢/٧٢٠).
٤) غاية الأماني (١/ ٤٨).
٥) هذه هي الصوفية (ص ٨١).

ومنهم من يقول نحن نعبد لله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا[٢].

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو الله سبحانه ذاتًا وصفة[٣].

وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملوءة بالكثير من أنواع هذا الغلو وألوانه والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه. [٤]

---

١) ديوان البوصيري (ص ٢٤١).
٢) الرد على البكري (ص ٢١٩).
٣) هذه هي الصرفية (ص ٧٤- ٧٥).
[٤]) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - (٢ / ٧٢١).

# الفصل السادس

## حكم الإسلام في الإساءة
## إلي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

**إن مما لا يخفى على عاقل فضلاً عن مسلم أن** تنقُّصَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورميهم بشيء من الأذى قولاً كان أم فعلاً إنما هو جريمة بشعة لا تصدر إلا عن سفهٍ وحقدٍ وخبثٍ في النفس. ذلك أن الله تعالى إنما بعث رسله وأنبياءه رحمةً للعالمين وجعلهم للبشرية هداةً مهتدين، يمسكون الناس برفق يحجزونهم عن النار ويسيرون بهم إلى طريق طاعة الله موصلين مَن شاء الله تعالى أن يستنقذه بهم إلى جنة الرضوان فكان الاعتداء على هؤلاء الرسل الكرام خبثاً في الطبع وحقداً في النفس وقبحاً في القول والفعل، نسأل الله تعالى العافية والسلامة من ذلك. فإذا تأملت ما تقدم مِن فضلِ رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم تيقنت أن من تطاول على مقامه صلوات الله وسلامه عليه بشيءٍ من هذا الأذى والسب هو أشد خبثاً وأكثر حقداً وأسوأ قبحاً في ذلك كله، لأنه بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه خيرُ رسل الله أجمعين وخاتم النبيين وإمام المرسلين أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين، فكان حقه التجريد في المتابعة والإخلاص في المحبة والمبالغة في التعظيم والتوقير والتعزير والتفدية بالأرواح والأهلون والأموال والأوطان، وكان غاية الخبث أن تمتد ألسنة الباطل بسبِّه أو لمزِه أو تنقُّصِه صلوات الله وسلامه عليه، وسوف يأتي لاحقاً بيان أن هذا الفعل الخبيث أشد سوءاً من الكفر بغيره من الأفعال والأقوال.

**أولاً: بيان صفة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو في حقه صلوات الله وسلامه عليه شتم وتنقُص وإساءة:**

إن الكلام هنا مما يتعاظم في النفس ذِكره، **كما قال ابن تيمية رحمه الله**: "التكلُّم في تمثيل سبٍّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر صفته، ذلك مما يثقل على القلب واللسان، ونحن نتعاظم أن نتفوه بذلك ذاكرين أو آثرين، لكن للاحتياج

إلى الكلام في حكم ذلك نحن نفرض الكلام في أنواع السب مطلقاً من غير تعيين، والفقيه يأخذ حظه من ذلك"[١].

**قلت**: هذا غاية الأدب والورع فالمؤمن لا يستطيع أن يحكي هذا السب ولو ناقلاً لثقله واختلاج القلب دونه، وهذا بطبيعة الحال ما يجده المؤمن في قلبه، أما من حكى هذا الكلام ولو ناقلاً دون أن يتعاظم في نفسه ذلك فليبكِ على نفسه وليخشَ عليها الموت والران، بل لقد عقد القاضي عياض رحمه الله فصلاً كاملاً في حكم الناقل والحاكي لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيَّن ما يجوز منه (**على سبيل الشهادة على الشاتم أو التعريف به أو التعليم أو الفتوى**)، وما لا يجوز من هذا النقل فقال رحمه الله :"فأما ذكرها على غير هذا[٢] من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطُرَف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يغني فكل هذا ممنوع، وبعضه أشد في العقوبة والمنع من بعض"[٣].

**قلت**: وهذا مما ينبغي التنبيه عليه اليوم إذ أن بعض الغيورين أصلحهم الله يسارعون في نقل وتناقل هذا السباب والشتم بغية التعريف بجريمة المجرم فإذا بهم يصبحون وسيلة لنشر هذا الإزراء والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما يحدث على مواقع الشبكة العالمية الحاسوبية وغير ذلك، فينبغي التورع عن هذا ويكفي التعريف بالساب والإشارة إلى جنس السب ونوعه مُجملاً دون نقل تفاصيله، لا سيما وأن المقام هنا في الغالب ليس مقام شهادة أمام القضاء، وإنما تعريفٌ بهؤلاء المجرمين السفهاء فليتنبه إلى هذا والله الموفق.

**أما صفة السب فليس لها حدٌّ معينٌ في الشرع، بل المحتكم فيه العرف وفق القاعدة الفقهية المعروفة**: العادة محكَّمة[٤] فكل ما كان في عُرف

---

١) الصارم المسلول - ١٠٠٥/٣.
٢) أي على غير الوجوه الجائزة من شهادة على الساب أو تعريف به وإنكار عليه أو فتيا وتعليم.
٣) الشفا - ٤٤٩/٢ ، وسيم فتح الله ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٥٣)
٤) هذه إحدى قواعد الفقه الكلية الكبرى التي يقوم عليها الفقه الإسلامي، وهي تقضي بالتحاكم إلى العرف في تقدير صفات ما لم يحدده الشرع مما له تعلق بالأحكام الشرعية كمهر المثل ونفقة الزوجة والمعاشرة بالمعروف وعرف أصحاب المهن وغير ذلك.

مجتمعٍ من المجتمعات سباً أو تنقصاً أو شتماً فهو كذلك إذا نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فعلى سبيل المثال نجد أن من أنواع السب التي لم تكن معهودة في القديم استعمال الرسوم فيما يدعى اليوم بالرسوم التشخيصية[١] للاستهزاء والسخرية أو النقد أو الاستخفاف أو الامتهان، وقد تطاولت بعض الأيدي - قطعها الله - من قريب بمثل هذا الأذى على مقام خير البرية صلوات الله وسلامه عليه، ولا تزال هذه الأيدي قطعها الله طليقةً اليوم نسأل الله تعالى أن يقيض لها من يقيمُ حكمَه فيها. والشاهد هنا أن صور السب لا تقتصر لا ما تعارف عليه الناس قديماً أو أُثر من هجاء شعر ونحوه، فربما درس مثل هذا النوع وظهرت أنواع أخرى، فلا يتقيد الحكم بما أُثر من صفات وأنواع السب قديماً بل يشمل كل ما تعارف عليه الناس اليوم أنه استهزاء وسخرية وشتم وسب، نسأل الله السلامة من ذلك.

**والسبُّ مُطلقاً لا يخرج عن قسمين اثنين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهما الدعاء والخبر. وفيما يلي بيان ذلك:**

## النوع الأول من السب : الدعاء

**فهذا النوع من السب مثل أن يقول القائل لغيره:** لعنه الله أو قبَّحه الله أو أخزاه الله أو لا رحمه الله أو لا رضي الله عنه أو قطع الله دابره، فهذا وأمثاله سبٌ للأنبياء ولغيرهم.

**وكذلك لو قال عن نبيٍ** : لا صلى الله عليه أو لا سلَّم أو لا رفع الله ذِكره أو محا الله اسمه، ونحو ذلك من الدعاء عليه بما فيه ضررٌ عليه في الدنيا أو في الدين أو في الآخرة فهذا كله اذا صدر من أحدٍ فهو سبٌ يترتب عليه حكمه الشرعي .

أما إن أظهر الدعاء للنبي وأبطن الدعاء عليه إبطاناً يُعرف من لحن القول، بحيث يفهمه بعض الناس دون البعض، مثل قول (**السام عليكم**) إذا أخرجه مخرج التحية وأظهر أنه يقول (**السلام عليكم**) ولم يُظهروا السبَّ ولم يجهروا به، وإنما أظهروا التحية والسلام لفظاً وحالاً، وحذفوا اللام حذفاً خفياً يفطن له بعض السامعين، وقد لا يفطن له الأكثرون، **فهذا قد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم**:" إن اليهود إذا سلَّموا

---

[١]) أي الرسوم الكاريكاتيرية بلغة الغرب ن إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٥٤).

عليكم يقول أحدهم: السام عليكم. فقولوا: عليك"[١] فجعل هذا شرعاً باقياً في حياته وبعد موته حتى صارت السنة أن يُقال للذمي إذا سلم :وعليكم أو عليكم. وكذلك لما سلم عليهم اليهودي قال: أتدرون ماقال؟ إنما قال: السام عليكم. ولو كان هذا من السب الذي هو سبٌ لوجب أن يشرع عقوبة اليهودي إذا سمع منه ذلك ولو بالجَلد، وقد أخبر الله عنهم **بقوله تعالى**:

"...وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ" (المجادلة : ٨ )

**فجعل الله تعالى عذاب الآخرة حسبهم**، فدل على أنه لم يشرع على ذلك عذاباً في الدنيا، وهذا لأنهم لو قُرروا على ذلك وسئلوا عنه لقالوا :إنما قلنا السلام وإنما السمع يخطئ، وأنتم تتقولون علينا. فموجبات العقوبات لابد أن تكون ظاهرةً الظهور الذي يشترك فيه الناس، وإن إتيان السب على هذا الوجه الخفي غاية ما يكون من الكتمان والإخفاء ونحن لا نعاقبهم على ما يُسرونه ويخفونه من السب وغيره. والحاصل من هذا أنه يحتاج أن يجتمع في السب أن يكون من جنس السب وأن يكون ظاهراً لا خفاء فيه حتى تُقام البينة بوضوح لا خفاء فيه.

**قلت**: وهنا نكتة لطيفة وهي أن الذي يُبطن السب ويُلحن القول فيه ويُغلفه بالسلام وغيره من الأقوال الظاهرة المتعامل بها بين الناس إنما يتكتم بهذا على هذا النحو لنوع مذلةٍ وقمعٍ يعيشه وهذا هو المطلوب، أعني أن تكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا، فالسبُّ المبطَّن لا يترتب عليه الانتقاص من الدين والرسول صلى الله عليه وسلم الحاصل بإعلان السب وإظهاره، والعقوبة الشرعية في الدنيا شرعت لمن أظهر السب وأعلن به، **ولهذا قال تعالى فيمن أبطن السب وأضمره وأخفاه مقموعاً ذليلاً** :

" حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ " (المجادلة : ٨ )

---

١) صحيح مسلم - ١٧٠٦/٤ ، وفي رواية : فقولوا : وعليك. وأخرجه البخاري (٢٥٣٩/٦) واللفظ لمسلم.

وهذا غاية العدل لأن مَن كان السب منه ظاهراً وباطناً عاقبناه في الدنيا وعاقبه الله في الآخرة، ومن كان السب منه باطناً ولم يظهره إظهاراً تقوم به الحجة عليه في الدنيا عومل بظاهره في الدنيا وعاقبه الله تعالى في الآخرة وحسبه جهنم وبئس المصير، فلم يكن لنا أن نتقدم بين يدي لله تعالى بعقوبة غير التي قرر سبحانه وتعالى أنها حسب هؤلاء فإن مثلهم مثل الفئران في جحورها إن ظهرت ظهرت سريعاً وعادت إلى جحورها سريعاً فلم يكن هناك من داعٍ لتعقبها وقتلها خارج جحورها بل يُصار إلى تسميم جحورها لتموت وتتعفن فيها، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

## النوع الثاني من السب: الخبر :

فكل ما عهده الناس شتماً أو سباً أو تَنَقُصاً فإنه سبٌ يترتب عليه حكمه وعقوبته الشرعية حتى لو كان السب يوافق معتقد الكافر الذي يُبطنه في قلبه، فان الكفر ليس مستلزماً للسب، وقد يكون الرجل كافراً ليس بسابٍّ والناس يعلمون علماً عاماً أن الرجل قد يبغض الرجل ويعتقد فيه العقيدة القبيحة ولا يسبه، وقد يضم إلى ذلك مسبته. والحاصل أنه ليس كل ما يُحتمل اعتقاداً يُحتمل قولاً، وليس كل ما يُحتمل أن يُقال سراً يُحتمل أن يُقال جهراً، والمعنى أن أهل الذمة مثلاً يُقرون على دينهم بشرط عدم المجاهرة به ونحن نعلم أن من دينهم تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا المعتقد نحتمله منهم في السر والباطن ولا نقبل ولا نحتمل ولا نرضى منهم إظهار ذلك والإعلان به والقول به جهراً، فليس على ذلك العهد بيننا وبينهم، هذا في أهل الذمة، فما بالك بالمحارب والمستأمن! والكلمة الواحدة تكون في حال سباً وفي حال ليست بسب، فمن ذكر في مناظرة أنه لا يتبع محمداً صلى الله عليه وسلمٍ حاكياً معتقدهٌ ليس كمن تكلم بتكذيب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على وجه التنقص والاستهزاء وأنه حاشاه صلى الله عليه وسلم ليس أهلاً لاختيار الله له تلك المنزلة، فالأول ليس بسب والثاني سبٌ واضح لا مرية فيه.

فعُلم أن هذا يختلف باختلاف الأقوال والأحوال، وإذا لم يكن للسب حدٌ معروف في اللغة ولا في الشرع فالمرجع فيه إلى عُرف الناس؛ فما كان في العرف سباً فهو للنبي سب وهو الذي يجب أن ينزل عليه حكم الصحابة والعلماء في الساب،وما لم يكن في العرف سباً فلا.

**وهذه جملةٌ من أقسام السب الخبري نذكرها للمثال لا حكايةً عن سب الرسول صلى الله عليه وسلم :**

١. **إظهار التنقص والاستهزاء** : كالتسمية ببعض أسماء الحيوانات، أو الوصف بالمسكنة والخزي والمهانة أو الإخبار بأنه في العذاب وأن عليه آثام الخلائقونحو ذلك[١].

٢. **إظهار التكذيب على وجه الطعن في المكذَّب**: مثل وصفه بأنه ساحرٌ خادعٌ محتال وأنه يضر من اتبعه، وأن ما جاء به كله زور وباطل وشر ونحو ذلك، فإن نظم ذلك شِعراً كان أبلغ في الشتم، فإن الشعر يُحفظ ويروى وهو الهجاء، وربما يؤثر في نفوس كثيرة مع العلم ببطلانه أكثر من تأثير البراهين، فإن غنَّى به بين ملأ من الناس فهو الذي قد تفاقم أمره، وأما إن أخبر عن مُعتَقَدِه بغير طعنٍ فيه **مثل أن يقول**: أنا لست متبعه أو لست مصدقه أو لا أحبه أو لا أرضى دينه ونحو ذلك، فإنما أخبر عن اعتقاد أو إرادة لم يتضمن انتقاصاً، لأن عدم التصديق والمحبة قد يصدر عن الجهل والعناد والحسد والكبر وتقليد الأسلاف وإلف الدين أكثر مما يصدر عن العلم بصفات النبي، خلاف ما إذا قال: مَن كان! ومن هو! وأي كذا وكذا هو! ونحو ذلك من الاستهزاء والاستخفاف، وإذا قال لم يكن رسولاً ولا نبياً ولم ينزَّل عليه شيء ونحو ذلك، فهو تكذيبٌ صريح، وكل تكذيبٍ فقد تضمن نسبتَه إلى الكذب ووصفه بأنه كذاب، فهناك فرق بين من لا يُقر بأنه صلى الله عليه وسلم نبي وبين من يقول هو كذَّاب؛ فليس مَن نَفى عن غيره بعض صفاته نفياً مجرداً كمن نفاها عنه ناسباً له إلى الكذب في دعواها، والمعنى الواحد قد يؤدَّى بعباراتٍ بعضها يُعد سباً وبعضها لا يُعد سباً، فيُنظر في هذا كله إلى السياق وقرائن الأحوال للحكم على قائل ذلك.

٣. **في عصرنا هذا تصوير الصور والرسوم على سبيل الاستهزاء والسخرية**: فهذا مما لا يُشك في كونه سبَّاً وتنقصاً وشتماً للنبي صلى الله عيه وسلم ، بل إننا لا نقبله منسوباً لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم.

---

١) إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٥٧).

٤. **الطعن في العرض**: كنسبة الأم إلى الفاحشة ونسبة الزوج إلى الفاحشة فهذا كله طعن في مقام النبوة وسب وشتم يترتب عليه موجبه من الحكم الشرعي والعقوبة الشرعية بلا خلاف.

٥. **ذكر ما تعرض إليه من ابتلاءات على سبيل السخرية والتعريض** : كأن يقول مستخفاً : مرض وضُرب وأوذي وسقط من على فرسه ، وسُحر وحُبس عن أزواجه ، ولم يجد النفقة على أزواجه فمن حكى شيئاً من ذلك مستخفاً فهو سابٌ يترتب على مسبته الحكم والعقوبة الشرعية.

**وجماع ما تقدم أن** ما يعرف الناس أنه سبٌ فهو سب، وقد يختلف ذلك باختلاف الأحوال والاصطلاحات والعادات وكيفية الكلام ونحو ذلك، وما اشتبه فيه الأمر أُلحق بنظيره وشَبَهه والله سبحانه أعلم.(١)

## ثانياً: الفرق بين سب الرسول صلى اللّه عليه وسلم والكفر والردة:

هذا المبحث من أهم المباحث التي تناولها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالعرض والجواب، ولقد أبدع وأجاد وأفاد رحمه الله في ذلك، وأنا أوجز وأختصر ما تيسر من كلامه رحمه الله لشدة الحاجة إليه في هذا المقام، رب يسِّر وأعن: إنَّ سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جناية وجريمة فوق باقي الجنايات، وإن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم جريمة زائدة على جريمة الردة والكفر والحراب، وبدايةً لا بد من تحرير أوجه الحقوق المتعلقة بسب الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حرر ذلك ابن تيمية رحمه الله تحريراً نفيساً فقال:" إن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به عدة حقوق:

١. **حق اللّه سبحانه:** من حيث كفرَ - أي الساب - برسوله، وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة، ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفةٌ على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته؛ فإن الطعن في الرسول طعنٌ في المرسِل وتكذيبه تكذيبٌ لله تبارك وتعالى، وإنكارٌ لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

٢. حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم: فإنٍ جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصاً أمته، فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامة الخير الذي يصيبهم

---

١)الصارم المسلول ـ ١٠٠٥/٣ـ ١٠١٢ بتصرف واختصار،إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين-(٥٩/١).

في الدنيا والآخرة بواسطته وسِفارته، فالسب له أعظم عندهم مِن سبِّ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحبُّ إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

٣. حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث خصوص نفسه: فإن الإنسان تؤذيه الوقيعةُ في عِرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصاً من يجب عليه أن يظهرَ للناس كمالُ عِرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة، فإن هتك عرضه قد يكون أعظم عنده مِن قتله، فإن قتلَه لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره، كما أن موته لا يقدح في ذلك، بخلاف الوقيعة في عِرضه فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النُفره عنه وسوء الظن به ما يُفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة.

فعُلم بذلك أن السب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في الكفر والمحاربة، وهذا ظاهرٌ إن شاء الله تعالى."[1] قلت: إذا تأملنا في هذه الحقوق تبينت أوجه الفرق بين سب الرسول صلى الله عليه وسلم **وبين غيره من الجنايات على النحو التالي**:

## أولاً: الفرق بين سب الرسول صلى الله عليه وسلم وسب الله سبحانه وتعالى:

إن مما لا يحتاج إلى تقرير أن سب الله عزوجل أعظم مقاماً من سب الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أن هذا لا يمنع من وجود فرق بين سب الله تعالى وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يترتب فرق في الآثار المترتبة على هذا السب من حيث قبول التوبة من عدمه[2]، فإذا تبين هذا فالفرق بين سب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وسب الله تعالى من وجوه:**

---

[1]) الصارم المسلول - ٢/٥٣١-٥٣٣ باختصار وتصرف بسيط ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٦٠).

٢) إن سب الله سبحانه وتعالى جريمة لا توصف، غير أن هذا السب ينقسم إلى قسمين: أحدهما يتعلق باعتقادات الكفار كعقيدة التثليث ونسبة الولد إلى الله تعالى فقد صرح الحديث القدسي بكونه شتماً لله تعالى ،

١. إن سبَّ الله تعالى حقٌ محضٌ لله، وذلك يسقط بالتوبة، وسبُّ النبي صلى الله عليه وسلم فيه حقان؛ حقٌ لله وحقٌ للعبد، فلا يسقط حق الآدمي بالتوبة، إلا أن يعفو.

٢. إن النبي صلى الله عليه وسلم تلحقه المعرة بالسب لأنه مخلوق، وهو من جنس الآدميين الذين تلحقهم المعرة والغضاضة بالسب والشتم، وكذلك يُثابون على سبِّهم ويعطيهم الله من حسنات الشاتم أو من عنده عوضاً على ما أصابهم من المصيبة بالشتم، فمن سبَّه فقد انتقص حرمته صلى الله عليه وسلم. والخالق سبحانه لا تلحقه معرة ولا غضاضة بذلك، فإنه منزَّهٌ عن لحوق المنافع والمضار به، كما قال سبحانه فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني "(١)، وإذا كان سب النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤثِر انتقاصَه في النفوس وتلحقه بذلك معرة وضيم، وربما كان سبباً للتنفير عنه وقلة هيبته وسقوط حرمته، شُرعت العقوبة على خصوص الفساد الحاصل بسبِّه فلا تسقط بالتوبة كالعقوبة على جميع الجرائم، وأما ساب الله سبحانه فإنه يضر نفسه بمنزلة الكافر والمرتد فمتى تاب زال ضرر نفسه فلا يُقتل. ويؤيد ذلك أن القذف بالكفر أعظم من القذف بالزنى، ثم لم يُشرع عليه حدٌ مقدَّر كما شُرع على الرمي بالزنى، وذلك لأن المقذوف بالكفر لا يلحقه العار الذي يلحقه بالرمي بالزنى، لأنه بما يُظهر من الإيمان يُعلَم كذب القاذف، وبما يظهره من التوبة تزول عنه تلك المعرَّة، بخلاف الزنى فإنه يستتر به ولا يمكنه إظهار البراءة منه، ولا تزول معرته في عرف الناس عند إظهار التوبة، فكذلك ساب الرسول يُلحق بالدِين وأهله من المعرة ما لا يلحقهم إذا سب الله لكون المنافي لسبِّ الله ظاهراً معلوماً لكل أحدٍ علماً يشترك فيه كل الناس، بمعنى أن أثر سب الله تعالى لا يظهر بالنسبة لله تعالى.

---

ولكن هذه الاعتقادات لا يقصد أصحابها منها الشتم وإنما يقصدون منها تنزيه وتعظيم الله تعالى وفق معتقدهم الفاسد والإسلام قد يقرهم على معتقدهم هذا طالما لم يُظهروه وطالما التزموا حكم الله تعالى عليهم بضرب الجزية والذل والصغار عليهم، فهذا النوع لا يدخل في ما نحن فيه، والقسم الثاني ما هو سب محض والقول فيه إما على إيقاع العقوبة الشرعية عليه سواء أسلم أم لم يسلم أو القول بقبول توبته إن أسلم، والله تعالى أعلم.

١) جزء من حديث قدسي - صحيح مسلم - ١٩٩٤/٤.

٣. إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يُسب على وجه الاستخفاف به والاستهانة وللنفوس الكافرة والمنافقة إلى ذلك داعٍ من جهة الحسد على ما آتاه الله من فضله ومن جهة المخالفة في دينه، ومن جهة التكبر عن الانقهار تحت حكم دينه وشرعه ومن جهة المراغمة لأمته، وأما سبُّ الله سبحانه فإنه لا يقع في الغالب استخفافاً واستهانةً وإنما يقع تديُّناً واعتقاداً، وليس للنفوس في الغالب داعٍ إلى إيقاع السب إلا عن اعتقاد يرونه تعظيماً وتمجيداً، وهذا كمن يدعي أن الله اتخذ ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فهذا من جنس السب بل هو شتم صريح كما جاء في الحديث القدسي، ومع ذلك فحكمه حكم الكفر إلا أن يتوب.

٤. إن مفسدة سب الرسول صلى الله عليه وسلم لا تزول بإظهار التوبة، بخلاف مفسدة سب الله تعالى، ولهذا إذا نظرت إلى جريمة القتل والزنى وإلى جريمة الردة وجدت أن حد القتل والزنى لا يسقط لأنه لا يمكن إزالة مفسدتهما التي وقعت، بخلاف حد الردة فإنه يسقط بالإسلام لأن مفسدة وقوع الردة تزول بعودته للإسلام.

**والحاصل أن حرمة الرسول صلى اللّه عليه وسلم** أُلحقت بحرمة الله من جهة التغليظ، لأن الطعن فيه طعن في دين الله وكتابه، ولكن هذا الحق أشبه بحقوق الآدميين من جهة بقاء حقه في استيفاء العقوبة من الساب، فهو صلى الله عليه وسلم من المخلوقين الذين لا تسقط حقوقهم بالتوبة، لأنهم ينتفعون باستيفاء الحقوق ممن هي عليه، ولئن كان من حقه صلى الله عليه وسلم العفو عمن شاء ممن له عليه حق في حياته فقد انقطع هذا بموته صلى الله عليه وسلم ولم يعد إلا تغليظ العقوبة وبطلان سقوطها بالتوبة.

**فالنبي صلى اللّه عليه وسلم يتألم** بأذى مَن سبه وشتمه، فله أن يعاقب من آذاه تحصيلاً لمصلحة نفسه صلى الله عليه وسلم، كما له أن يأكل ويشرب، ومعلوم أن الله تعالى غني عن ذلك كله، ولهذا فان تمكين البشر من استيفاء حقه صلى الله عليه وسلم ممن بغى عليه من جملة مصالح المؤمنين، ولولا ذلك لماتت النفوس غمّاً من وقوع أذاه وعدم الانتصار له صلى الله عليه وسلم.[١]

---

١) الصارم المسلول - ٩٢٦/٣- ٩٣٠ باختصار وتصرف، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (٦٣/١)

**ثانياً: الفرق بين سب الرسول صلى الله عليه وسلم وسب سائر المؤمنين:**

ولا أراني محتاجاً إلى كثير بسطٍ واستدلال على هذه البدهية، غير أننا نحتاج إلى استحضارها كي يستبين للمؤمنين أن قياس الأَولى تغليظُ عقوبة من ارتكب جريمة سب النبي صلى الله عليه وسلم لتكون أشد زجراً وردعاً وإيلاماً وإرهاباً لمن تطاول على مقام النبوة منها لمن سب أحداً من سائر المؤمنين.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** :"إن سب النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون من حيث هو سب بمنزلة سبِّ غيرِه من المؤمنين، لأنه صلى الله عليه وسلم يباين سائر المؤمنين من أمته في عامة الحقوق مثل وجوب طاعته ووجوب محبته وتقديمه في المحبة على جميع الناس، ووجوب تعزيره وتوقيره على وجهٍ لا يساويه فيه أحد ووجوب الصلاة عليه والتسليم إلى غير ذلك من الخصائص التي لا تحصى. وفي سبه إيذاءٌ لله ولرسوله ولسائر المؤمنين من عباده، وأقل ما في ذلك أن سبَّه كفرٌ ومحاربة، وسب غيره ذنبٌ ومعصية، ومعلوم أن العقوبات على قدر الجرائم، فلو سوّى بين سبه وسب غيره، لكان تسوية بين الشيئين المتباينين وذلك لا يجوز"(١)

**يبين ذلك أن** المؤمن حق الإيمان يؤلمه ويؤذيه سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يؤلمه سب غيره من المؤمنين بما فيهم نفسه، ومن لم يجد هذا في نفسه فليخش عليها، فإن الإيمان لا يكمل بدون تقديم النبي صلى الله عليه وسلم على النفس وعلى سائر المخلوقين في المحبة والتفدية والمتابعة والانتصار والغضب لمن يزعجه ويسخطه صلى الله عليه وسلم، ولقد تقدم ذلك في مبحث مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمن، فإذا كان الأمر كذلك لم يستسغ العقل أن يكون رد المؤمن على من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرده على من يشتمه هو أو يشتم غيره من المؤمنين، وهذا كما قلت لا يحتاج إلى كثير تقريرٍ واستدلال، والله أعلم.

**وخلاصة هذا الفصل أن** نميز أوجه السب التي يعتبر صاحبها ساباً للرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ينتبه المؤمن إلى أن سب الرسول صلى الله عليه وسلم جناية

---

١) الصارم المسلول - ٥٣٧/٢-٥٣٨ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٦٤).

عظيمة وجريمة بشعة لها خصوصيتها واستقلاليتها عن غيرها من الجرائم، وأن الكفر مع ما فيه من إجرام ليس وحده كالكفر مع سب الرسول صلى الله عليه وسلم، فليعلم هذا كل مؤمن، وليعلم أن أولوية إعلان الحرب على الكافر المحارب الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والترصد له بالقتل المتعين فوق أولوية محاربة غيره من الكفار، وسيأتي بيان ذلك في الفصل التالي بإذن الله، والله أعلم.

## حكم سبِّ النبي صلى الله عليه وسلم

إن معرفة حكم ساب الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة دينية لا غنى لمسلم عنها اعتقاداً وعملاً، أما الاعتقاد فبالكامل، وأما العمل فعلى قدر الاستطاعة، وإن هذه الضرورة أكثر تمحضاً اليوم من الأمس القريب إذ لم نعهد حتى القريب مثل هذه الحملة الشعواء الشرسة لأكابر مجرمي الأرض ممن يتجرأون على مقام النبوة وجناب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وليكن مقام أحدنا مِن تعلُّم حكم هؤلاء المجرمين مقام المصحح لعقيدته والمقوِّم لانحراف أمته المجاهد في سبيل إعلاء دينه، والحذر كل الحذر من أن ينجرف أحدنا إلى مهاوي الخذلان والتهالك فيكون حاله حال من **وصفهم الله تعالى فقال**:

"وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ "(آل عمران : ١٦٧ )

وقبل الخوض في تفاصيل هذا المبحث لا بد من مقدمة للتعريف بأقسام الناس من حيث الإسلام والكفر حيث إن تفريع بعض الأحكام المتعلقة بسب الرسول صلى الله عليه وسلم ينبني عليه، **فنقول وبالله التوفيق**:

الناس إما مسلمون وإما كفار. والكفار أصنافٌ أربعة هي كما ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله :"الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد، وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل الذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان"(١) **وهذه نبذة عن كل نوع منهم**:

---

١) أحكام أهل الذمة - ابن قيم الجوزية - ٣٣٥/١.

١. **أهل الذمة:** فهم الذين دخلوا مع المسلمين في عقد الذمة بحيث رضوا بأن يكونوا تحت حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مقيمين في دار الإسلام مضروباً عليهم الجزية والصغار في مقابل إقرارهم على دينهم فيما بينهم مع حماية الدولة الإسلامية لهم، **كما قال الله تعالى** :

" قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ " [التوبة : ٢٩ ]

وعقد الذمة عقدٌ مؤبد ما لم ينقضه الذمي بناقض من نواقض العهد المعروفة.

٢. **أهل الهدنة:** ويعرفون أيضاً بأهل العهد وأهل الصلح وهم الذين صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم - أي دار الكفار - لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، **وهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم**:

" ...فَمَا ٱسْتَقَـٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ ..." [التوبة : ٧ ]

٣. **أهل الأمان**: المستأمَن هو الكافر يدخل دار الإسلام من غير استيطان لها أو إقامة فيها يدخلون بأمان المسلمين، وهؤلاء إما رسل وسفراء أو تجار أو مستجيرين يدخلهم المسلمون حتى يسمعوا كلام الله تعالى ويُعرَض عليهم الإسلام **كما قال الله تعالى:**

"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ " [التوبة : ٦ ]

فإن أسلموا فبها، وإن لم يسلموا بُلِّغوا مأمنهم بعد قضاء الغاية من زيارتهم لبلد الإسلام، ولا تضرب عليهم الجزية ولا يقتلوا، فإذا عاد إلى دار الحرب عاد حكمه حربياً.

٤. **أهل الحرب:** هم كل الكفار ما عدا الأصناف المذكورة، وهم الذين قال الله تعالى فيهم:

" كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ " [التوبة : ٧ ]

فأهل الكفر في الأصل محاربون، فإن عقد المسلمون معهم صلحاً كانوا أهل هدنة، وإن عقدوا معهم الجزية كانوا أهل ذمة، وإن دخلوا مستأمنين كانوا أهل أمان، والله تعالى أعلم.(١)

ثم إن أهل الذمة قد عاهدوا المسلمين على الامتناع عن أمور إن هم تعاطوها نقضوا العهد وترتبت على نقض العهد أحكام شرعية وعقوبات شرعية بحسب هذا الناقض وهذا كله مبسوط في مظانه(٢)، وأذكر في هذا المقام بعض ما ورد في الشروط العمرية التي صالح عليها المسلمون نصارى الشام وشرط النصارى على أنفسهم في مقابل الذمة والصلح شروطاً **وفيها** :

" ولا نُظهر شركاً، ولا نُرغِّب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً"[٣]

**فكتب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المسلمين** :

" أن أمضِ لهم ما سألوا وألحِق فيهم حرفين أشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم : ألا يشتروا من سبايانا، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده"[٤]، **فتأمل جيداً هذه الشروط**:

١. **أن لا نُظهر شركاً**: فلا يجوز لهم أن يعلنوا ويظهروا على الملأ شعائر دينهم الشركية كإظهار الصليب أو التحديث ببنوة عيسى لله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون ونحو ذلك مما فيه أذى لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإن كانوا قد أُقروا عليه فيما بينهم في مقابل دفع الجزية وجريان حكم الله ورسوله عليهم.

٢. **ولا نرغِّب في ديننا**: فلا يدعون أحداً إلى دينهم الباطل لأن هذه الدعوة معناها تفضيل دينهم على دين الإسلام وهو مخالف لما عاهدناهم عليه من خضوعهم لحكم الإسلام.

---

١) راجع غير مأمور أحكام أهل الذمة - ٣٣٥/١-٣٣٦ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٦٧)
٢) ومن أنفس ما كُتب في هذا كتاب (أحكام أهل الذمة) للحافظ ابن قيم الجوزية رحمه اله برحمته الواسعة.
٣) أحكام أهل الذمة - ١١٣/٢.
٤) أحكام أهل الذمة - ١١٣/٢

٣. **ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده**: فإذا كانت هذه هي حرمة المسلم فحرمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من باب أولى.

**فإذا تأملت هذه الشروط وجدت أنها** تدل بقياس الأولى على حرمة ومنع التطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسب والإساءة والشتم والتعريض فلا يخفى ولا يحتاج إلى تقرير صريح أن وقوع مثل هذا ناقض للعهد مع ما يستجره من عقوبة على ما نبين لاحقاً. وإنما كان التفصيل في هذه الأصناف محتاجاً إليه في موضوع هذا الكتاب لما كان من وجود أهل الذمة في أرجاء الدولة الإسلامية مع ما لهم وعليهم من حقوق وواجبات، وما يحتاج لمعرفته من أحكام الشريعة الجارية عليهم فيما يقع منهم من إخلال بالعهد أو اقتراف جناية كزنى وقتل وحرابة أو سب للدين ولله عز وجل وللرسول صلى الله عليه وسلم، وأما أحكام المستأمنين فإن عهدهم أقل توثيقاً من عهد أهل الذمة فنقضه بمثل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب أولى وأما المحارب فلا عصمة لدمه أصلاً والمقاتلةُ منهم يُخيَّر الإمام فيهم بين القتل والرق والفداء والمن، أما غير المقاتلة فلا يجوز قتلهم كالنساء والرهبان ومَن في حكمهم إلا أن يقاتلوا، وأحكام هذا كله مبسوطة في كتب الفقه والسياسة الشرعية فليرجع إليه.

**ويمكننا أن** نقسم الناس اليوم بخصوص ما يتعلق بمسألة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قسمين اثنين فقط هما : مسلم وكافر، بغض النظر عن وضع الكافر من حيث الأقسام المذكورة آنفاً، لأن أقوى هذه الأقسام عهداً وتوثيقاً وأماناً - أعني أهل عقد الذمة - غير موجودين اليوم على الصفة الشرعية المذكورة، فكل ما سوى ذلك من أقسام الكفار أقل درجةً من حيث عصمة الدم والأمان، وكل ما تكلم فيه الفقهاء قديماً عن انتقاض عهد أهل الذمة وترتُّب عقوبة جريمة سب الرسول صلى الله عليه وسلم على الساب منهم يقع على غير أهل الذمة من الكفار بطريق الأولى على تفصيل نبينه إن شاء الله تعالى.

**قال القاضي عياض رحمه الله تعالى**:"اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرَّض به، أو شبَّهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه

أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له، فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم السابِّ ؛ يُقتل على ما نبينه، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً. وكذلك مَن لعنه أو دعا عليه، أو تمنى له مضرة، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسُخفٍ من الكلام وهُجر ومنكر من القول وزور، أو عيَّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماعٌ من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا"[١]

**رحم الله القاضي عياض**، وجعل كل حرف من هذه الأحرف وكل مَن عمل بها من بعده إلى يوم القيامة في ميزان حسناته، وهكذا فليكن انتصار العلماء الربانيين للنبي صلى الله عليه وسلم أو لا يكونوا، فالأمة بغنى عن عالم متعالم لا يزمجر بمثل هذه الكلمات في أرجاء الكون حتى ترتعد فئران الكفر والضلال وتموت كمداً في جحورها أو دهساً تحت أقدام الموحدين، رحم الله القاضي عياض رحمةً واسعة ينور بها قبره ويعلي بها قدره بين العلماء العاملين.

**وإن كلامنا في هذا المبحث يتعلق بما يلي :**

١. بيان الأدلة الشرعية المتضافرة على انتقاض إيمان وأمان ساب النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب قتله.

٢. بيان الأدلة على تعيُّن قتل الساب وعدم صلاح أية عقوبة أُخرى معه.

٣. بيان الأدلة على عدم استتابة ساب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان حكمه إن تاب.

**واعلم أن استطرادنا في عرض الأدلة ليس** لترددٍ في صدورنا أو اختلاجٍ تجاه حكم الله تعالى في هؤلاء، فإن الفطرة السليمة لا تقبل لهذا المجرم عقوبةً دون القتل، ولكننا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم لا نصدر عن انفعالاتنا ولا عن عقولنا بل نصدر عن الوحي، فما جاء به صلى الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا، وما لم يأتِ به توقفنا حتى يأتي أو يستبين لنا أمره بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، **والله الموفق**.

---

١) الشفا - ٤٢٨/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٦٩) .

**المطلب الأول:** بيان الأدلة الشرعية على انتقاض إيمان وأمان ساب النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب قتله:

**لقد تضافرت أدلة الشرع قرآناً وسنةً** وإجماعاً وقياساً على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم فقد انتقض إيمانه إن كان مسلماً وأمانه إن كان كافراً معاهداً ووجب قتله أياً ما كان. وعلى هذا الحكم الشرعي استقر العقل السليم واطمأنت الفطرة التي لم تلوثها شوائب الضلال، والحمد لله من قبل ومن بعد، يقص الحق وهو خير الفاصلين.

**وفيما يلي عرض هذه الأدلة بتوفيق الله وفضله :**

## أولاً : الأدلة القرآنية على انتقاض إيمان وأمان ساب النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب قتله:

فصَّل مَن كتب في هذا قديماً بين أدلة القرآن على انتقاض عهد الذمي بالسب ووجوب قتله، وأدلة كفر المسلم بالسب ووجوب قتله، ولن أفصل في هذا التقسيم بل أذكر الأدلة مجتمعةً لتداخل أوجه الدلالة ولقلة الحاجة إلى هذا التفريق اليوم، وأفصِّل فيما يحتاج إلى تفصيل عند الكلام عل كل دليل ووجه الدلالة منه والله الموفق.

١. **قول الله تعالى :**

"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا [الأحزاب : ٥٧ – ٥٨ ]

ووجه الدلالة من هذه الآية لا يحتاج كثير نظر وتدبر وهو من وجوه.

**(أولها)** أن الله تعالى قرن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذاه، كما قرن طاعته بطاعته فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصاً عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم[١].

و**(منها)** أن الله تعالى صرح بلعن الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم والسب أذى فالساب ملعون.

١) الصارم المسلول - ٨٦/٢ .

و(**منها**) أن هذا اللعن حاصلٌ في الدنيا والآخرة مما يشير إلى أن العذاب المتوعَّد به واقعٌ بمن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، قال ابن تيمية رحمه الله في معرض الكلام على انتقاض عهد الذمي بالسب وترتب القتل عليه:"كذلك هنا سبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث هو جنايةٌ منفصلةٌ عن نقض العهد، له عقوبةٌ تخصه في الدنيا والآخرة زائدةٌ على مجرد عقوبة التكذيب بنبوته، والدليل عليه قوله سبحانه:"إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً" فعلَّق اللعنة في الدنيا والآخرة والعذاب المهين بنفس أذى الله ورسوله فعُلم أنه موجِب ذلك"[١] قلت: أي سبب قتل الساب هو نفس السب لا مجرد الكفر أو انتقاض العهد.

و(**منها**) أن وصف العذاب بالمهين يجري في القرآن الكريم وعيداً للكفار مما يدل على كفر من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و(**منها**) أن الآيتين فرقتا في العقوبة بين أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذى سائر المؤمنين إذ قرن الأول بأذى الله مباشرة ورتب عليه اللعنة في الدنيا والآخرة في حين رتب الإثم على أذية المؤمنين وذلك أن أذية المؤمنين فسقٌ كما في الحديث:"سباب المسلم فسوق"[٢]، والآية فرقت بين أذى المؤمنين وأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يبقى إلا أن يكون أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل إثماً وهذا باطل فلم يبق إلا أن يكون أعظم إثماً وليس فوق الفسق إلا الكفر، وهو المطلوب.

**٢. قوله تعالى:**

" وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ

١) الصارم المسلول - ٢/٥٢٦-٥٢٧ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧١) .
٢) صحيح البخاري - ٢٧؟١

أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ " [التوبة : ٦٠-٦٣ ]

**ووجه الدلالة هنا من وجوه (أولها)** توعُد الله تعالى من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب الأليم، والسبُّ أذى بالقول كما لا يخفى.

و**(منها)** أنه رتب على وصف الأذى وصف المحادة لله ورسوله. **قال ابن تيمية**:"فعُلم أن إيذاء رسول الله محادةٌ لله ولرسوله، لأن ذِكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة فيجب أن يكون داخلاً فيه"، وقال رحمه الله:"المحادَّة هي المعاداة والمشاقَّة وذلك كفرٌ ومحاربةٌ فهو أغلظ من مجرد الكفر، فيكون المؤذي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً عدواً لله ورسوله محارباً لله ورسوله"[١].

و**(منها)** أن هذه الآية نزلت فضيحةً للمنافقين ومعلومٌ أن المنافق يعامَل معاملة المسلم في الظاهر، ولكن لما فضح الله سريرته وكشف باطنه صار حكمه حكم الكافر لأنه بإظهار سب النبي صلى الله عليه وسلم يكون قد وافق ظاهرُه باطنَه من حيث الكفر وانتفى السبب الذي كان مانعاً من إجراء حكم الكافر عليه وهو تستره بالإسلام في الظاهر والحاصل أنَّ إظهار السب دليلٌ ظاهر على الكفر فلم نعد محتاجين إلى الكشف عن السريرة والباطن، وهتِك الستر الظاهر الذي كان مانعاً من التكفير والقتل، فتأمل هذا فإنه دقيق.

**٣. قول الله تعالى مبيناً مصير المحاد لله ورسوله صلى الله عليه وسلم :**

" إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ " [المجادلة : ٢٠ ]

**وقال تعالى**:

" إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ..." [المجادلة : ٥ ]

**ووجه الدلالة هنا من وجوه (أولها)** أن المحاد لله ورسوله كافرٌ معادٍ لله تعالى كما تقدم . و**(منها)** أنه وصف هؤلاء بالأذلين وهذا من أدنى دركات الذل الذي

---

١) الصارم المسلول - ٥٨/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٢)

يتنافى مع بقاء الإيمان، وإنما يتماشى مع وصف الكفر والمحاربة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فدل على انتقاض الإيمان وتحقق أدنى دركات الكفر،قال ابن تيمية رحمه الله :

"والمؤمن لا يُكبت كما كُبت مكذبوا الرسل قط "[1]

و(**منها**) أن وصف الكبت يدل على شدة الغيظ من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يغتاظ منه إلا كافرٌ مغرقٌ في الكفر والعداوة، **قال ابن تيمية رحمه الله**:"يبين ذلك أن المنافقين هم من المحادين، فهم مكبوتون بموتهم بغيظهم، لخوفهم أنهم إن أظهروا ما في قلوبهم قُتلوا فيجب أن يكون كل محادٍّ كذلك"[2]، فالساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم محادٌ لله ولرسوله وهو مستحقٌ لكل أوصاف ونعوت الذل والكبت الواردة في الآية المختصة بالمنافقين والكفرة الفاجرين.

**٤. قول الله تعالى:**

" لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ..." [المجادلة : ٢٢ ]

**فهذه الآية تدل على** كفر مَن سب الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاض إيمانه إن كان قبل السب مسلماً وأمانه إن كان معاهداً، ووجه الدلالة من باب قياس الأولى حيث قال ابن تيمية رحمه الله:"فإذا كان من يوادّ المحاد ليس بمؤمن فكيف بالمحاد نفسه، وقد قيل إن من سبب نزولها أن أبا قحافة شتم النبي صلى الله عليه وسلم فأراد الصدِّيق قتلَه، وأن ابن أُبي تنقَّص النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن ابنُه النبيَّ صلى الله عليه وسلم في قتله لذلك، فثبت أن المحاد كافرٌ حلال الدم، وأيضاً فقد قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين المحادِّين لله ورسوله والمعادين لله ورسوله"[3]، قلت: والسب والشتم من أعظم المحادة والعداوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى.

**وقال الإمام البغوي رحمه الله في هذه الآية**:"أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار، وأن مَن كان مؤمناً لا يوالي من كفر وإن كان من عشيرته"[4]، قلت: وهذا

---

1) الصارم المسلول - ٥٩/٢.
2) الصارم المسلول - ٥٢/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٣).
٣) الصارم المسلول - ٥٩/٢-٦٠ .
٤) تفسير البغوي - ٣١٢/٤ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٤).

صريح في أن المحاد لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بأذى أو سب أو شتم أو غيره من أنواع العداوة فإنه كافر لا تجوز موالاته كما لا تجوز موالاة سائر الكفار، بل هنا آكد لمكان العداوة والمحاربة الظاهرة لله والرسول صلى الله عليه وسلم.

**٥. قوله تعالى:**

"يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ " [التوبة : ٦٤ -٦٦]

**ووجه الدلالة هنا من وجوه (أولها) أن** الآية دلت صراحةً على أن الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم كفر، قال ابن تيمية رحمه الله:"وهذا نصٌ في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كُفرٌ، فالسب المقصود بطريق الأولى، وقد دلت هذه الآية على أن كلَّ مَن تنَقَّصَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاداً أو هازلاً فقد كفر"[١].

**و(منها) أن** السب هو الكفر الظاهر الموافق للكفر الباطن، حيث قال تعالى إنه مُخرجٌ ما يخفيه المنافقون في قلوبهم من الكفر، وكان هذا الإخراج بفضيحتهم وإعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستهزاء الحاصل منهم تجاه الله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم، فدل هذا على أن الاستهزاء - والسب منه - هو من أعمال وأقوال الكفر الظاهر التي تحكي الكفر الباطن.

**و(منـها)** الحكم بالعذاب على المستهزئ وهذا يشمل العقوبات الشرعية بالقتل في الدنيا وعقوبة الآخرة في نار جهنم .

**و(منـها) أن** الآية وصفت الاستهزاء بالجريمة وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أو أشد، قال ابن جرير الطبري رحمه الله:"**وأما قوله** :

(بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ)

---

١) الصارم المسلول - ٧٠/٢

**فــإن معنــاه**: نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم، وهو الكفر بالله وطعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١]، قلت : وهذا صريح في أن الاستهزاء كفر وأولى منه سب الرسول صلى الله عليه وسلم.

**٦. قوله تعالى:**

" لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا " [الأحزاب : ٦٠ – ٦١ ]

**هذه الآية بيَّنت أن** المنافقين الذين في قلوبهم مرض يُخفونه وهو الطعن في دين الله والاستهزاء بآياته وبرسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم مستحقون للعن، بل هم إن اللعن وصفٌ ثابتٌ عليهم، ثم بيَّنت هذه الآية ما يترتب على هذا اللعن من التقتيل وهي صيغة مبالغة من القتل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سياق الكلام **على قوله تعالى** :

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ...) [الأحزاب : ٥٧ ]

"**أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً، واللعن**: الإبعاد عن الرحمة، ومَن طَرَدَه عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافراً، فإن المؤمن يقرُب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمةٌ عظيمة من الله فلا يثبت في حقه، ويؤيد ذلك قوله :"لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً. ملعونين أينما ثُقفوا أُخذوا وقُتّلوا تقتيلاً"، فإنَّ أخْذهم وتقتيلهم والله أعلم بيانٌ لصفة لعنهم، ودُكِر لحكمةٍ - فلا موضع له من الإعراب وليس بحال ثانية- لأنهم إذا جاوروه ملعونين ولم يظهر أثر لعنهم في الدنيا لم يكن في ذلك وعيدٌ لهم، بل تلك اللعنة ثابتةٌ قبل هذا الوعيد وبعده، فلابد أن يكون هذا الأخذ والتقتيل من آثار اللعنة التي وُعدوها، فثبت في حق من لعنه الله في الدنيا

---

١) تفسير الطبري - ١٧٤/١٠ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٥).

والآخرة"[1]، قلت: وهذا كما قدمنا غاية العدل لأن المنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإسلام عومل وفق ذلك فحُقن دمه في الدنيا بما أظهره من الإسلام وعُذب في نار جهنم خالداً فيها يوم القيامة بما أبطن من الكفر، أما إذا تسرب إلينا من باطن كفره ما ظهر لنا به كفره قولاً كان كالسب والشتم أو فعلاً كالإرجاف والتخذيل والدلالة على عورات المسلمين رجع حكمه في الدنيا إلى الأصل وعومل معاملة الكافر الحربي المعادي لله ورسوله المحاد لهما والمشاق لهما فأُخِذ وقُتل جزاءً وفاقاً، وبهذا يتبين أن سب الرسول صلى الله عليه وسلم ينقض الإيمان والأمان ويوجب القتل واللعن على هؤلاء المجرمين، وهو المطلوب.

**٧. قوله تعالى :**

" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا " [النساء : ٦٥ ]

**ووجه الدلالة** من هذه الآية هو أيضاً من قياس الأولى حيث بينت الآية بشكل صريح أن مَن أعرض عن التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقبول بحكمه قد انتفى عنه الإيمان، وقال الإمام أحمد:"نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعاً، **ثم جعل يتلوا** :

"فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ..." [النور: ٦٣ ]

**وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟** الشرك! لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شئ من الزيغ، فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلوا هذه الآية :

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ..."[2].

**وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله**:"فأقسم سبحانه بنفسه أنَّا لا نؤمن حتى نُحكِّم رسولَه في جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه فلا يبقى منها حرج ونسلِّم لحكمه تسليماً، فلا نعارضه بعقلٍ ولا رأيٍ ولا هوى ولا غيره، فقد أقسم الرب سبحانه

---

١) الصارم المسلول - ٨٧/٢-٨٨ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٦)
٢) الصارم المسلول - ١١٦/٢

بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يُقدِّمون العقل على ما جاء به الرسولُ، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه"[١]، قلت: فإذا كان الإيمان منفياً منفياً عمن لم ينشرح صدره لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بمن سبَّه وشتمه وآذاه بفحشٍ من القول وزور من الكلام. قال ابن تيمية رحمه الله:" فإذا كان النفاق يثبت، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا تركٌ محضٌ وقد يكون سببه قوة الشهوة، فكيف بالتنقص والسب"[٢]، قلت: أي أن كون السب والشتم سبباً في نفي الإيمان أولى وأقوى، لأن الساب لم يقتصر على الترك والإعراض الذي هو بحد ذاته كفر، بل ضم إلى ذلك التنقص والشتم فهو متعاطي لأذية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا التعاطي للإيذاء فوق الترك المحض فكان أولى بنفي الإيمان واستحقاق العقوبة. ويؤيد هذا المعنى ما رواه دحيم في تفسيره عن عتبة بن ضمرة :حدثني أبي أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للمحِقِّ على المبطل، فقال المقضي عليه: لا أرضى. فقال صاحبه: فما تريد؟ قال: أن نذهب إلى أبي بكر الصديق وقد ذهبا إليه، فقال الذي قُضي له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضي لي. **فقال أبو بكر**: فأنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم فأبى صاحبُه أن يرضى. قال: فأتيا عمر بن الخطاب، فأتياه فقال المقضي له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فأبى أن يرضى، ثم أتينا أبا بكر فقال أنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يرضى، فسأله عمر، فقال كذلك، فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سلَّه، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل الله:

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ " إلى آخر الآية[٣].

---

١) الصواعق المرسلة - ابن قيم الجوزية - ٨٢٨/٣.
٢) الصواعق المرسلة - ابن قيم الجوزية - ٨٢٨/٣ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٨) .
٣) عمدة القاري - الحافظ العيني - ٢٠٣/١٢، والسيوطي في الدر المنثور(٥٨٥/٢)، وذكره ابن تيمية في الصارم المسلول وأشار إلى إرساله فقال:"وهذا المرسل له شاهد من وجه آخر يصلح للاعتبار، قال ابن دحيم حدثنا الجوزجاني حدثنا أبو الأسود حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال:"

**قلـــت**: فكيف يفعل الصحابة إذاً بالساب والشاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يجدر بالمؤمن أن يفعل !

**٨. قوله تعالى:**

" وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ " [التوبة : ٥٨ ]

**ووجه الدلالـة** من هذه الآية يجمع أموراً مما تقدم **(فأولـها)** يتعلق بصفات المنافقين وسلوكهم الظاهر الدال على كفرهم الباطن وهو في هذه الآية الفاضحة لمزُ النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقات، قال ابن تيمية رحمه الله :"**واللمــز**: العيب والطعن قال مجاهد: يتهمك، يسألك، يزرأك، وقال عطاء: يغتابك"[١]، قلت : وكل هذا من جنس أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسب أشد منه لكونه صريحاً معلناً فحكمه حكم اللمز من حيث الحكم بالنفاق والكفر كما لا يخفى .

**و(ثانيها)** أن من صفات المنافين الكفار في الباطن أنهم لا يرضون بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقسيم الأموال وفي غيره من الأمور الدينية والدنيوية وهو ما تقدم تحريره في الدليل السابق، ويقوي هذا المعنى ويوضحه ما رواه الإمام البخاري رحمه الله **بسنده عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال**:" بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم[٢] جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله. فقال: ويحك! ومن يعدل إذا لم أعدل. قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه. قال: دعه، فإن له أصحاباً يحقِر أحدُكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق

---

اختصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فقضى لأحدهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم انطلقوا إلى عمر. فانطلقا فلما أتيا عمر قال الذي قضي له: يا ابن الخطاب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لي، وإن هذا قال ردنا الى عمر فردنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أكذلك للذي قضي عليه. قال: نعم. فقال عمر: مكانك حتى أخرج فاقضي بينكما فخرج مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله قتل عمر صاحبي ولولا ما أعجزته لقتلني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت أظن أن عمر يجتري على قتل مؤمن ،فأنزل الله تعالى :" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" فبرّأ الله عمر من قتله" (الصارم المسلول ٢/٨٣-٨٥) إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٧٩).

١) الصارم المسلول - ٢/٧٥.

٢) أي يقسم الأموال .

السهم من الرمية[١] ..إلى أن قال : فنزلت فيه :"ومنهم من يلمزك في الصدقات"[٢]، قلت: وهذه الآية والحديث الذي يروي سبب نزولها صريحان في أن الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وفي حكمه وقضائه كفرٌ يبيح دم قائله حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرَّ عمر بن الخطاب على حكمه على الرجل بالقتل، ولكن منعه لسبب آخر ولمصلحة راجحة - وهذا حقٌ للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته حيث يعفو عن حقه هو لما يراه مناسباً، أما بعد موته صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي يجرؤ على إسقاط حق رسول الله صلى الله عليه وسلم!

**٩. قوله تعالى:**

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ "

[الحجرات : ٢]

**ووجه الدلالة** من الآية أن الله سبحانه وتعالى نهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم وعن الجهر له بالقول كجهر بعضهم لبعض لأن هذا الرفع والجهر قد يُفضي إلى حبوط العمل وصاحبه لا يشعر، فإنه علَّل نهيهم عن الجهر وتركهم له بطلبِ سلامة العمل عن الحبوط، وبيَّن أن فيه من المفسدة احتمال حبوط العمل وانعقاد سبب ذلك، وما قد يُفضي إلى حبوط العمل يجب تركُه غاية الوجوب، والعمل يحبط بالكفر قاله سبحانه :

"وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ..."

[البقرة : ٢١٧]

**وقال تعالى:**

---

١) هذا النعت والوصف هو لفرقة الخوارج الذين فارقوا أهل السنة والجماعة في أصول أهمها تكفير مرتكب الكبيرة وهي فرقة ضالة كما لا يخفى (انظر الملل والنحل للشهرستاني، والفصل بين الفرق للبغدادي) ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٨٠).

٢) صحيح البخاري - ٦/٢٥٤٠.

"...وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ..." [المائدة : ٥٥ ]

**وقال:**

" ... ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ " [الأنعام : ٨٨]

**وقال** :

"...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ..." [الزمر: ٦٥ ]

**وقال:**

"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ " [محمد : ٩ ]

**وقال :**

"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ " [محمد : ٢٨ ]

**كما أن الكفر إذا قارنه عملٌ لم يُقبل لقوله تعالى :**

"...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ " [المائدة : ٢٧ ]

**وقوله:**

"ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ " [محمد : ١ ]

**وقوله :**

"وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ"[التوبة:٥٤]

وهذا ظاهرٌ ولا تحبط الأعمال بغير الكفر، لأن من مات على الإيمان فإنه لابد من أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عملُه كله لم يدخل الجنة قط ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها، ولا ينافي الأعمالَ مطلقاً إلا الكفر، وهذا معروفٌ من أصول أهل السنة، نعم قد يبطلُ بعض الأعمال بوجود ما يفسده **كما قال تعالى**:

"....لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ..." [البقرة : ٢٦٤ ] .

ولكن لا يحبط كلُّ عمل المرء بذلك، ولهذا لم يحبط الله الأعمال في كتابه إلا بالكفر. فإذا ثبت أن رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم والجهر له بالقول يُخاف منه أن يكفر صاحبه وهو لايشعر، ويحبط عمله بذلك وأنه مظنة لذلك وسبب فيه، فمن المعلوم أن ذلك لِما ينبغي له من التعزير والتوقير والتشريف والتعظيم والإكرام والإجلال ولِما أنَّ رفعَ الصوت قد يشتمل على أذى له أو استخفاف به وإن لم يقصد الرافعُ ذلك فإذا كان الأذى والاستخفاف الذي يحصل في سوء الأدب من غير قصد صاحبه يكون كفراً فيكون الأذى والاستخفاف المقصود والسب والشتم المتعمد كفراً بطريق الأَولى[١].

**قلت**: هذا غاية الفقه منه رحمه الله فقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المبحث النفيس مسائل من أصول الدين لا ينفك المسلم يحتاج إليها، منها أن المعاصي لا تحبط الإيمان كله وإنما ينقص بها الإيمان، وأن حبوط كامل العمل رديف الكفر، وأن كل ما دل دليل الشرع على أنه يؤدي إلى حبوط كامل العمل فهو كفر وهذا كما مثَّل وذكر كسب النبي صلى الله عليه وسلم، وبيَّن رحمه الله أن مسألة سب النبي صلى الله عليه وسلم وإيذائه من متعلقات أصول الدين وأنه ليس مجرد ذنب عارض بل هو جريمة كبرى، ولكن هل من سامع أو مجيب.

**١٠. قوله تعالى** :

"...فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "

[النور: ٦٣]

**ووجه الدلالة هنا أن** مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب مفضٍ إلى الفتنة وهي الكفر، كما قال ابن تيمية رحمه الله: "أمرَ مَن خالف أمرَه أن يحذر الفتنة؛ والفتنة الردة والكفر"[٢].

**وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : "أي فليحذر وليخشَ من يخالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً .

---

١)الصارم المسلول - ١١٣/٢-١١٥، بتصرف يسير. إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٨٢) .
٢) الصارم المسلول - ١١٥/٢

(أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ)

أي في قلوبهم مِن كفرٍ أو نفاقٍ أو بدعة .

(أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أي في الدنيا؛ بقتلٍ أو حدٍ أو حبسٍ أو نحو ذلك"[١]، وذكر ابن تيمية رحمه الله **وجه الدلالة من الآية**:"فإذا كان المخالف عن أمره صلى الله عليه وسلم قد حُذِّر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضياً إلى الكفر أو إلى العذاب الأليم، ولما كان معلوماً أن إفضاءه إلى العذاب بسبب مجرد فعل المعصية عُلِم أن إفضاءه إلى الكفر إنما هو لما قد يقترن به من استخفاف بحق الآمر، وهذا كما فعل إبليس حيث استخف بحق الآمر واستكبر عنه فكفر بذلك لا لمجرد المعصية، فكيف لما هو أغلظ من ذلك الاستحفاف كالسب والشتم والانتقاص ونحوه"[٢]، قلت: فلا شك أن السب والشتم أشد إفضاءً إلى الكفر من إفضاء مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم المقترنة بالاستخفاف به صلى الله عليه وسلم،وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، والله الموفق.

**١١. قوله تعالى:**

" ....وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا " [الأحزاب : ٥٣ ]

ولقد تقدم الكلام عن هذه الآية وبيان منع معاملة النبي صلى الله عليه وسلم ببعض ما يجوز للمسلمين أن يتعاملوا به بينهم حفظاً لجنابه وتوقيراً وتعظيماً لمقامه صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الله تعالى منع مِن تزوُّج أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وسمى ذلك أذى للرسول صلى الله عليه وسلم وعظَّم قدر هذا الأذى مُشعراً بالوعيد الشديد لفاعله، فإنَّ ترتب هذا الوعيد على الشاتم من باب أولى

---

١) تفسير ابن كثير - ٣٠٨/٣ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٨٣)
٢) الصارم المسلول - ١١٧/٢ بتصرف

قال ابن تيمية رحمه الله:"فحرَّم على الأُمة أن تنكح أزواجَه من بعده لأن ذلك يؤذيه وجعله عظيماً عند الله تعظيماً لحرمته.

**وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس**: لو قد تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجتُ عائشة. ثم إنَّ مَن نكح أزواجه أو سراريه فإن عقوبته القتل جزاءً له بما انتهك من حرمته فالشاتم له أولى"[1]، قلت: وسيأتي دليل هذا أعني قتل من تزوج أحداً من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مبحث أدلة السنة إن شاء الله.

١٢. **قوله تعالى**:

" قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ "[التوبة : ٢٩ ]

تقدم معنا في تقديم هذا المبحث صفة أهل الذمة وأن حقن دماءهم بدخولهم في عقد الذمة مترتبٌ على أمرين هما؛ دفع الجزية للمسلمين، وانقيادهم لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في دار الإسلام، وذكرنا بعض الشروط التي يشترط التزام أهل الذمة بها لسريان عقد الذمة وحقن دمائهم، وأن لازمها عدم الطعن في الإسلام وفي الله سبحانه وتعالى وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجه الدلالة من هذه الآية من وجهين .

**(أولهما)** أن الأصل في التعامل مع الكفار هو قتالهم، ومن حلَّ قتاله حلَّ قتله ثم إن قتله يتعين بتعين الجريمة المستوجبة للقتل كما نبين لاحقاً.

**و(الآخر)** أن من أعلن وأظهر سبه النبي صلى الله عليه وسلم ليس ملتزماً بشروط العهد من الكف عن الطعن في دين الإسلام والتزام حال الصغار بالانقياد لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في دار الإسلام، قال ابن تيمية رحمه الله:" فمن المعلوم أن من أظهر سبَّ نبينا في وجوهنا وشتم ربنا على رؤوس الملأ منا، وطعن في ديننا في مجامعنا فليس بصاغرٍ لأن الصاغر الذليل الحقير، وهذا فعلُ متعززٍ مراغم، بل هذا غاية ما يكون من الإذلال

---

١) الصارم المسلول - ١٢٠/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٨٤).

لنا والإهانة"[١]، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:" الصَغَار والله أعلم أن يجري عليهم حكم الإسلام"[٢]، قلت: ولا يخفى أن إظهار سب النبي صلى الله عليه وسلم مخالفٌ لجريان حكم الإسلام عليهم، قال القاضي عياض رحمه الله :" لأنا لم نعط الذمة أو العهد على هذا"[٣] أي على إظهار سب النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: هذا كله بالنسبة للكافر الذمي، فإذا تأملنا أنه غير موجود اليوم كان حال الكافر المستأمن أو الحربي إذا أظهر سب النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهذا الحكم وهو انتقاض أمانه إن كان مستأمناً وتعين قتله إن كان حربياً وظُفر به، والله أعلم.

**١٣. قوله تعالى:**

" كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ "

[التوبة : ٧]

**فهذه الآية الكريمة تبين** حكم الكافر الحربي وأنه لا عهد له ولا أمان من الله ورسوله، بل يقاتل حتى يسلم أو يعطي الجزية إن كان من أهلها أو يهادن على تفصيل مبسوط في كتب الفقه، ثم استثنى الله تعالى مَن كان له عهدٌ سابق مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستقيماً على شروط العهد ومقتضياته، قال الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله:" ولما قدم المدينة - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم؛ فمنَّ على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل بعضهم"[٤]، ومن المعلوم أن المجاهرة بسب النبي صلى الله عليه وسلم ليست من الاستقامة على العهد في شيء، قال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر الآية الكريمة:" نفى سبحانه أن يكون لمشركٍ عهدٌ ممن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهدهم إلا قوماً ذكرهم، فإنه جعل لهم عهداً ما داموا مستقيمين لنا، فعُلم أن العهد لايبقى للمشرك إلا ما دام مستقيماً،

---

١) الصارم المسلول - ٣٢/٢- ٣٣.
٢) أحكام القرآن - الشافعي - ٧٩/٢.
٣) الشفا - ٤٦٤/٢.
٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن قيم الجوزية - ١٢/١.

ومعلوم أن مجاهرتنا بالشتيمة والوقيعة في ربنا ونبينا وديننا وكتابنا يقدح في الاستقامة، كما تقدح مجاهرتنا بالمحاربة في العهد، بل ذلك أشد علينا إن كنا مؤمنين فإنه يجب علينا أن نبذل دماءنا وأموالنا حتى تكون كلمة الله هي العليا، ولا يُجهر في ديارنا بشيء من أذى الله ورسوله، فاذا لم يكونوا مستقيمين لنا بالقدح في أهون الأمرين فكيف يكونون مستقيمين مع القدح في أعظمهما"[١]، قلت: تأمل فقه هذا الإمام العظيم، حيث جعل محاربة المشركين لنا بقتالنا واستباحة دمائنا أهون الأمرين وجعل سب النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الأمرين وهو كذلك، هذا - كما قال رحمه الله - إن كنا مؤمنين، تأمل هذا الكلام النفيس ثم ابكِ على ما يظنه البعض اليوم نصرةً للنبي صلى الله عليه وسلم من دعوة لحوار الأديان وتخوفٍ من المبالغة في النكير على الشاتمين خشية تعثر عجلة التقدم في تعايش الأديان وتجاور الحضارات، فلا ينتهي العجب من هذا، نسأل الله السلامة والعافية.

**١٤. قوله تعالى:**

"وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ " [التوبة : ١٢ ]

**وإن الآية الكريمة تدل على** انتقاض الإيمان والأمان ووجوب القتل من وجوه (**أولها**) أن مجرد نكث الأيمان أي نقضها موجبٌ لانتقاض الأمان، و(**منها**) أن الطعن في الدين جريمة مستقلة زائدة على مجرد نقض العهد، و(**منها**) تسمية من ضم إلى نقض العهد طعناً في دين الإسلام إماماً في الكفر وهذا يستدعي قدراً زائداً من العقوبة الزاجرة الرادعة لأن إمام الكفر معلنٌ بمحاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وداعية إلى الكفر فلا بد من كف أذاه عن الناس وهذا لا يتحقق إلا بقطع دابره، قال الإمام البيضاوي رحمه الله **في قوله تعالى:**

(فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ)

---

١) الصارم المسلول - ٣٤/٢-٣٥ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٨٧).

"أي فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل، وقيل: المراد بالأئمة رؤساء المشركين، فالتخصيص إما لأنَّ قتلهم أهم وهم أحق به، أو للمنع من مراقبتهم"[١]، قلت: أي المنع من مراقبة العهد فيهم لأنهم أولى مَن نكث العهد بالقتل لعظيم خطرهم.

و(**منها**) توكيد الآية على أنه لا أمان لهؤلاء الكفار الطاعنين في الدين فيعودون إلى حكم الأصل من وجوب قتالهم.

و(**منها**) تعليل هذا القتال برجاء انتهائهم عن الطعن في الدين والذي دلت عليه التجربة أن طعن هؤلاء في الدين لا ينتهي ولا ينقطع إلا بقطع دابرهم

و(**منها**) أن سب النبي صلى الله عليه وسلم هو من أعظم الطعن في الدين لأنه صلوات الله وسلامه عليه هو الواسطة بين الله عز وجل وبين الناس فبه بلَّغ الله تعالى دينه وعرَّف الناس أوامره ونواهيه، فمن طعن في نبينا صلى الله عليه وسلم بالسب فقد طعن في الله الذي أرسله ونقض أصل الدين، وفاعل هذا إمامٌ في الكفر لا بد من أن يُستراح منه، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله **في قوله تعالى** :

(وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمۡ):

أي عابوه وانتقصوه؛ ومن ههنا أُخذ قتلُ من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص"[٢].

**والحاصـل أن** هذه الآية أصلٌ عظيم في مسألتنا لأنها جامعة في الدلالة على كل أوجه المطلوب وهو انتقاض الإيمان والأمان وتعين القتل على هؤلاء المجرمين، والله أعلم.

**١٥. قوله تعالى:**

"أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ ..." [التوبة : ١٣ ]

---

١) تفسير البيضاوي - ١٣٣/٣

٢) تفسير ابن كثير - ٣٤٠/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٠).

**وهــذه الآيــة تاليــة في** الترتيب للآية السابقة، وفيها مزيد تهييج للمؤمنين على قتال هؤلاء الطاعنين في دين الله وفي الله وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا التهييج والإغراء بهم يؤكد على أن المطلوب قتلهم واستئصال شأفتهم، بل إنك لتستشعر نوع عتاب في الآية لمن تردد في قتلهم، **وكأن في الآية** : كيف لا تقتاتلون هؤلاء الذين أرادوا إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأوه وإياكم القتال ونكث العهود!

**قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية**:"وهذا أيضا تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين بأيمانهم الذين هموا باخراج الرسول من مكة"[١]، وقال ابن تيمية رحمه الله:"فجعل همَّهم بإخراج الرسول من المحضضات على قتالهم، وما ذاك إلا لما فيه من الأذى، وسبُّه أغلظ من الهم بإخراجه، بدليل أنه صلى الله عليه وسلم عفا عام الفتح عن الذين همُّوا بإخراجه ولم يعفُ عمَّن سبَّه، فالذمي إذا أظهر سبَّه فقد نكث عهده وفعل ما هو أعظم من الهم بإخراج الرسول وبدأ بالأذى فيجب قتاله"[٢]، قلت: فهذا حال الذمي فما بالك اليوم بالكافر الحربي الذي لم ينعقد له أمان ولا عهدٌ أصلاً وهو يبارز النبي صلى الله عليه وسلم بالسب والشتم والتنقص والوقيعة في عرضه بأبي وأمي هو صلوات الله وسلامه عليه، أيكون نصيبه من العقوبة دعوة إلى مؤتمر حوار أديان وتحذيره من مغبة الاستمرار في الشتم لئلا يعكر جو حوار الحضارات والتعايش السلمي بين الأديان، أم يكون نصيبه ضرباً فوق الأعناق وضرباً لكل بنان، تأمل هذا يا ما تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمله جيداً ثم اختر لنصرة نبيك صلى الله عليه وسلم حالاً من هاتين.

**١٦. قوله تعالى:**

"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ " [الأنفال : ١٣ – ١٤ ].

**ووجه الدلالة من هذه الآية أن** تعليل الضرب فوق الأعناق وهو القتال كان بسبب مشاقة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

---

١) تفسير ابن كثير - ٣٤٠/٢.
٢) الصارم المسلول - ٤٣/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩١)

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** :"فجعل إلقاء الرعب في قلوبهم والأمر بقتلهم لأجل مشاقتهم لله ورسوله، فكل من شاقَّ الله ورسوله يستوجب ذلك والمؤذي للنبي مشاقٌ لله ورسوله كما تقدم فيستحق ذلك"[1] قلت: وهذا صريح واضح لا يحتاج إلى كثير بسطٍ وبيان.

**١٧. قوله تعالى:**

" وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ " [الحشر: ٣ – ٤]

فهذا مصير هؤلاء من أهل الذمة الذين نقضوا عهدهم بمشاقة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، **قال ابن تيمية رحمه الله** :"فجعل سبب استحقاقهم العذاب في الدنيا ولعذاب النار في الآخرة هو مشاقَّة الله ورسوله، والمؤذي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مُشاقٌّ لله ورسوله كما تقدم، والعذاب هنا هو الإهلاك بعذابٍ من عنده أو بأيدينا، وإلا فقد أصابهم ما دون ذلك من ذهاب الأموال وفراق الأوطان"[2]، قلت: فهذا أيضاً صريح في أن من شاق الرسول صلى الله عليه وسلم بسب وشتيمة وغيرهما من أنواع الاذى فإنه مستحقٌ للعقوبة في الدنيا والنار في الآخرة، وما من عقوبة في الدنيا تليق بهذا الشاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير القتل على ما نبينه لاحقاً إن شاء الله، أما انتقاض إيمانه وأمانه فلا إشكال فيه بحمد الله.

**١٨. قوله تعالى:**

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ "[الممتحنة: ١]

---

١) الصارم المسلول - ٦١/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٢)
٢) الصارم المسلول - ٦١/٢.

ووجه الدلالة من هذه الآية مـن وجـوه **(أولـهـا)** أن الله تعالى قرن عداوة المؤمنين بعداوته سبحانه وتعالى ولا شك أن أولى المؤمنين وسيدهم وإمامهم في هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فمن عاداه فقد عادى الله ومن عادى الله استحق الحرب والقتل .

**(منها)** أن الله تعالى نهى عن موالاة هؤلاء الأعداء الآتية صفتهم في الآية، ونهي المؤمنين عن الموالاة إنما يكون مع الكافر لأن المؤمن لا يُنهى عن موالاة المؤمن كما هو مقررٌ ومستفيض في آيات القرآن.

**و(منـها)** أن هذه العداوة جاءت منعوتة موصوفة بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من بلده وهذا نوع أذى، فكل أذى مِن جنسه أو أشد منه كالسب والشتم يكون أبلغ في تقرير العداوة تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله **في قوله تعالى:**

(يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ)

هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم، لأنهم أخرجوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من بين أظهرهم كراهةً لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده"[1]، قلت: فكيف بمن يسبه ويشتمه ويقع في عِرضه صلى الله عليه وسلم .

**و(منها)** أن تعليق الجهاد في سبيل الله وهو القتال على قطع الموالاة مع هؤلاء الأعداء الذين آذوا النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن هؤلاء كفارٌ لا إيمان لهم ولا أمان لأن الجهاد أي القتال في سبيل الله وتقصُّد قتلهم ينصرف إلى هؤلاء. والحاصل أن هذه الآية قد قطعت كل وشيجة وصلة بين المؤمنين وبين من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع الأذى سواء أكان ما صرحت به الآية من إخراجه صلى الله عليه وسلم من مكة أم كان غيره من أنواع الأذى كالهجاء والسب والتنقص بل هذا أولى كما لا يخفى.

**١٩. قوله تعالى:**

" وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ...." [الأنفال : ٦٠]

---

١) تفسير ابن كثير - ٣٤٨/٤ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٣)

**قال الإمام الطبري رحمه الله** :"يقول تعالى ذِكره: وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة، يقول: ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل.

(تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ....)

**يقـول**: تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين"[١]، قلت : وهذا لا يخفى أنه إعداد للقتال والقتل لأولئك المحاربين الناقضين للعهد والناكثين للإيمان والأيمان، وأي عداوة أشد من سب النبي صلى الله عليه وسلم وإعلان ذلك وإظهاره على الملأ في كل ما تيسر لهؤلاء المجرمين من وسائل الإعلان المسموع والمقروء والمرئي جهاراً نهاراً ينفثون كل حقدهم ضد من بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وشرفه على سائر خلقه أجميعن، أليس هذا المجرم الساب والشاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذاً أولى الناس بأن يعيش حال الخوف والإرهاب وهو يعلم تربص المؤمنين به لقتله ودحره وقطع دابره. ولئن لم يصدق على ساب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاتمه ومتنقصه والطاعن فيه والواقع في عرضه وفي أزواجه الطاهرات المطهرات أنه عدو لله وعدو للمؤمنين فعلى من يصدق وصف العداوة؟ بل ما بقاء المؤمنين بعد شتم نبيهم إذا لم ينتصروا له صلى الله عليه وسلم بتربص الشاتم والساب بكل ما يملكون من أسباب القوة والرهبة، حتى إذا ظفروا به أخذوه أخذاً وبيلاً وقتّلوه تقتيلاً ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

**٢٠. قوله تعالى:**

" إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [المائدة : ٣٣ ]

١) تفسير الطبري - ٢٩/١٠ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٤).

وهذه الآية أصلٌ في حدِّ الحرابة، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :"المحاربة: هي المضادة والمخالفة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر"[١]، وقال رحمه الله:"وليست تُحرز-أي تمنع- هذه الآية الرجل المسلم من الحد إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل أن يُقدر عليه، لم يمنعه ذلك أن يُقام عليه الحد الذي أصاب"[٢]، قلت: أي ولو تاب فإن التوبة تُسقط حق الله عز وجل ولا تُسقط حق العباد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر الآية :"فوجه الدلالة أن هذا الساب المذكور من المحاربين لله ورسوله الساعين في الأرض فساداً الداخلين في هذه الآية سواء كان مسلماً أو معاهداً، وكل من كان من المحاربين الداخلين في هذه الآية فإنه يقام عليه الحد إذا قدر عليه قبل التوبة سواء تاب بعد ذلك أو لم يتب، فهذا الذمي أو المسلم إذا سب ثم أسلم بعد أن أُخذ وقُدر عليه قبل التوبة فيجب إقامة الحد عليه، وحدُّه القتل فيجب قتله سواءٌ تاب أو لم يتب"[٣]، قلت: وسيأتي مزيد بيان لمسألة عدم استتابة شاتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المقصود هنا بيان وجه دخول الساب في المحاربين لله ورسوله مع ما يترتب على ذلك من النكال العظيم، ولا يماري عاقل فضلاً عن مسلم في أن سب النبي صلى الله عليه وسلم هو من أشد المحاربة لله ورسوله ومن أعظم الإفساد في الأرض، فلا تردد في دخوله في وعيد هذه الآية والله تعالى أعلم.

**فهذه عشرون دليلاً من القرآن الكريم** الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تدل دلالة صريحة صحيحة على أن من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبٍ أو شتمٍ فقد انتقض إيمانه وزال أمانه ووجب قتله فهو كافر محارب يستحق وعيد الدنيا والآخرة جزاءً وفاقاً على ما اجترأ عليه من جريمة شنعاء قبيحة.

---

١) تفسير ابن كثير - ٤٨/٢.
٢) تفسير ابن كثير - ٤٩/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٥).
٣) الصارم المسلول - ٧٠٩/٣.

**ثانياً: أدلة السنة النبوية على انتقاض إيمان وأمان الساب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ووجوب قتله:**

**إن ما تقدم من الأدلة القرآنية** شافٍ كافٍ في تقرير مسألتنا، غير أن السنة النبوية المطهرة جاءت شارحةً للقرآن مبينةً لمبهمه، ومفصلةً لمجمله، ومخصصة لعمومه ومقيدةً لمطلَقِه، ومؤكدةً لأحكامه، ومُشرِّعةً لأحكام مستقلةٍ، ولما كان هذا شأن السنة فمن المهم النظر في أدلتها المتعلقة بمسألتنا كي تستبين لنا الضوابط الشارحة لتطبيق ما تقدم تقريره بالأدلة القرآنية، حتى لا تبقى شائبة أو شبهة في ذهن المكلف، ولينظر كيف كان تطبيق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لهذه الأدلة القرآنية. وكما قدمت آنفاً فإني لن أفصل في عرض هذه الأدلة بين ما يتعلق بالمسلم والمعاهد والمحارب بل نسرد الأدلة ونذكر وجوه الدلالة منها على المطلوب في موضعها مع الإشارة إلى خصوصيات كل دليل حسب الحاجة إن شاء اللّه.

١. **عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال**: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : "إن اللّه قال: مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"[١]، قال الحافظ ابن حجر رحمه اللّه :"قال الفاكهاني: في هذا تهديدٌ شديد لأن من حاربه اللّهُ أهلكه، وهو من المجاز البليغ لأن مَن كَرِهَ مَن أحب اللّه خالف اللّه، ومن خالف اللّه عانده، ومن عانده أهلكه"[٢]. وقال ابن تيمية رحمه اللّه :"فإذا كان من عادى واحداً من الأولياء قد بارز اللّهَ بالمحاربة، فكيف بمن عادى صفوة اللّه من أوليائه، فإنه يكون أشد مبارزةً له بالمحاربة، وإذا كان محارباً للّه لأجل عداوته للرسول، فهو محارب للرسول بطريق الأولى، فثبت أن الساب للرسول محاربٌ للّه ورسوله"[٣]، قلت: فإذا ثبت هذا تبين أن الساب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم منتقض الإيمان منتقض الأمان مستحق للقتل، وهو المطلوب.

---

١) صحيح البخاري - ٢٣٨٤/٥.
٢) فتح الباري - ٣٤٢/١١- ٣٤٣ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٧).
٣ ) الصارم المسلول - ٧٢٨/٣.

٢. **عن أنس رضي الله عنه قال**:" كان رجلٌ نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله فدفنوه فأصبحَ وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فِعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا، فألقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه"[١]، قال العيني رحمه الله :"**وفي رواية ثابت**: فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم"[٢]، قلت: أي في قومه من النصارى الكفار لأنه لحق بهم بعد أن ارتد، وكان يطعن في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ويزعم أن ما كان يأتي به صلوات الله وسلامه عليه من الوحي إنما علَّمه إياه هو، وواضحٌ ما في هذا من نسبة الكذب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الطعن والتنقص والإزراء به صلوات الله وسلامه عليه، ورواه مسلم في صحيحه أيضاً عن أنس بن مالك قال:"كان منا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه؛ قالوا هذا قد كان يكتب لمحمد، فأُعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذاً"[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"فهذا الملعون الذي افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له قصمه الله وفضحه، بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمرٌ خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا،

---

١) صحيح البخاري - ٣/١٣٢٥ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ٩٨).
٢) عمدة القاري - ١٦/١٥٠.
٣) صحيح مسلم - ٤/٢١٤٥.

وأن الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبَّه ومظهرٌ لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يُمكن الناس أن يقيموا عليه الحد. ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مراتٍ متعددة في حصار الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا، حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيَّسر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه. وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين"[١]، قلت: ولا بد من الحذر من الركون إلى مثل هذه البشارات مع ترك تعاطي أسباب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، فتأمل كيف أن أهل الثغور كانوا يستبشرون بنصرة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بتعجيل هذه الحصون التي يحاصرونها لا أن أحدهم يقعد في بيته مع الخوالف ينتظر نصر الله من السماء دون أن يتعاطى أسبابه في الأرض من إعداد عدة وصدق عزيمة وإخلاص نية الخروج في سبيل الله تعالى. والشاهد هنا أن الله تعالى لا يفضح ولا يخزي عبداً بمثل هذا الخزي والفضيحة بحيث تلفظه الأرض ولا تقبل نتنه إلا وقد احتوى قلبه من النتن والحقد الكثير الكثير حتى ضاق به صدره فظهر على جوارحه ولسانه فأخذ يتجرأ على مقام النبوة بشتى أنواع السباب والشتم، فهذا قد انتقض إيمانه وأمنه وهو بين عذابين؛ عذاب القتل بأيدينا أو عذاب الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو.

٣. **عن أنس بن مالك رضي اللهّ عنه**: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلقٌ بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه"[٢]، قلت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه

---

١) الصارم المسلول - ٢/ ٢٣٣-٢٣٤ ،إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٠)
٢) صحيح البخاري - ٢/٦٥٥.

واستثناه ونفراً آخرين من الأمان الذي أعطاه لأهل مكة عام الفتح، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واستدل به- أي بالحديث - على جواز قتل الذمي إذا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه نظر كما قاله ابن عبد البر، لأن ابن خطل كان حربياً ولم يدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمانه لأهل مكة، بل استثناه مع من استثنى وخرج أمره بقتله مع أمانه لغيره مخرجاً واحداً، فلا دلالة فيه لما ذكره، انتهى. ويمكن أن يُتمسك به في جواز قتل من فعل ذلك بغير استتابة من غير تقييد بكونه ذمياً، لكن ابن خطل عمل بموجبات القتل فلم يتحتم أن سبب قتله السب"[١]، قلت: هذا الذي ذكره ابن حجر جيد أعني عدم التقييد بالساب الذمي لأن ابن خطل كان مرتداً ولمن يكن من أهل الذمة، ولكن يبقى الدليل قوياً من الحديث على قتل ساب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو إن كان في المسلم المرتد بالسب مؤكداً ففي الذمي الناقض للعهد بالسب من باب أولى، وأما قوله رحمه الله إن ابن خطل قارف موجبات القتل الأخرى فلقد حرر ذلك شيخ الإسلام تحريراً نفيساً بحيث بيَّن أن الموجب الذي بسببه أباح النبي صلى الله عليه وسلم دمه إنما هو السب لا غير، حيث قال رحمه الله: "وقد تقدم عن أهل المغازي أن جرمه - أي جريمة ابن خطل - أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على الصدقة وأصحبه رجلاً يخدمه، فغضب على رفيقه لكونه لم يصنع له طعاماً أمره بصنعه فقتله فخاف ثمَّ أن يُقتل فارتد واستاق إبل الصدقة، وأنه كان يقول الشعر يهجو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر جاريتيه أن تغنِيّا به، فهذا له ثلاث جرائم مبيحة للدم؛ قتل النفس والردة والهجاء. فمن احتج بقصته يقول: لم يُقتل لقتل النفس لأن أكثر ما يجب على من قتل ثم ارتد أن يُقتل قَوَداً، والمقتول من قبيلة خزاعة له أولياء فكان حكمه لو قُتل قَوَداً أن يُسلَّم إلى أولياء المقتول، فإما أن يقتلوا أو يعفوا أو يأخذوا الدية، وهذا ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه لم يُقتل قوداً، وكذلك لم يُقتل لمجرد الردة لأن المرتد يُستتاب واذا استنظر أُنظر، وهذا ابن خطل قد فرَّ إلى البيت عائذاً به طالباً للأمان تاركاً للقتال

---

١) فتح الباري - ٦٢/٤ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠١).

ملقياً للسلاح حتى يُنظر في أمره، وقد أمر النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بعد علمه بذلك كله أن يُقتل، وليس هذا سنة من يُقتل لمجرد الردة، فثبت أن هذا التغليظ في قتله إنما كان لأجل السب والهجاء، وأن الساب وإن ارتد فليس بمنزلة المرتد المحض بل يُقتل قبل الاستتابة، ولا يُؤخر قتله، وذلك دليل على جواز قتله بعد التوبة"[١]، قلت: وهذا تحريرٌ نفيس للمسألة وقد تبين منه أن موجب إهدار دمه كان السب دون غيره من موجبات القتل، وهوا المطلوب.

٤. **حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما** :"أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وتشتمه، فأخذ المغول[٢] فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فجمع الناس فقال: أنشد اللّٰه رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام. فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال: يا رسول اللّٰه أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جَعَلَت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : "ألا اشهدوا أن دمها هدر"[٣]، قال الشيخ العظيم آبادي :"وفيه دليل على أن الذمي إذا لم يكف لسانه عن اللّٰه ورسوله فلا ذمة له فيحل قتله، قاله السندي"[٤]. **وقال ابن تيمية رحمه اللّٰه**:"وهذه المرأة إما أن تكون كانت زوجة لهذا الرجل أو مملوكةً له، وعلى التقديرين فلو لم يكن قتلها جائزاً لبيَّن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم له أن قتلها كان محرماً، وأن دمها كان معصوماً، ولأوجب عليه الكفارة بقتل المعصوم والدية إن لم

---

١] الصارم المسلول - ٢٦٥/٢- ٢٦٦ بتصرف يسير.
٢] المغول سيف قصير ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٢).
٣] سنن أبي داود - ١٢٩/٤ وسكت عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (٣٩٤/٤)، والنسائي في الكبرى ( ٣٠٤/٢)، والبيهقي في الكبرى (٦٠/٧).
٤] عون المعبود شرح سنن أبي داود - العظيم آبادي - ١١/١٢.

تكن مملوكةً له. فلما قال: اشهدوا أن دمها هدر والهدر الذي لا يُضمن بقَوَد[١] ولا دية ولا كفارة، عُلم أنه - أي قتلها - كان مباحاً مع كونها كانت ذمية، فعُلم أن السبَّ أباح دمها لا سيما والنبي صلى اللّه عليه وسلم إنما أهدر دمها عقب إخباره بأنها قُتلت لأجل السب، فعُلم أنه الموجب لذلك والقصة ظاهرة الدلالة في ذلك"[٢]. قلت: نعم، القصة ظاهرة الدلالة على ذلك لمن أراد أن يصدر عن سنة المعصوم صلى اللّه عليه وسلم، أما من أراد أن يصدر عن داعية هواه ويسير وراء عقله المزعوم ومبتغاه، يداهن ويماري ويختلق الشبه والأعذار فما تغن النذر والآيات عن هؤلاء شيئاً واللّه المستعان.

٥. **حديث الشعبي عن علي رضي اللّه عنه**:" أن يهودية كانت تشتم النبي صلى اللّه عليه وسلم وتقع فيه، فخنقها رجلٌ حتى ماتت، فأبطل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم دمها"[٣]، أي أهدره، قال الإمام الشوكاني رحمه اللّه :"وفي حديث ابن عباس - وهو المتقدم معنا - وحديث الشعبي دليلٌ على أنه يُقتل مَن شتم النبي صلى اللّه عليه وسلم، وقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سب النبي صلى اللّه عليه وسلم صريحاً وجب قتله"[٤]. وسواء أكانت القصة في هذين الحديثين نفسها أم لا فالدلالة منهما واضحة على إهدار دم شاتم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

٦. أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم في فتح مكة بقتل أفراد بعينهم مع كفه عمن سواهم كما روى البيهقي في الحديث وفيه :"وأمرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يكفوا أيديهم فلا يقاتلوا أحداً إلا مَن قاتلهم، وأمر بقتل أربعة نفر منهم: عبد اللّه بن سعد بن

---

١] القود : القصاص من القاتل في القتل بشروطه.
٢] الصارم المسلول - ١٤٥/٢، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٤).
٣) سنن أبي داود (١٢٩/٤) وسكت عنه، وأخرجه الضياء في المختارة وقال إسناده منقطع،(١٦٩/٢)، قلت: يريد الخلاف في سماع الشعبي من أمير المؤمنين علي ، وعلى فرض عدم السماع فإن الشعبي صحيح المراسيل عند المحدثين، قال ابن تيمية :"ثم إن كان فيه إرسالاً لأن الشعبي يبعد سماعه من علي فهو حجة وفاقاً، لأن الشعبي عندهم صحيح المراسيل، لايعرفون له مرسلاً إلا صحيحاً ، ثم هو من أعلم الناس بحديث علي وأعلمهم بثقات أصحابه (الصارم المسلول - ١٢٧/٢)، وحديث ابن عباس المتقدم شاهد قوي لصحة هذاالمرسل على فرض الإرسال. وأخرج هذا الحديث البيهقي في الكبرى (٦٠/٧)، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٣).
٤] نيل الأوطار - الشوكاني - ٣٨٠/٧.

أبي سرح، والحارث بن نقيذ، وابن خطل ومقيس بن صبابة، وأمر بقتل قينتين[١] لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢] ثم قُتلت إحدى القينتين واستخفت الأخرى حتى استؤمن لها[٣]، قال ابن تيمية رحمه الله:"فوجه الدلالة أن تعمُّدَ قتل المرأة لمجرد الكفر الأصلي لا يجوز بالإجماع وقد استفاضت بذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، ثم قال :"إذا تقرر هذا فنقول: هؤلاء النسوة كن معصومات بالأنوثة، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتلهن لمجرد أنهن كنَّ يهجينه وهنَّ في دار حرب، فعُلم أن مَن هجاه وسبَّه جاز قتلُه بكل حال"[٤]، قلت: هذا الدليل من الأهمية بمكان لانطباق كافة أوصاف المعيَّن فيه على كثير ممن يشتمون النبي صلى الله عليه وسلم اليوم ممن هم في بلاد الكفر كأوروبا وأمريكا الشمالية وغيرها من الدول الصليبية، فأهل هذه الدول كفار محاربون في دار الحرب تماماً كما كان حال هاتين القينتين، ثم إن مَن كان من الشاتمين اليوم من الكفار المحاربين امرأة فدخولها في الحديث واضح لا إشكال فيه حيث انطبقت كل الصفات، ومَن كان رجلاً فمن باب أَولى لأن الذكورة ليست عاصمة لدم الكافر الحربي، فاستقام انطباق هذا الدليل على طائفة كبيرة من أكابر مجرمي هذه الدول الصليبية الكافرة التي يتطاول بعض أفرادها بسب النبي صلى الله عليه وسلم ويسكت الآخرون إما سكوت تقرير أو سكوت تبرير، فيما تستمر استجداءات بعض البيانات الإعلامية الهزيلة لبعض المسلمين يحسبون أنهم ينتصرون بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما بيننا وبين الانتصار له حقيقةً إلا استنهاض الهمة تحريضاً على الظفر بهؤلاء المجرمين، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتتبع هاتين المجرمتين ولو كنَّ في حرم مكة شرفها الله، ثم إنزال حكم الله تعالى فيهن بعد الظفر بهن، وكذلك يجب السعي للظفر بكل مجرم دنيء يتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُقام فيه حد الله تعالى أعني القتل لا غيره **والله الموفق وله الحمد على ما هدانا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.**

---

١] القينة : الغانية ، والجارية تتخذ للغناء.
٢) سنن البيهقي الكبرى - ١٢٠/٩.
٣] دلائل النبوة - البيهقي - ٤١/٥.
٤] الصارم المسلول - ٢٥٣/٢، ٢٦٠ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٥).

لفك. قال: وأيضاً، والله لتملُّنَّه. قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء.

٧. **حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما يقول**:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فائذن لي أن أقول شيئاً. قال: قل. فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل[١] قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا[٢] وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً، والله لتملُّنَّه. قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً[٣] أو وسقين. – وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقاً أو وسقين فقلت له: فيه وسقاً أو وسقين؟ فقال: أرى فيه وسقاً أو وسقين[٤]– فقال: نعم ارهنوني. قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسبُّ أحدهم فيقال رُهن بوسق أو وسقين هذا عارٌ علينا، ولكنا نرهنك اللأمة – قال سفيان: يعني السلاح – فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة – وهو أخو كعب من الرضاعة– فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة – وقال غير عمرو: قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة– إن الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب. قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين – قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم. قال عمرو: جاء معه برجلين وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر – قال عمرو: جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قائلٌ بشعره فأشمه[٥]، فإذا

---

١) يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا القول من الصحابي لكعب بن الأشرف على وجه الحيلة وهو القول الذي استأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتال به ليصل إلى كعب بن الأشرف ويتمكن منه كما سيأتي في باقي الحديث.

٢) عنانا: أي أثقل علينا وأتعبنا.

٣) الوسق ستون صاعاً، والصاع من المكاييل.

٤] هذه الجملة معترضة من التعدد في أوجه الرواية ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٧).

٥] أي آخذ بشعر رأسه كأني أريد شم طيبه.

رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، - وقال مرة ثم أشمكم- فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب - وقال غير عمرو قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب - قال عمرو: فقال:أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه ، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه"[١]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:"وروى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف كان شاعراً وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش"[٢]، قلت: فهذا صريح في أنه كان يسب ويهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجه الدلالة من هذا الحديث من وجوه، (**أولها**) أن النبي صلى الله عليه وسلم ندب إلى قتل من يؤذيه والأذى كما بينت باقي الروايات وكما هو معروف مستفيض في قصة كعب بن الأشرف كان بالسب والشتم والهجاء، و(**منها**) أن كعب بن الأشرف كان معاهداً ذمياً ومع ذلك ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتله دون أن ينبذ إليه عهده، فدل على أن مجرد السب والشتم والهجاء ناقض للأمان، و(**منها**) أن الصحابة احتالوا عليه لقتله وأوهموه الأمان حتى استمكنوا منه، فدل على أن قتله ليس لمجرد الكفر لأن الكفار لا بد من أن يُعرض عليهم الإسلام قبل القتال والقتل، قال ابن تيمية رحمه الله:"الوجه الثاني من الاستدلال به أن النفر الخمسة الذين قتلوه من المسلمين؛ محمد بن مسلمة، وأبا نائله وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبا عبس بن جبر قد أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتالوه ويخدعوه بكلامٍ يُظهرون به أنهم قد أمنوه ووافقوه ثم يقتلوه، ومن المعلوم أن من أظهر لكافر أماناً لم يجز قتله بعد ذلك لأجل الكفر، بل لو اعتقد الكافر الحربي أن المسلم أمَّنه وكلمه على ذلك صار مستأمناً"[٣]، ثم قال رحمه الله:"وإنما قتلوه لأجل هجائه وأذاه لله ورسوله، ومَن حَلَّ قتلُه بهذا الوجه لم يُعصم دمُه

١] صحيح البخاري - ١٤٨١/٤.
٢] فتح الباري- ٣٣٧/٧.
٣] الصارم المسلول - ١٧٩/٢-١٨٠ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٠٩).

بأمان ولا بعهد، كما لو أمَّن المسلمُ مَن وجب قتله لأجل قطع الطريق ومحاربة الله ورسوله والسعي في الأرض بالفساد الموجب للقتل، أو أمَّن مَن وجب قتله لأجل زِناه أو أمَّن مَن وجب قتله لأجل الردة أو لأجل ترك أركان الاسلام ونحو ذلك، ولا يجوز أن يُعقد له عقد عهدٍ سواء كان عقد أمان أو عقد هدنة أو عقد ذمة، لأن قتله حدٌّ من الحدود وليس قتله لمجرد كونه كافراً حربياً[١]، قلت: وهذه القصة من الوضوح بمكان وإنما عرضنا بعض هذه الوجوه لتحرير صفات المجرم الساب وليُعلم تناول الحكم من هذه صفته ممن قد يشتبه على البعض أن له عصمة أو أمان يقيه القتل **والله الموفق**.

٨. **عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال**:"بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعينُ عليه، وكان في حصنٍ له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلقٌ ومتلطفٌ للبوّاب لعلّي أن أدخل. فأقبلَ حتى دنا من الباب، ثم تقنع[٢] بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلتُ فكمنتُ، فلما دخل الناس أغلقَ الباب ثم علّق الأغاليق[٣] على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سَمَرِه صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ مِن داخل، قلت: إنِ القوم نُذِرُوا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع! قال: مَن هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربةً أثخنته ولم أقتله، ثم

---

[١]) الصارم المسلول - ٢/ ١٨٢.
[٢] تقنع :أي تغطى.
[٣] الأغاليق: المفاتيح ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٠).

وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته. فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال:ابسط رجلك، فبسطت رجلي، فمسحها فكأنها لم أشتكها قط"[١]، وفي هذا الحديث الصحيح جملة نافعة من الفوائد جمعها الحافظ ابن حجر ولمعظمها تعلق بمسألتنا مع دخول مسألتنا في جملة هذه الفوائد حيث قال رحمه الله:"وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصرّ، وقتلِ من أعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده - يعني بمقاتلته - أو ماله - يعني بدعم من يحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لسانه - يعني بالسب والأذى والتحريض ونحوه ، وجواز التجسيس على أهل الحرب، وتطلُّب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرُّض القليل من المسلمين للكثير من المشركين، حيث أرسل سرية من نفر يسير إلى حصن من حصون الكفار، والحكم بالدليل والعلامة حيث استدل ابن عتيك على أبي رافع بصوته، واعتمد على صوت الناعي بموته والله أعلم"[٢]. قال ابن تيمية رحمه الله : " فقد تبين من هذه القصة أنما تسرى المسلمون بقتله بإذن النبي صلى الله عليه وسلم، بسبب أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاداته له، وأنه كان نظير ابن الأشرف وقد تقدمت قصته، لكن ابن الأشرف كان معاهداً فآذى اللهَ ورسولهَ فندب المسلمين إلى قتله، وهذا لم يكن معاهداً. فهذه الأحاديث كلها تدل على أن من كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذيه من الكفار، فإنه كان يقصد قتلَه ويحض عليه لأجل ذلك، وكذلك أصحابه يفعلون ذلك بأمره، مع كفِّه عن غيره من الكفار ممن هو على مثل حاله في أنه كافرٌ غير معاهد،

---

[١] صحيح البخاري - ١٤٨٢/٤-١٤٨٣.
[٢] فتح الباري - ٣٤٥/٧ بتصرف.

بل مع أمانه لأولئك الكفار غير السابين ولا الشاتمين أو إحسانه إليهم من غير عهدٍ بينه وبينهم"[١]، قلت: أي أن سيرة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم مع الكفار حتى الحربيين منهم غير المؤذين باللسان والسب والشتم والتحريض كانت سيرة معاملة بإحسان ولو لم يكن بينه وبينهم عهد فعُلم أن معاملة القتل وإرسال السرايا وراء أمثال أبي رافع إنما كان لمعنى زائد عن الكفر وهو أذية رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، وهو المطلوب.

٩. **قصة قتل أبي عفك اليهودي**: روى ابن سعد رحمه اللّٰه في طبقاته :"ثم سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي عفك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجر رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يهودياً وكان يحرِّض على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ويقول الشعر. فقال سالم بن عمير – وهو أحد البكائين وقد شهد بدراً – : عليَّ نذرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل يطلب له غرة، حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عفك بالفناء وعلم به سالم بن عمير، فأقبل فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، وصاح عدو اللّٰه فثاب إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه"[٢]، فهذا آخرٌ ممن كان يؤذي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بالشعر والهجاء ويحرض عليه، قد نذر أحد الصحابة قتله وفعل ذلك من غير نكير من اللّٰه سبحانه وتعالى[٣] ولا من رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، فدل على أن شاتم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لا إيمان له ولا أمان وإنما له السيف يقتل مهدور الدم كما تقتل البهائم، بل إن البهائم فيها ضمان القيمة على من أتلفها وليس على قاتل مثل هذا المجرم شيء، فتأمل.

١٠. **عن أنسٍ أن رجلاً كان** يُتهم بأم ولد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لعلي:" اذهب فاضرب عنقه. فأتاه علي فإذا هو في ركي

---

١] الصارم المسلول - ٢/٢٩٥-٢٩٦ بتصرف يسير ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١١).
٢] الطبقات الكبرى - ابن سعد - ٢/٢٨ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٢).
٣] هذا على فرض أن نذره لم يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى يعلمه فلما سكت الوحي عن نذره وعن فعله كان إقراراً عليه، وهذا المسلك خاص بالصحابة زمن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل انقطاع الوحي كما لا يخفى.

يتبرد فيها، فقال له علي: اخرج، فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوبٌ ليس له ذَكَر فكفَّ علي عنه، ثم أتى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال: يا رسول اللّٰه، إنه لمجبوبٌ ما له ذَكَر"[١]، قال أبو محمد ابن حزم الظاهري رحمه اللّٰه:" هذا خبرٌ صحيح، وفيه أن من آذى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وجبَ قتلُه، وإن كان لو فعل ذلك برجل من المسلمين لم يجب بذلك قتله"[٢]. وقد كان الصحابة رضوان اللّٰه عليهم يعملون بهذا التحريم، كما قال ابن تيمية رحمه اللّٰه:"ويدل على ذلك أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم تزوج قيلة بنت قيس بن معدي كرب أخت الأشعث ومات قبل أن يدخل بها وقبل أن تقدم عليه، وقيل أنه خيرها بين أن يضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين، وبين أن يطلقها فتنكح من شاءت فاختارت النكاح، قالوا: فلما مات النبي صلى اللّٰه عليه وسلم تزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فبلغ أبا بكر فقال: لقد هممت أن أحرق عليهما بيتهما. فقال عمر: ما هي من أمهات المؤمنين ولا دخل بها ولا ضرب عليها الحجاب، وقيل إنها ارتدت فاحتج عمر على أبي بكر أنها ليست من أزواج النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بارتدادها[٣]. فوجه الدلالة أن الصدِّيق رضى اللّٰه عنه عزم على تحريقها وتحريق من تزوجها لما رأى أنها من أزواج النبي صلى اللّٰه عليه وسلم حتى ناظره عمر أنها ليست من أزواجه فكف عنهما لذلك، فعُلم أنهم - أي الصحابة - كانوا يرون قتل من استحل حرمة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم"[٤]. قلت: فإذا كانوا يرون هذا فيمن نكح أحد أزواجه صلى اللّٰه عليه وسلم وهذا مما يجوز معاملة المسلمين بعضهم بعضاً به لكن حرمه اللّٰه تعالى عليهم مع أزواج النبي صلى اللّٰه عليه وسلم حرمة له كما تقدم، فكيف بمن سبه وآذاه وشتمه وتنقصه وطعن في عرضه ونسبه إلى الكذب أو الشر أو الفحش حاشاه بأبي وأمي هو صلوات اللّٰه وسلامه عليه، أليس القتل والتحريق لهؤلاء المجرمين بالجزاء المناسب لهم في الدنيا، ونكلهم إلى عذاب اللّٰه في الآخرة.

---

١) صحيح مسلم - ٢١٣٩/٤،وأم الولد : السرية توطأ وتلد لسيدها، والركي: البئر، والمجبوب: من ليس له ذَكَر.

٢] المحلى - ابن حزم - ٤١٣/١١.

٣] وأخرج القصة ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة (٨٨/٨)

٤] الصارم المسلول - ١٢٣/٢-١٢٤ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٣)

**فهــذه عشــرة أحاديــث** وآثار ما بين صحيح وحسن يدل كل منها منفرداً على حكم ساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بها مجتمعة، وكيف بها منضمة إلى ما تقدم من آياتٍ قرآنية لاتدع مجالاً لريبة أو شك إلا عند من تمكنت الريبة والشك من قلبه فهو أشبه بمريض أعضل مرضه فبات مستعصياً على الدواء، لا لعلةٍ في الدواء وإنما لفسادٍ في نفسه وخبثٍ في سريرته نسأل الله السلامة والعافية من ذلك كله. هذا مع العلم بأن السنة لا تزال طافحة بعشرات الأمثلة من جنس ما قدمنا، غير أني اقتصرت على المذكور بغية الاكتفاء بما لا مقال في ثبوته من جهة السند ولا غموض في دلالته من جهة المتن، واجتناباً للتطويل حيث وضعنا هذا الكتاب على الاختصار كما بينا. وأشير إلى أن من أراد تفصيلاً زائداً عما قدمنا بالنسبة للأحاديث أو أوجه الدلالة منها أو رد شبهات مثارة عليها فليعد إلى كتاب الصارم المسلول فإنه لم يترك شاردة ولا واردة مما ذكرنا، وهو أليق بطالب العلم الذي يهتم بوجوه الاستدلال والاستنباط ونحوها، فليرجع إليه من احتاج، والله الموفق. (١)

## ثالثاً: دليل الإجماع على انتقاض إيمان وأمان الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوب قتله:

لقد دل دليل الإجماع أيضاً على أن ساب الرسول صلى الله عليه وسلم حلال الدم لا إيمان له ولا أمان، ولئن كان الإجماع المنضبط هو إجماع عصر الصحابة رضوان الله عليهم، فحسبنا به إجماعاً في مسألتنا هذه، فهم أعلم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرص على حبه وأصدق في تفديته بالأرواح والأهلون والعشائر والأوطان. **وفيما يلي بعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة:**

١. **قال القاضي عياض رحمه الله تعالى**:"اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرَّض به، أو شبَّهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له، فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم السابِّ ؛ يُقتل على ما نبينه، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا

---

١) إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٤).

المقصد، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً. وكذلك مَن لعنه أو دعا عليه أو تمنى له مضرة، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسُخفٍ من الكلام وهُجر، ومنكر من القول وزور، أو عيَّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماعٌ من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا"[١].

٢. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله** :"والدلالة على انتقاض عهد الذمي بسب الله أو كتابه أو دينه أو رسوله ووجوب قتله، وقتل المسلم إذا أتى ذلك الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين والاعتبار".[٢]، فذكر رحمه الله إجماع الصحابة والتابعين على هذه المسألة.

٣. **قال ابن حزم الظاهري رحمه الله**:" فصح بهذا أن كل من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافرٌ مرتدٌ يُقتل ولا بد، وبالله تعالى التوفيق"[٣].

٤. **قال ابن المنذر رحمه الله** :" وأجمعوا على أن على من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل"[٤].

٥. **قال ابن عبد البر رحمه الله**:" وقد روي عن ابن عمر أنه قيل له في راهبٍ سب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لو سمعته لقتلته. ولا مخالف له من الصحابة علمته"[٥]، فهذا حكاية إجماع الصحابة على قتل الساب للنبي صلى الله عليه وسلم.وقال رحمه الله أيضاً:"وقد أجمع العلماء أن من سب الله عزوجل أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئاً أنزله الله أو قتل نبياً من أنبياء الله وهو مع ذلك مقرٌ بما أنزل الله أنه كافر"[٦].

---

١] الشفا - ٤٢٨/٢.
٢] الصارم المسلول - ٣٢/٢.
٣] المحلى - ابن حزم - ٤١٤/١١ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٥).
٤] الإجماع - ابن المنذر - مسألة رقم ٧٢٠.
٥] التمهيد - ابن عبد البر - ١٦٨/٦.
٦] التمهيد - ٢٢٦/٤ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٦).

**ونقل عن غيرهم من العلماء ذلك**، ومن الجدير بالذكر أن الإجماع المقصود هنا هو إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، ثم نُقل خلافٌ بين الفقهاء يتعلق بالذمي وهو خلافٌ يعود إلى مسألة انتقاض العهد وموجبات ذلك، مع ملاحظة اتفاق الجميع على انتقاض العهد، ولقد قدمنا من الآيات والأحاديث ما فيه غنية ومستند لما قرره العلماء من انتقاض إيمان وأمان من سب النبي صلى الله عليه وسلم وإهدار دمه والحض على قتله بما أغنى عن الإعادة، ثم عندما تقوم دولة الإسلام من جديد وتتمحض لنا فئة أهل الذمة بالوصف الشرعي الصحيح فيمكن النظر في تعدد أقوال العلماء في موجبات انتقاض عهد الذمي بالسب وهل يُقتل حداً أو تعزيراً على تفصيل مبسوط في مظانه من كتب الفقه، أما وحالنا اليوم حال الفسطاطين؛ فسطاط المسلمين وفسطاط الكافرين فلسنا ممن يتوقف في حكم الكافر الحربي الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم في أمثال هؤلاء المجرمين، والله الموفق.

**وبهذا يكون قد اجتمع بفضل الله تعالى** ومنته دليل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين على أن من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي نوع من أنواع السب والشتم والأذى المعنوي فإنه كافرٌ لا إيمان له ولا أمان وهو حلال الدم مهدره والشريعة تحرض على قتله والسنة دالة على جواز تعرض الفئة القليلة من المسلمين للفئة الكبيرة من الكافرين تحصيلاً للظفر بالساب وقتله والوصول إليه بكل حيلة، وهذا ما ندين لله تعالى به ونراه حقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم علينا، والله أعلم.

**المطلب الثاني** : بيان الأدلة على تعيُّن قتل الساب وعدم صلاح أية عقوبة أُخرى معه:

**لقد تبين مما تقدم أمران ؛ أحدهما أن** ساب النبي صلى الله عليه وسلم كافرٌ لا إيمان له ولا أمان بغض النظر عن حاله قبل وقوع السب مسلماً كان أم ذمياً أم مستأمناً أم حربياً، فقد صار حاله بعد السب حالاً واحداً وهو الكفر وانتقاض الأمن والإيمان **وثانيهما** إهدار دمه عقوبةً له على هذه الجريمة. ولما كان حكم الإمام المسلم في الكافر التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء، كما كان حال المرتد المبدِّل لدينه المفارق للجماعة الاستتابة قبل القتل كان من المهم بيان عدم تناول هذه الخيارات للساب وذلك لعظم جريمته كما تقدم. ونبين هنا أن القتل هو العقوبة الوحيدة المناسبة والمتعينة

على ساب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نتكلم في المطلب الثالث عن حكم استتابة وتوبة الساب بإذن الله .(١)

**ولقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية على** مسألة تعيُّن قتل الذمي الساب فأجاد وأفاد رحمه الله، ونحن لن نفصل كثيراً في دقائق أحكام أهل الذمة وتعدد أقوال الفقهاء فيهم فإن ذلك مبسوط في مظانه، ولكن نتكلم إن شاء الله على الأدلة التي تحتم قتل الساب وعدم مناسبة غيره من العقوبات كالجلد أو الاسترقاق وعدم جواز غير ذلك من التصرفات الجائزة للإمام المسلم مع الأسرى الكفار غير السابين والشاتمين للنبي صلى الله عليه وسلم كالمن والفداء، وأنبه هنا على أن الخلاف بين الفقهاء خلاف متأخر عن عصر الصحابة كما قدمنا في مبحث الإجماع، كما أنه خلاف حول تحتم القتل لا حول جواز القتل فلينتبه إلى هذا الفارق حتى لا يظن ظان أن ثمة خلاف في جواز قتل الساب وإهدار دمه كما تقدم من أدلة القرآن والسنة.

## أدلة تحتم قتل الساب وتعيُّن هذه العقوبة:

إن كل ما نذكره في هذا الموضع من الأدلة أو من وجوه الاستدلال على المطلوب فهو بالإضافة إلى الأدلة المتقدمة في المطلب الأول، حيث إن الأدلة المتقدمة كلها تفيد الدلالة على المطلوب لمن تأملها جيداً، **ونزيدها بما يلي** :

**١. قول الله تعالى:**

" أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ ..." [التوبة : ١٤ – ١٥ ]

**وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الآية فقال:** "والتعذيب بأيدينا هو القتل، فيكون الناكث الطاعن مستحقاً للقتل، والسابُّ لرسول الله

---

١) إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١١٧).

صلى الله عليه وسلم ناكثٌ طاعنٌ كما تقدم فيستحق القتل. ولقد أهدر النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح دم الذين باشروا هجاءه ولم يُهدر دم الذين سمعوا الهجاء، وهذا يدل على أن موجب هدر الدم أمر زائد على مجرد الكفر وهو هنا سب الرسول صلى الله عليه وسلم.

**وقوله تعالى :**

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾

دليلٌ على أن شفاء الصدور من ألم النكث والطعن، وذهاب الغيظ الحاصل في صدور المؤمنين من أثر الطعن أمرٌ مقصودٌ للشارع مطلوب الحصول، ولا ريب أن من أظهر سب الرسول صلى الله عليه وسلم مِن أهل الذمة وشتمه فإنه يغيظ المؤمنين ويؤلمهم أكثر مما لو سفك دماءَ بعضهم وأخذ أموالهم، فإن هذا يثير الغضب لله والحمية له ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا القدر لا يهيج في قلب المؤمن غيظاً أعظم منه، فالمؤمن المسدَد لايغضب هذا الغضب إلا لله، والشارع يطلب شفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم وهذا إنما يحصل بقتل الساب **لأوجه (أحدها) أن** مجرد تعزيره وتأديبه بغير القتل يُذهب غيظ قلوبهم إذا شتم واحداً من المسلمين أو فعل نحو ذلك، فلو أذهب غيظ قلوبهم في حال شتم الرسول صلى الله عليه وسلم لكان غيظهم من شتمه مثل غيظهم من شتم واحد منهم وهذا باطل، فلا بد أن تكون عقوبة ساب الرسول صلى الله عليه وسلم فوق التعزير وهذه العقوبة هي القتل، **و(الثاني) أن** شتمه أعظم عندهم من أن يُؤخذ بعض دمائهم، ثم لو قتل الذمي واحداً منهم لم يشف صدورهم إلا قتله، فأن لا تشفى صدورهم إلا بقتل ساب الرسول صلى الله عليه وسلم أولى وأحرى، وإلا لم يكن سب الرسول صلى الله عليه وسلم أشد علينا من قتل بعضنا، **و(الثالث)** أن الله تعالى جعل قتالهم هو السبب في حصول الشفاء والأصل عدمُ سببٍ آخر يحصله، فيجب أن يكون القتل والقتال هو الشافي لصدور المؤمنين من مثل هذا، **و(الرابع)** أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فُتحت مكة وأراد أن يشفي صدور خزاعة - وهم القوم المؤمنين- من بني بكر الذين قاتلوهم ونكثوا العهد معهم مكَّنهم منهم نصف النهار أو أكثر مع أمانه لسائر الناس، فلو كان شفاء صدورهم وذهاب غيظ قلوبهم يحصل بدون القتل للذين نكثوا وطعنوا لما فعل ذلك مع أمانه للناس، فدل على أن شفاء الصدور وذهاب

غيظ القلوب من نكث العهد وما هو أشد منه كسَبِّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يحصل إلا بقتل الناكث الطاعن الساب، وهو المطلوب"[١]، قلت: هذا الذي حرره ابن تيمية في غاية الحسن، وهو الذي يجده سليم الفطرة وسليم القلب وهو أنه لا يذهب غيظ قلبه عند سماع نبأ الشاتم إلا بقتل الشاتم ، وهذا يعرفه أحدنا لأنه أول ما يتمناه أن يمكنه الله من الشاتم للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتله، ومن لم يجد هذا في نفسه فليبكِ على نفسه أو ليجد لنفسه متبوعاً آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، نسأل الله السلامة والعافية من ذلك.

**٢. قول الله تعالى:**

"إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ " [الكوثر: ٣]

**قال الإمام الطبري رحمه الله بعد ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية**:"وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذِكره أخبر أن مُبغضَ رسول الله هو الأقل الأذل المنقطع عقبُه، فذلك صفة كلِ من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه"[٢]، قلت: فمن كان بغضه مستوراً مبطناً عامله الله بذلك وعاملناه بظاهره، ومن أظهر بغضه للنبي صلى الله عليه وسلم وشنآنه كأن يسبه أو يشتمه عاملناه بذلك، وتعاطينا أسباب بتره وقطع عقبه حساً ومعنى، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالقتل، قال ابن تيمية رحمه الله:"فأخبر سبحانه أن شانئه هو الأبتر؛ والبتر القطع يقال: بتر يبتر بتراً، وسيفٌ بتار إذا كان قاطعاً ماضياً، ومنه في الاشتقاق الأكبر تبَّره تتبيراً إذا أهلكه، والتبار الهلاك والخسران. وبيَّن سبحانه أنه هو - أي المبغض للنبي صلى الله عليه وسلم - الأبتر بصيغة الحصر والتوكيد، لأنهم قالوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم ينقطع ذِكره لأنه لا ولد له، فبيَّن الله أن الذي يشنأه هو الأبتر لا هو، والشنآن منه ما هو باطن في القلب لم يظهر، ومنه ما يظهر على اللسان وهو أعظم الشنآن وأشده، وكل جرمٍ استحق فاعله عقوبةً من الله، إذا أظهر ذلك الجرم عندنا وجب أن نعاقبه ونقيم عليه حد الله، فيجب أن نبتر مَن أظهر شنآنه وأبدى عداوته، وإذا كان ذلك واجباً وجب قتله

---

١] الصارم المسلول - ٢/٤٤-٤٨ باختصار وتصرف ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٢٠).
٢] تفسير الطبري - ٣٠/٣٣٠.

وإن اظهر التوبة بعد القدرة، وإلا لما انبتر له شانيء بأيدينا في غالب الأمر لأنه لا يشاء شانئ أن يظهر شنآنه ثم يظهر المتاب بعد رؤية السيف إلا فعل، فإن ذلك سهل على من يخاف السيف"[١]، قلت: وهذا لا يحتاج إلى مزيد بيان فالبتر القطع، فمن أظهر لنا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشتمه وسبه بترناه وقطعنا ذكره وطمسنا سيرته بأيدينا والحمد لله.

**٣. قوله تعالى:**

"وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ " [التوبة: ١٢]

**قال القاضي عياض رحمه الله** :" واستدل بعض شيوخنا على قتله – أي الذمي الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم – بقوله تعالى:"وإن نكثوا أيمانهم " وذكر الآية ثم قال رحمه الله :"وأيضاً فإن ذمتهم لا تُسقط حدود الإسلام عنهم، من القطع في سرقة أموالهم، والقتل لمن قتلوه منهم، وإن كان ذلك حلالاً عندهم، فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يُقتلون به"[٢]، وقال ابن تيمية رحمه الله:"إن الذمي إذا سب الرسول أو سب الله أو عاب الإسلام علانية فقد نكث يمينه وطعن في ديننا، لأنه لا خلاف بين المسلمين أنه يُعاقَب على ذلك ويؤدب عليه، فعُلم أنه لم يعاهَد عليه، لأنا لو عاهدنه عليه ثم فعله لم تجز عقوبته عليه، وإذا كنا قد عاهدناه على أن لا يطعن في ديننا ثم طعن في ديننا، فقد نكث في يمينه من بعد عهده وطعن في ديننا فيجب قتله بنص الآية"[٣]. **وقال رحمه الله** :"وأما من طعن في الدين فإنه يتعين قتاله، وهذه كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يهدر دماء من آذى الله ورسوله وطعن في الدين وإن أمسك عن غيره"[٤]. فهؤلاء المجرمون ليس حالهم كحال الكافر الحربي الذي تجرد عن الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وسبه، وقد تقدم تقرير ذلك، وعُلم أن هذا القدر الزائد على مجرد الكفر أعني السب والشتم والتنقص من مقام النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي

---

١] الصارم المسلول - ٨٦٢/٣-٨٦٣ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٢١).
٢] الشفا - ٤٦٢/٢ .
٣] الصارم المسلول - ٣٨/٢.
٤] الصارم المسلول - ٣٦/٢ ، إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٢٢).

لأجله أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماء من قارف ذلك مع كونهم متلبسين بموجبات أخرى للقتل، وهذا الطعن هو الذي جعل هؤلاء أئمة في الكفر، بحيث حثَّت الآية هنا على قتلهم خصوصاً مما يشعر بقدر جناياتهم الزائد على مجرد الكفر، وهذا كله واضح بحمد الله وتوفيقه.

٤. **قوله تعالى** :

" وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ..." [البقرة : ١٩٣ ]

**ووجه الدلالة أن** إعلاء كلمة الله وتطهير الأرض من الطاعنين في دينه ورسوله مطلوبٌ شرعاً كما بينت الآية، وهذا المطلوب متعذرٌ بغير قتل الساب. وتحقيق ذلك كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية:" أن تطهير الأرض من إظهار سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبٌ حسب الإمكان، لأنه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمة الله وكون الدين كله لله، فحيث ما ظهر سبُّه ولم يُنتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهراً ولا كلمة الله عالية بخلاف تطهيرها من أصل الكفر فإنه ليس بواجب لجواز إقرار أهل الكتابين على دينهم بالذمة؛ لأن إقرارهم بالذمة ملتزمين بجريان حكم الله ورسوله عليهم لا ينافي إظهار الدين وعلو الكلمة، بل هو من ظهور الدين وإعلائه لأنهم يقَرُّون على دينهم بالذمة صاغرين منقادين لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خلافاً للساب"[١].

٥. **الأحاديث المتقدمة التي قتلت فيها نساء كافرات بسبب السب مع أن الكافرة لا يحل قتلها لمجرد كفرها**: وقد تقدم حديث قتل الأعمى لأم ولده لأنها شتمت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم أهدر دمها، وكذلك أمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل القينتين اللتين كانت تغنيان بهجائه، وهذه الأحاديث من أقوى الأدلة على أن تعين القتل هو لخصوص السب والشتم، فإن المرأة الكافرة لا يجوز قتلها فهي معصومة بالأنوثة[٢]، فلما أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماء هؤلاء النسوة وحث على قتلهن تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن سب النبي صلى الله عليه وسلم هو وحده السبب المتمحض لقتل هؤلاء النسوة لا مجرد الكفر فتأمل هذا فهو عظيمٌ في بابه.

---

١] الصارم المسلول - ٥٣٩/٢ بتصرف.

٢] وتأمل هذا الحكم الشرعي الذي جعل الأنوثة عصمة للنساء الكافرات من القتل ثم تأمل في التصرفات الهمجية .للدول الصليبية والملحدة التي تنادي بحقوق المرأة وهي تنتهك دماء وأعراض النساء ليل نهار في بلادها وفي بلادنا، ثم تأمل في تلك النساء اللواتي يأبين إلا أن يخلعن ثوب الأنوثة ليكتسين بثوب الرجولة الملعون في حقهن نسأل الله.السلامة والعافية. إسعاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين - (١ / ١٢٣).

٦. **إن سب الرسول صلى الله عليه وسلم أشد من مجرد الردة: ذكر ابن تيمية هذا الدليل فقال:**" إن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه من جنس الكفر والحراب أعظم من مجرد الردة عن الإسلام، فإنه مِن المسلمِ ردةٌ وزيادة كما تقدم تقريره، فإذا كان كفر المرتد قد تغلَّظ لكونه قد خرج عن الدين بعد أن دخل فيه فأوجب القتل عيناً، فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده أَولى أن يتغلَّظ فيوجب القتل عيناً، لأن مفسدة السب في أنواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة. وقد اختلف الناس في قتل المرتدة وإن كان المختار قتلها، ونحن قد قدمنا نصوصاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في قتل السابة الذمية وغير الذمية، والمرتد يستتاب من الردة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قتلوا الساب ولم يستتيبوه، فعُلم أن كفره أغلظ فيكون تعيين قتلِه أولى"[١]. قلت: وهذا قد تقدم تقريره مراراً، ويمكن تخريج هذه المسألة على قاعدة إهدار الضرر الخاص منعاً للضرر العام؛ وتوجيهه أن الكافر المعيَّن إن اقتصر في كفره على ما في باطنه فإنه لا يضر إلا نفسه، أما إن تعدى بكفره الباطن وأظهر الطعن على الدين والسب والشتم للنبي صلى الله عليه وسلم فإن ضرره يتعدى، بسبب ما قد يؤدي إليه سبه للنبي صلى الله عليه وسلم من نفور بعض الناس عن الدين، وتوهم نسبة النقص إليه حاشاه صلى الله عليه وسلم، وهذا إذا حصل فلا شك أنه ضرر عام، وفي الشريعة احتمال الضرر الخاص - وهو هنا قتل الكافر الساب الطاعن على النبي صلى الله عليه وسلم - منعاً للضرر العام وهو إعراض الناس عن دعوته صلى الله عليه وسلم.

**والحقيقة إن** استعراض الأدلة على هذا يطول وفيما ذكرنا مضموماً إلى ما تقدم من أدلة القرآن والسنة والإجماع في المطلب الأول كفاية لمن أراد تعرف الحق، والله الموفق.

**المطلب الثالث** : بيان الأدلة على عدم استتابة ساب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان حكمه إن تاب:تبقى مسألة الاستتابة والتوبة، وبدايةً نبين أن المرتد عموماً يُستتاب وتُقبل توبته من الردة، ويبقى النظر في المرتد الساب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مسألتنا هنا، والمسألة الثانية هي عصمة دم الكافر بإسلامه ويبقى النظر في الساب للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أسلم..

---

١] الصارم المسلول - ٥٣٩/٢.

# عاقبة المستهزئين :

## بنو النضير – عليهم لعنة اللّه

**قال ابن إسحاق** : خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلي بني النضير لستعينهم في دية القبلتين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أعطاهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد حلف فلما أتاهم صلى اللّه عليه وسلم قالوا : نعم ، نعينك يا أبا القاسم على ما أحببت ، فقالوا : أنكم لن تجدوا الرجل على مثله حاله هذه – ورسوله اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلي جنب جدار من بيوتهم قاعد – حَمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه ؟ فأنتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا كذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في نفر من أصحاب فيهم أبو بكر وعمر وعلى فأتي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم وخرج راجعاً إلي المدينة ، فلما استلبث النبي صلى اللّه عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال : رأيته داخلاً المدينة ، فأقبل أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى انتهوا إليه فاخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به **قال الواقدي** : فبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم محمد بين سلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر فقويت عن ذلك نفوسهم ، وحمى حيي بن أخطب ، وبعثوا إلي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنهم لا يخرجون ، ونابزوه بنقض العهود ، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

**قال بن إسحاق** : فسار حتى نزل بهم ، فحاصرهم ست ليال ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول اله صلى اللّه عليه وسلم بالشروع في إتلاف وإحراق اللينة أردأ أنواع نخيل اليهود الذي لا يقتاتون منه ، وهو نوع يخالف العجوة والبرني ، الذي كان الغذاء الرئيسي لأهل المدينة ولم يكد الدخان يتصاعد وفروع هذه النخل تتساقط حتى دخلهم الذعر فنادوا أن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيب من صنعه فما بال النخيل وتحريقها ؟ ! **فأنزل اللّه عز وجل** :

"مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ " ( الحشر:٥ )

ولم يستمر اليهود طويلاً في المقاومة ، فقد خارت قواهم ، إذ لمك يمض على ضرب الحصار أكثر من عشرين يوماً ، حتى بعثوا بمندوبهم إلي النبي صلى الله عليه وسلم للتفاوض ، وكانت نهاية التفاوض اتفاقية الجلاء ، أن يجلو يهود بني النضير عن منطقة يثرب جلاءً تاماً إلي أي مكان يشاؤن .

أن يسلم اليهود للمسلمين كل ما يملكون من سلاح بكافة أنواعه ويكونوا ساعة جلائهم من يثرب مجردين من السلاح تماماً .

لليهود أن يحملوا من أموالهم ما يقدرون على حمله ما عدا السلاح مهما كانت قيمة أو نوع هذا المال .

بعد الذي يقدر اليهود على حمله من المال يكون كل ما تبقي من أموالهم المنقولة وغير المنقولة فيئاً للمسلمين وملكاً من أملاكهم .

أوقر اليهود ستمائة بعير من الأموال التي قدروا على حملها خرجوا كلهم رعب وغيظ ويقول سلام بن أبي الحقيق وقد حمل معه جلد ثور مملوء ذهباً فكان يضرب بيده على هذه الجلد ويقول : هذا الذي أعددناه لرفع الأرض وخفضها وإن كنا تركناه نخلاً ففي خيبر النخل .

وكان اليهود يعمدون فعند مغادرتهم المدينة – إلي سقف بيوتهم وعُمُدها وجدرانها فينفضونها لئلا يستفيد منها المسلمون .

**يقول الله تعالي :**

" هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ " ( الحشر: ٢ )

## أما الذي أراد رمي الحجر :

**فقد ذكر ابن إسحاق** : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لليهودي الذي أسلم – يا مين – أتري ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأني ؟! فجعل يا مين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله ، لعنه الله (١) .

## أبو جهل عليه لعنة الله :

**روي البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال** : إني لفي الصف يوم بدر إذا التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لا أمن لمكانهما ، انتقل لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل . فقلت : يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن اقتله ، أو أموت دونه ، وقال الآخر لي سراً من صاحبه مثله.

**قال** : فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت وليهما إليه فشد عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء .

**وفي الصحيحين أيضاً : من حديث أنس قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ينظر ماذا صنع أبو جهل ؟ " قال ابن مسعود " أنا يا رسول الله فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء ، حتى يرد . قال : فأخذ بلحيته ، قال : فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل قتلتموه ، أو قال : قتله فوق .

**وعند البخاري : عن ابن مسعود** : أنه أتي أبا جهل فقال : هل أخزاك الله ؟ **فقال** : هل أعمد من رجل قتلتموه .

## أبو لهب وامرأته حماله الحطب .

وأبو لهب هذا الذي أفرد الله ذكره من كفار قريش هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزي بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة ، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه ولتلهب وجنتيه ، وكان كنيته من جنس عمله وماله إلي ذات اللهب فوافقت حاله كنيته فحسن ذكره بها ، وامرأته أم جميل واسمها أروي بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان .

---

(١) سيد العفاني ، الجزاء من جنس العمل ، ٣٣٨/١ – ٣٤٠.

ولقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغض له والازدراء به والتنقث له ولدينه .

**روي البخاري عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي صلى اللّه عليه وسلم خرج إلي البطحاء فصعد الجبل فنادي** : " يا صباحاه " فاجتمعت إليه قريش ، فقال : " أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ " **قالوا** : نعم ، قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ بتالك ، فأنز الله : " تبت يدا أبي لهب وتب " رواه البخاري .

ولما أجمع بنو هاشم بقيادة أبي لهب على حماية النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكونوا على دينه بدافع العصبية القبلية ، خرج أبو لهب على إخوته وحالف عليهم قريشاً ، وكان معهم في الصحيفة التي كتبوها بمقاطعة بني هاشم وتجويعهم كي يسلموا لهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وكان قد خطب بنتي الرسول صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم لولديه قبل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما حتى ينقل كاهل محمد بهما !

**وعن عطاء** : حينما مات ابن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب أبو لهب إلي المشركين وقال : بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك :

" إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ "

**قال ابن كثير** : روي ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب عن طريق محمد بن إسحاق عن هُبار بن الأسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلي الشام فجهزت معهما فقال ابنه عتبة : والله لأنطلق إلي محمد ولأوذينه في ربه – سبحانه – فانطلق حتى أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هو يكفر بالذي دنا فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى – فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم ابعث إليه كلباً من كلابك " ثم انصرف عنه مرجع إلي أبيه ، فقال : يا بني ما قلت له ؟ فذكر ما قال له قال: فما قال لك؟ قال : قال : " اللهم سلط عليه كلب من كلابك " قال : يا بني والله ما آمن عليك دعاءه .

فسرنا حتى نزلنا الشراه وهي مأسدة – كثيرة الأسود – فنزلنا إلي صومعه راهب فقال : يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد ، فإنها تسرح الأُسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا أبو لهب : أنكم قد عرفتم كبر سني وحقي ، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما أمنها عليه ، فأجمعوا متاعكم إلي هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ، ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا ، فلما لم يجد ما يريد ، تقيض فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة – ضربه ضربة - ، ففضح – شرخ – رأسه ، فقال أبو لهب : قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد (١) .

## نهاية أبو لهب :

**قال نافع مولي رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم** : رماه الله بالعدسة فقتلته ، فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ، ما دفناه حتى انتن ، وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناه ؟ فقالا : إنا نخشى عدوه هو القرحة ، فقال : انطلقا فأنا أعينكم عليه ، فو الله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلي أعلى مكة ، فأسندوه إلي جدار ثم رجموا عليه بالحجارة .

**عن أم المؤمنين عائشة – رضي اللهّ عنها** – أنها كانت لا تمر على مكان أبي لهب هذا إلا تسترت بنوبتها حتى تجوز.

" سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ " (المسد ٣-٤)

مَن للأحول غير أم قبيح ، أم جميل العوراء !؟

**قال ابن العربي** : العوراء أم قبيح ، وكانت عوراء ، من لها غير أبي النار أبي لهب ؟! حقق الله نسبه ، لقد صرفهم الله على أن يقولوا : أبو النور ، وأبو الضياء الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه وأجري على ألسنتهم أن يضيفوه إلي لهب الذي هو مخصوص بالمكروه والمذموم وهو النار ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقره .

---

(١) تفسير ابن كثير في سورة النجم .

**قال ابن كثير عن أم جميل** : كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوره وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه نار جنهم **ولهذا قال** :

" وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ " (المسد ٤-٥)

**يعني** : تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له [١]وكانت أم جميل تحمل الشوك فتضعه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**وقال قتادة** : كانت تُعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب لشدة بخلها .

**وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما نزلت** :

" تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ " (المسد : ١)

أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولوعة وفي يدها فهر– حجارة – **وهي تقول** :

- مزمما أبينا
- ودينه قلينا
- وأمره عصينا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله قد أقبلت ، وأنا أخاف عليك أن تراك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنها لن تراني " وقرأ قرآنا اعتصم به **كما قال تعالي** :

" وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا " ( الإسراء : ٤٥ )

فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقالت: يا أبا بكر أني أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ قال : لا ورب هذا البيت ما هجاك ، فولت وهي تقول : قد علمنا قريش إني ابنة سيدها .

---

(١) تفسير بن كثير .

**قـال الهمـداني** : كانـت أم جميـل تـأتي كـل يـوم بإبالـه – حزمـة كـبيرة – مـن الحسك – شوك – فتطرحهـا في طريـق المسلمين فبينمـا هـي حاملـة ذات يـوم حزمـة أعيـت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فأهلكها – ضفتها الله بحبها .

**قـال سـعيد بـن صـبير** : حمالة الخطايا والذنوب من قولهم : فلان يحتطب على ظهره دليله **قوله تعالي** :

" ...وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ " ( الأنعام : ٣١ )

"...وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا "(٢) (الكهف :٤٩)

**عقبة بـن أبي معـيط** :هذا الشقي الذي آذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفرد بما لم يفعله أحد ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت عنقه جزاء وفاقاً .

**قال ابن إسحاق في أسري بدر وعن عقبة بن أبي معيط وكيف قتل صبراً** :

**قال عقبة حين أمر رسـول اللّه صـلى اللّه عليـه وسـلم بقتلـه** : فمن للصبية يا محمد ؟ قال : " النار " وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح .

**ولما أقبل إليه عاصـم بـن ثابـت قـال** : يا معشر قريش علام اقتل مِن بين مَن هنا ؟ قال : على عداوتك لله ورسوله .

**وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال** : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال : " نعم أتدرون ما صنع هذا بي ، جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران وجاء مرة أخرى بسلاشاه فألقاه على رأسي وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة مغسلته عن رأسي (١)

---

(٢) الجزء من جنس العمل ، جـ١ ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

(١) البداية والنهاية ، ٣ / ٣٠٦ .

## أبي بن خلف :

**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه – يشير إلي راعيته – اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله " رواه البخاري ومسلم .

**قال ابن إسحاق** : " كان أبي بن خلف يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العَوذ ، فرساً أعلفه في كل يوم فرقاً – مكيال – من ذرة أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بل أنا أقتلك إن شاء الله"

**قال ابن كثير** : عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف أخو بني جمع قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال : " بل أنا اقتله إن شاء الله " فلما كان يوم أحد أقبل أُبي في الحديد مقنعاً وهو يقول لا نجوت إن نجا محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجه سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة فوقع إلي الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش ؟ فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أقتل أبيا " ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلي النار.

" فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ " ( الملك : ١١ )

**وفي رواية** : لما رجع إلي قومه وقد خدشه الرسول صلى الله عليه وسلم بالحربة خدشاً غير كبير قال : قتلني والله محمد ، قالوا له : ذهب والله فؤادك والله ما بك من بأس قال : إنه قد كان قال بمكة : " أنا أقتلك " فو الله لو بصق عليّ لقتلني ، فكان هذا الشقي هو الوحيد الذي قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة (٢) .

---

(٢) البداية والنهاية ، ٣٣/٣ – ٣٤ .

## عبد اللّه بن قُمئَة – أقمأه اللّه .

**عن ابن عباس قال** : اشتد غضب اللّه على من دمّي وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال ابن حجر : ومجموع ما ذكر في الأخبار أنه شجُع وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها ووهي منكبة من ضربة ابن قمئه وجحشت ركبته .

**وعن ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري** : أن عبد اللّه بن قمئة جرحه – أي الرسول صلى اللّه عليه وسلم – في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المِغفَرِ في وصنته صلى اللّه عليه وسلم .

**قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر** : إن الذي رمي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بأحد مخرجه في وجهه قال : خذها مني وأنا ابن قمئه ، فقال : " **قمأك اللّه** " قال فانصرف إلي أهله فخرج إلي غنمه ، فوافاها على ذروة جبل ، فدخل فيها ، فشد عليها تيسها فنطحه نطحه أرداه من شاهق الجبل فتقطع .

**وعن أبي أمامة قال** : رمي عبد اللّه بن قمئة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوم أحد فشجع وجهه وكسر رباعيته ، فقال : خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه : " مالك أقمأك اللّه " . فسلط اللّه عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة " .

## كسري ملك الفرس :

**عن ابن جرير قال** : وبعث عبد اللّه بن حزافة بن قيس إلي كسري بن هرمز ملك فارس ، **وكتب معه** :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول اللّه إلي كسري عظيم فارس

**سلام على من أتبع الهدي وآمن باللّه ورسوله وشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله** ، أدعوك بدعاء اللّه فإني رسول اللّه إلي الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فإن تُسلم تسلم وإن أتيت فإن إثم المجوس عليك .

**قال : فلما قرأه شقه وقال** : يكتب إليّ بهذا وهو عبدي ، قال : ثم كتب تسري إلي باذان – نائبه على اليمين – أن أبعث إلي هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأيتاني به ، فبعث بإذان قهرمانه ، وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : فرفرة ، وكتب معهما إلي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلي كسري ، وقال لباذويه : ائت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره ، فخرج حتى قدم الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف ، فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف – يعني قريش – بهما وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسري ملك الملوك ، كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فكلمه باذويه فقال : شاهنشاه – ملك الملوك – كسري قد كتب إلي الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلك ومهلك قومك ومخرب بلادك ودخلا على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعينا شواربهما ، فكرة النظر إليهما وقال: " ويلكما ، من أمركما بهذا ؟ " قالا : أمرنا ربنا – يعينان كسري – فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : " ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي " ثم قال : " رجعا حتى تأيتاني غداً " قال : وأتي رسول اللّٰه الخبر من السماء، بأن اللّٰه قد سلط على كسري ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليالي ، سلط عليه ابنه شيرويه فقتله .

**قال فدعاهما فأخبرهما ، فقالا : هل تدري ما تقول** ؟ أنا قد لقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا وتخبر الملاك باذان ؟ قال : " نعم أخبروه ذلك عني وقولا له : أن ديني وسلطاني سيلغ ما بلغ كسري وينتهي إلي الحف والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء " ثم أعطي خرخره منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك ، فخرجا من عنده قدما على باذان فأخبراه الخبر ، فقال : واللّٰه ما هذا بكلام ملك ، وإني لارني الرجل نبياً ، كما يقول وليكونن ما يقول ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسنري فيه رأياً ، فلم ينشب باذان قدم على كتاب شيرويه : أما بعد فإني قد قتلت كسري ولم أقتله إلا غضباً بفارس ، لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي

الطاعة ممن قبلك وانطلق الرجل الذي كان كسري قد كتب فيه فلا تهجر حتى يأتيك أمر فيه ، فلما انتهي كتاب شيرويه إلي باذان قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس ، من كان منهم باليمن .

**قال: وقد قال باذويه لباذان** : ما كلمت أحداً أهيب عندي منه، فقال له باذان: هل معه شرط ؟ قال : لا .

**قال الشافعي** : لما أوتي كسري بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أوتي كسري بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يمزق ملكه " وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه في سك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثبت ملكه " ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من مَلِكي العراق والشام إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا هلك كسري فلا كسري بعده ، إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده " فباد ملك الأكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية وإن ثبت لهم ملك في الحملة ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم حين عطوا كتابه والله أعلم (١).

## رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول :

**قال البخاري في باب قوله تعالي** :

" يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " ( المنافقون : ٨ )

**قال جابر** : وكانت الأنصار حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ثم كثر المهاجرون بعد ، فيقال عبد الله من أبي : أو قد فعلوا ، والله لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " **رواه البخاري** .

كان ذلك في غزوة بني المصطلق من فزاعة ، وهي غزوة لم يسيع ، وهو ماء من مياهم قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمربن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدهم جهجاه وسنان من

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٦٨/٤ ـ ٢٧١ .

دبر الجهني حليف بني عوف من الخزرج على الماء ، فاقتتلا فصرح الجهني يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من فوقه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال : أوفد فعلوها قد ناخرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأولون : لُسعٌن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من فوقه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلي غير داركم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم خمشي به إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال عمر : مُر عبّاد من بشر فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن بالرحيل " وذلم في ساعة لم تكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشي عبد الله بن أبي بن سلول إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عيسي أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدباً على ابن أبي ودفعاً عنه ، فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحيًا بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها .

**فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم** : " أو ما بلغك عن صاحبك ؟ " فقال : أي صاحب يا رسول الله ؟ قال : " عبد الله بن أبي " قال : وما قال ؟ ، قال : " زعم أنه إن رجع إلي المدينة أخرج الأعز منها الأذل " قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، قال : يا رسول الله أرفق به ، فو الله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فإنه يري أن قد سلبته ملكاً .

ثم مش رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمس ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

**قال ابن إسحاق** : حدثني عاصم بن عمر بن قتاده : أن عبد الله بن أبي بن سلول أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه بلغني إنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وإني أخشي أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلي قاتل عبد الله بن أبي يمشي بين الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا " وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: " كيف تري يا عمر ؟ أما والله لو قتله يوم قلت لي ، لا رعدت له نوف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته " فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري .

**وقال ابن كثير : ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما** : أن الناس لما قفلوا راجعين إلي المدينة وقف عبد الله ابن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي ، قال له ابنه : وراءك ، فقال : مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسير ساقه – مؤخرة الجنس – فشكا إليه عبد الله ابن أبي ابنه ، فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إذا أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الآن [(١)] .

## القرطاء البكريون :-

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي القرطاء البكريين بناحية ضريه في نجد شرقي المدينة بكتاب يدعوهم فيه إلي الإسلام فاستهزؤا به وبكتابه فأخذوا الصحيفة التي تحمل دعوتهم إلي التوحيد فغسلوها من الحبر ، ثم رقعوا بها استادلولَهم وأبوا

---

(١) البداية والنهاية ، ٣ /١٥٨ – ١٦٠ .

أن يجيبوا الرسول إلي ما دعاهم إليه ، فأنكرت امرأة عاقله منهم ما فعلوه بكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي أم حبيب بنت عامر بن خالد بن عمرو ابنه ابن أخي سيد القوم حارثه بن عمرو واستهجنت ما صنعوا ، فقالت وقولها يدل على أنها مسلمة .

إذا ما أتتهم آية من محمد ... محوها بماء البئر فهي عصير

ويذكر أصحاب السير أن القرطاء لما فعلوا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوا فصاروا دائما أهل رعدة ومجلة وكلام مختلط وأهل سفه ، وكان الذي جاءهم بالكتاب رجل من عرينة ، يقال له : عبد الله بن عوسجة .

**قال الواقدي** : رأيت بعضهم عيياً لا يبين الكلام .

جرد رسول الله صلى الله عليه وسلم حملة عسكرية بقيادة الضحاك بن سفيان الكلاب في شهر ربيع الأول ، سنة تسع هجرية ، فهزمهم في مكان بنجد يقال له: زجٌ لاوه [(٢)] .

## حُيي بن أخطب :

كان حيي بن أخطب عندما نجح في حمل بني قريظة على نقض العهد والغدر بالمسلمين ، قد تعهد لسيد بني قريظة بأن يدخل معه حصنه ليصيبه ما اصاب بني قريظة إذا ما انسحبت جيوش الأحزاب دون أن تستأصل شافه المسلمين وتقضي عليهم قضاءً تاماً ، وفعلاً فقد وفيٌ له حيي بذلك ، فقد أتي الله به إلي حصون بني قريظة يحني ثمار أعماله الشريرة ، فيقي معهم داخل حصونهم حتى نهاية أمرهم .

**قال ابن إسحاق يصف موقف حيي بن أخطب ساعة إعدامه** :

وأتي بحي بن أخطب – عدو الله – مجموعة يداه إلي عنقه بحبل ، فلما نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذله الله ، وزاد السهيلي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحي بن أخطب **حين رآه موثقا** :

ألم يمكني الله منك ؟ فقال : بلي ، ولكن من يخذلك يخذل .

---

(٢) الجزاء من جنس العمل ، ١ / ٢٧٩ .

**وحينما تقدم لضرب عنقه قال** : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

## أُسَيرُ زَارِمٍ ملك خيبر :

نصبه اليهود ملكا على خيبر خلفاً لأبي رافع ، وجدٌ أسير لشن حمله أحزاب جديدة على المسلمين في المدينة وحاول أن يصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يصنعه قادة اليهود الذين سبقوه ، فذهب إلي مناطق القبائل النجدية غطفان وغيرها وصار ينتقل بين مضارب البدو ومخيمات العشائر الوثنية يحرضها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجمعها لغزو المدينة ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين من أصحابه على رأسهم عبد الله بن رواحة لأسير بم زارم برسالة شفوية تتضمن دعوة ملك اليهود للذهاب إلي المدينة لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه لينهوا حالة الحرب القائمة بين الفريقين على أن يبقيه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على خيبر، حيث قال له ابن رواحة : يا أُسير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويسحن إليك .

وخرج أسير بن زارم في ثلاثين من خلصاء أصحابه بصحبة عبد الله بن رواحة وصحبه وقد أدف كل رجل من أصحاب عبد الله بن رواحة رجزاً من أصحاب أسير بن زارم وكان سيد خيبر أُسير رديف عبد الله بن أنيس .

وبينما كانوا سائرين في اتجاه المدينة حاول اليهود الغدر بالمسلمين ، فأهو أُسير بن زارم بيده إلي سيف عبد الله بن أنيس ليقتله إلا أن ابن أنيس كان أسرع منه إذ فطن لذلك ، فانتزع السيف من يده وقتله ، ثم دارت معركة بين بقية الركب ، تمكن فيها المسلمون من القضاء على ابن زارم وجماعته ما عدا رجلاً واحداً تمكن من الفرار [(١)].

## يهود بني قريظة :

لقد كان للمسلين حلف مع بني قريظة قبل مجيء الأحزاب ولكنهم بعد مجيء الأحزاب غدروا المسلمين وقد كانوا خلفهم وقواهم على ذلك شيطان بني النضير حيي

---

(١) الجزاء من جنس العمل ، ٣٢٥/١ .

بن أخطب ذهب إلي بني قريظة وما زال بهم حتى أجابوه إلي ما طلب فوافقوا على نقض العهد والغدر بالمسلمين والانضمام إلي جيش الأحزاب ، وأخذ كعب بن أسد سيد بني قريظة الصحيفة ومزقها .

غدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوش الأحزاب توشك أن تفتك بالمدينة وبلغت القلوب الحناجر.

أوفد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وفداً من الأنصار على رأسه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالوا للوفد وقد تملكهم الغرور : الآن جئتم تطلبون الوفاء بالعهد الذي بيننا وبين محمد وهو الذي كسر جناحنا ، وأخرج إخواننا بني النضير ، اذهبوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، من هو رسول الله هذا ؟! فغضب سيد الخرج وأخذ يشاتم اليهود فشاتموه وأغضبوه كثيراً .

غير أن سيد الأوس سعد بن معاذ – وهو حليف هؤلاء اليهود – قد دخل في الأمر وقال لسعد بن عبادة : عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربي من المشاتمة ، وأقبل عليهم ناصحاً ومحذراً : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا أخاف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه ، فقالوا لسعد : أكلت أير أبيك ، فقال لهم سعد – وكان حلماً – غير هذا القول كان أجمل بكم وأحسن يا بني قريظة فتماوي بنو قريظة في غيهم وصاروا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم ويقعون فيه ، وهنا يئس سعد بن معاذ من عوده حلفائه إلي جاده الصواب ، فعاد الوفد تحمل إلي النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة كلمة سر : عضل والقارة أن القوم قد غدروا دون أن يعلم أحد من المعسكر هذا الخبر المزعج .

**وحين أخزي اللهّ الأحزاب أتي وقت حساب بني قريظة :**

**وجاء جبريل إلي رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم قائلاً** : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟! قال : نعم ، فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من حلب القوم ، إن الله يأمرك بالمسير إلي بني قريظة ، فإني عائد إليهم فمزعز لهم .

**ونادي رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم** : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

ولما رأت اليهود بني قريظة فإنهم لما نظروا إلي طلائع الجيش النبوي تتقدم بقيادة على بن أبي طالب ، فاضت نفوسهم الشريرة ببعض ما تختزنه من خبث ودناءة ووضاعه وأسمعوا أن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبي الله صلى الله عليه وسلم ونسائه الطاهرات الطيبات من السب والشتم والقذف ، ما لم يسمح أحد من المؤرخين لنفسه أن يورد نصه لفظاعته وبشاعته ، وكل الجواب الذي سمعوه من على : السيف بيننا وبينكم وأشفق على – وهو أول من سبق باللواء إلي بني قريظة – من أن يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي نسائه ذلك السب القبيح .

وأناب على في حمل اللواء أبا قتادة الأنصاري وانطلق مسرعاً نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوقفه على بُعد من حصون اليهود ، وطلب منه أن يقف بعيداً عن هذه الحصون ، لئلا تتأذي بسماعه ما فاه به اليهود من سب وقذف فقال على : لا عليك يا رسول الله ، أن تدنوا من هؤلاء الأخايث فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لعلك سمعت منهم فيّ أذي ؟ قال : نعم يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : له رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً .

ثم واصل الرسول القائد صلى الله عليه وسلم تقدمه نحو حصون اليهود حتى دنا من حصون قريظة الغادرة ، نادي نفراً من قادتهم فلما ظهروا في أبراج حصونهم قال لهم : يا أخوان القردة وعبد الطاغوت ، هل أخزاكم الله لأنزل بكم نقمته ، وهنا أسقط في أيدي اليهود ، فأنكروا أن يكونوا شتموه ونساءه ، وانطلقوا يحلفون كذبا ، إنهم ما فاهو الشيء مما بلغه بهذا الشأن ، ثم اندفعوا في ليونة الأفاعي يُسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم من لين القول وطيب الكلام وجميل الإطراء ما ظنوا أنه سيساهم في تخفيف عقوبة خيانتهم العظمي ، فقالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .

واشتد حصار المسلمين لليهود وانهارت أعصابهم وتحطمت معنوياتهم إلي درجة لم يحتملوا معها الحصار أكثر من خمس وعشرين ليلة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب وقدر الصحابة اقتحام حصون اليهود مهما كان الثمن ، وصاح عليٌ بن أبي طالب حامل لواء المسلمين وابن عمه الزبير بن العوام ، صاح : والله لأذوقن ما ذاقن حمزه ولا فتحن حصنهم .

ولما سمع اليهود هذا الإنذار من حامل لواء الجيش على بن أبي طالب ايقنوا أن الهجوم على حصونهم أمر لا مفر منه طلبوا إيقاف الهجوم وأعلنوا الاستسلام وإعلان النزول على حكم الرسول صلى اللّه عليه وسلم دونما قيد أو شرط .

وسارع اليهود إلي فتح أبواب معاقلهم وحصونهم فوراً بعد أن ألقوا سلاحهم وأخذوا في مغادرة الحصن مستسلمين وأمر النبي صلى اللّه عليه وسلم باعتقال الرجال ووضع القيود في أيديهم وقد تم ذلك تحت إشراف محمد بن مسلمة قائد الحرس النبوي وقد حبس الرجال من بني قريظة وعددهم حوالي ثمانمائة مقاتل في دار أسامه بن زيد أما النساء والأطفال فقد رأي النبي صلى اللّه عليه وسلم بعد أن أوكل أمرهم إلي عبد اللّه بن سلام أن يحفظوا في مكان ليس فيه صفة الحبس والتضييق وأنزلوا دار الضيافة وكان هؤلاء النساء والذراري يناهز الألف .

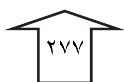
**وشفع الأوس لحلفائهم** يهود بني قريظة عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ففوض أمر هؤلاء اليهود إلي سيد الأوس سعد بن معاذ ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : " ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ " قالوا : بلي ، قال : فذاك سعد بن معاذ " .

روي الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد اللّه أنه قال : رُمي سعد بن معاذ فقطعوا أكحله ، فحسمه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالنار، فانتفخت يده فحسمه أخرى فانتفخت يده ، فنزف فلما رأي ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة ، فاستمسك عرقه مما قطر ، حتى نزلوا على حكم سعد فحكم أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذراريهم ، فلما فرغ منهم اتفق عرقه فمات ، فأخذهم من الغم ما أخذهَم وصعق اليهود لهذا الحكم الصارم وعلاهم الذهول وخيم عليهم الوجوم .

**ولقد أعدم هؤلاء اليهود** في ليلة واحدة وجرت عملية الإعدام على ضوء مشاعل سعف النخيل ، وتولي عملية قتل اليهود الخونة على بن أبي طالب ، والزبير بن العوام وكان بنو قريظة المحتجزون في السجن مع سيدهم كعب بن أسد كلما استدعي الحرس جماعة منهم لإعدامهم لاذوا بسيدهم كعب يسألونه في جزع وارتبك ، ما تراه يصنع بنا ؟ فيجيبهم : أفي كل موطن لا تعقلون ؟! هو واللّه القتل [١]

---

(١) الجزاء من جنس العمل ، ٣٣٢/١ – ٣٣٣ .



## الخاتمة :

ظل حب النبي صلى الله عليه وسلم يتوارثه المسلمون جيلاً بعد جيل ، ما أنطفأ أبداً ولن ينطفئ ، وسيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وسيرته كلمة السر التي تجمع شعث وشتات المسلمين ، فلم يجتمع المسلمون إلا عليه وما نُصرت الأمة إلا بسنته وتطبيق شريعة الإسلام ، وكما قال الجنيد رحمه الله : الطريق إلي الله تعالي كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفي أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه صلى الله عليه وسلم .

وقد أدرك الصحابة والتابعون هذه القيمة فرأينا منهم حباً وانقياداً وطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ورأينا منهم مشاهد الحب والتفاني وروائع الفداء والعطاء التي جاوزت من مثاليتها حد الأساطير ، فيا أخي : أمامك الفرصة فلا تدع الركب يفوتك ويضيع هذا الأجر العظيم تقدم وأحمل راية الحب وارفع لواء الطاعة .

**ونـــاد بـــأعلى صـــوتك** : إنـي أحـب محمداً ، أسرع واحجز مقعدك من الآن فمكانك شاغراً ينتظرك فلا تدعه لغيرك ، وقل يا رسول الله أنت زعيمنا وقدوتنا وإمامنا .

**الفقير إلي عفو ربه**

**رجب محمود إبراهيم بخيت**

## وأخيراً ...

**فما كـان مـن توفيـق فمـن اللّه وحـده** ، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان .

والنقص في أصل الطبيعة كامن ... فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

**وأسال كل من قرأ هـذا الكتـاب** وانتفع به أن يسأل الله لي غفران الذنوب وتقبل صالح الأعمال وأن يرزقني الشهادة في سبيله ومرافقة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنان الخلد .

ولمن أراد أن يراسلني لمعرفة رأيه في الكتاب ، فرحم الله امرءاً أهدي إليٌ عيوبي .


جمهورية مصر العربية – محافظة البحيرة – مركز ايتاى البارود – عزبة الحكر . د / رجب **محمود إبراهيم بخيت**

**وعبر الهاتف** ٣٤٣٣٩٥٩ / ٠٤٥

٩١١٨٤٢٨ / ٠٤٥

٠١٠٣٨٤٤٩٣٢

# المراجع


- أترى ستنفع في القلوب عظات؟!........سليمان بن أحمد بن عبد العزيز الدويش.
- أَتَسْخَرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ .........د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل.
- إشراق دمعة ......... د.عبد المعطي الدالاتي.
- أطلقيني يا مدينة......... د.عبد المعطي الدالاتي.
- الدفاع عن داعية السلام "صلى الله عليه وسلم"......... محمد عبد الله ولد محمد سالم ولد محمد ببَّاه:
- الردّ المبكي للمجرم الدانماركي........ الشيخ / محمد بن علي آدم "حفظه الله".
- السيّفُ أُشْهِرَ والليوثُ ضواري....... بقلم: أبي عبد الله سعد بن ثقل العجمي.
- المختار يا أمة المليار!........يوسف مسعود :
- إلى الأنصار قد وصل الرسول .........ُد.عبد المعطي الدالاتي.
- إمام المرسلين فداك روحي........صالح بن علي العمري.
- إن كانَ فيكم نخوةٌ ومروءةٌ.
- دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .........الدكتور ثامر القحطاني:.
- أيها المسلمون في كل قطر .......د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل:
- تحية ودفاع عن عرضه صلى الله عليه وسلم.......محمد بن عائض القرني :
- أُهدي إليكَ نشيداً رحتُ أخفيهِ..........عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل:
- جئنا إليكَ رسولَ اللهِ نعتذرُ!!...ماجد بن عبد الله الغامدي.. الخبر.
- جلَّ من ربَّاك....محمد بن عبد الرحمن المقرن.

- حوار بين سلعة دانمركية وأخرى أمريكية......لفضيلة الشيخ / حامد بن عبد الله العلي.
- شَهِدَتْ بِفَضْلِ مَقَامِكَ الأَكْوَانُ.......الشيخ/ حامد بن عبد الله العلي.
- صلّى عليك الله.....ميسون قصاص :
- في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم......أحمد محمد سعد.
- ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ.
- وُلد الهدى، فالكائناتُ ضياءُ.
- ملحمة النبي صلى الله عليه وسلم......عمر أبو ريشة.
- أبو الزهراء خيرُ المرسَلينا.....الأستاذ الشاعر : خير الدين وانلي رحمه الله.
- يا إمام الرسل يا أحمدْ.........شعر الأستاذ : خير الدين وانلي رحمه الله.
- إلا الرسول......شعر : محمد بن حسن النعمي.
- الصارم المسلول لشاتمي الرسول........عمر طرافي البوسعادي / الجزائر.
- عاد محمد صلى الله عليه وسلم.
- أصمى العروبةَ والإسلامَ جُهّالُ.
- عائدون يارسول الله .......شعر : عمر طرافي البوسعادي / الجزائر.
- يحمل الإفك في السنان شعارا.
- تاج المدائح في حبيبنا و رسولنا محمد عليه الصلاة و السلام.......عائض القرني.
- ربيع الهدى.......بقلم: محمد ضياء الدين الصابوني (شاعر طيبة).
- رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم.....بقلم الدكتور عدنان علي رضا النحوي .

- عذراً.. رسول اللّٰه!.........عبيد الشحادة.
- فدى لرسول اللّٰه......شعر معتصم إبراهيم الحريري.
- وللذود عن عرض الرسول قصائدي.
- في ذكرى المولد .
- تَعْذِرَنَا رَسُولَ اللّٰهِ إِنَّا.
- يَا عَينُ جُودِي بِدَمعٍ مِنكِ مُنسَكِبِ.
- أطبق الليل واختفت أضواء.
- أَيَا زُمْرَةَ الْكُفْرِ جِيْلَ التُّخَمْ.
- السيّفُ أُشْهِرَ والليوثُ ضواري.
- مديحك يا مختار.........بقلم: محمد ضياء الدين الصابوني (شاعر طيبة).
- حبّ الرّسولِ تذكّرٌ وتدبّر......بقلم محمد خير الدين اسبير.
- مولد الهادي..........شعر : منير محمد خلف.
- نصرة الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم.........شعر: أحمد القاضي.
- يا حبيبي هاكَ نحري.
- من نبع هديك تستقي الأنوار.
- إمام المرسلين فداك روحي......صالح بن علي العمري.
- تحية ودفاع عن عرضه - صلى اللّٰه عليه وسلم-.........محمد بن عائض القرني.
- جلَّ من ربَّاك..........محمد بن عبد الرحمن المقرن.
- حاشى لوجهك أن يأتي به القلم.
- نفحات الهجرة..........صالح بن علي العمري.

- شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم.............للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني.
- لك في مهمة التجلي البهاء...............أبو الهدى الصيادي أندلسي.
- عيون الأفاعي...............حسن إبراهيم الأفندي.
- كشف الغمة في مدح سيد الأمة..........محمود سامي البارودي.
- عذراً رسول الهدى........الشاعر / عبد الله بن غالب الحميري.
- لأجله فقط .......ريوف الشمري.
- مالي أراكَ كسيرَ الطّرفِ يا قمرُ؟
- محمد المبعوث للناس رحمةً ......مدح الرسول.......الشيخ جمال الدين الصرصري
- هو المختارُ" صلى الله عليه وسلم "........د.عبدالرحمن العشماوي.
- نِدَاءُ اسْتِغَاثة..........صلاح الدين الغزال :
- نَصْرُ المُخْتار ودَحْر الفُجَّار!...........يوسف مسعود قطب حبيب :
- نظم الميمية في الذود عن خير البرية.
- في الذب عن عرضه صلى الله عليه وسلم.........حسان بن ثابت:
- بأبي وأمي.......رمضان عمر:
- إلى الحبيب الأعظم.......د. زاهر الحسن :
- ولقد سمعنا ما يسوءُ قلوبنا من دولةِ الأبقارِ والأجبانِ...........ماجد بن محمد الجهني الظهران.
- طه إمام المرسلين........د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل:
- واستمطروا غضبًا.......عبدالله البصري :
- يا أيَّها الدنماركُ .. إلا رسولَ اللهِ..........مصطفى العاني :

- يا نبيّ اللّه عُذرًا.... !!!   صفاء رفعت:
- على أبواب المدينة.........شعر: يحيى بشير حاج يحيى.
- ما بين الهجرة والهجمة......سيد سليم سلمي.
- يا حبيبَ الروح !......شعر : د. كمال أحمد غنيم.
- مولد الهادي.......... شعر : منير محمد خلف .
- نور العين.......فدوى محمد سالم جاموس.
- ونحري يا رسول اللّه درع......شعر: يحيى بشير حاج يحيى.
- بلد الأبقار......د.عثمان قدري مكانسي.
- في نصرة الحبيب الأعظم ( صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم )......محمد عبد الرحمن باجرش.
- بحب رسول اللّه.........شاعر طيبة محمد ضياء الدين الصابوني.
- إلا محمدا رسول اللّه......فيصل بن محمد الحجي.
- أبا الزهراء........د. حيدر الغدير.
- صلّى عليك اللّه......ميسون قصاص.
- يا حبيب..........إيمان رمزي بدران.
- أحبك يا رسول اللّه............د.صالح بن عبداللّه الفريح.
- المختار صلى اللّه عليه وسلم..........شعر / صالح مصلح المالكي .
- إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.............د. صابر عبدالدايم.
- أهواء الطغاة........صالح بن جمعان الغامدي.
- أيها المسلمون في كل قطر..........د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل.

- بُشرى من اللّٰه.........شعر: نواف أحمد عثمان حكمي.
- حسان بن ثابت يبكي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم.
- حقاً رسول اللّٰه نيل جنابه؟!..........شعر: د. محمد يحيى غيلان.
- دائماً أنتَ بقلبي ......شعر: عبدالرحمن بن صالح العشماوي.
- رسول الهدى عذراً!.
- صورة المصطفى "صلى اللّٰه عليه وسلم"......عبدالرحمن صالح العشماوي.
- عرضي فداك ..........أحمد الطارش.
- فدتك ملايين الأباة...........زايد الشنقيطي.
- فلق الحق............حسن محمد الزهراني.
- صلوا على الهادي وردوا على الفور.
- لك روحي تُنذر.........شعر: علي إبراهيم حملي.
- هو الرحمة المهداة...............جمال بن صالح الجاراللّٰه.
- وعاد هدوئي بكل ضجر.
- يا صاحب الدنمرك..........د. ظافر بن علي القرني.
- يارسول اللّٰه عذرا..............محمد محمود أحمد.
- إلاَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ........الشاعر عيسى جرابا.
- حدّثْ صديقي عن جمال محمدٍ.............د.عبد المعطي الدالاتي:
- ذاك رسول اللّٰه محمد..............محمد بن حسن أحمد النعمي.
- َصْرُ المُخْتار ودَحْر الفُجَّار!............يوسف مسعود قطب حبيب :
- طال ابتهالُ المصطفى........د.عبد المعطي الدالاتي:

- في زمن الردة والبهتان.........فاروق جويدة.
- كنا ولكن "كان" فعلٌ ناسخٌ.............محب الفأل "سعد" .
- هذا رسول الله................سليم السالم.
- الخاتمة :

# الفهرس